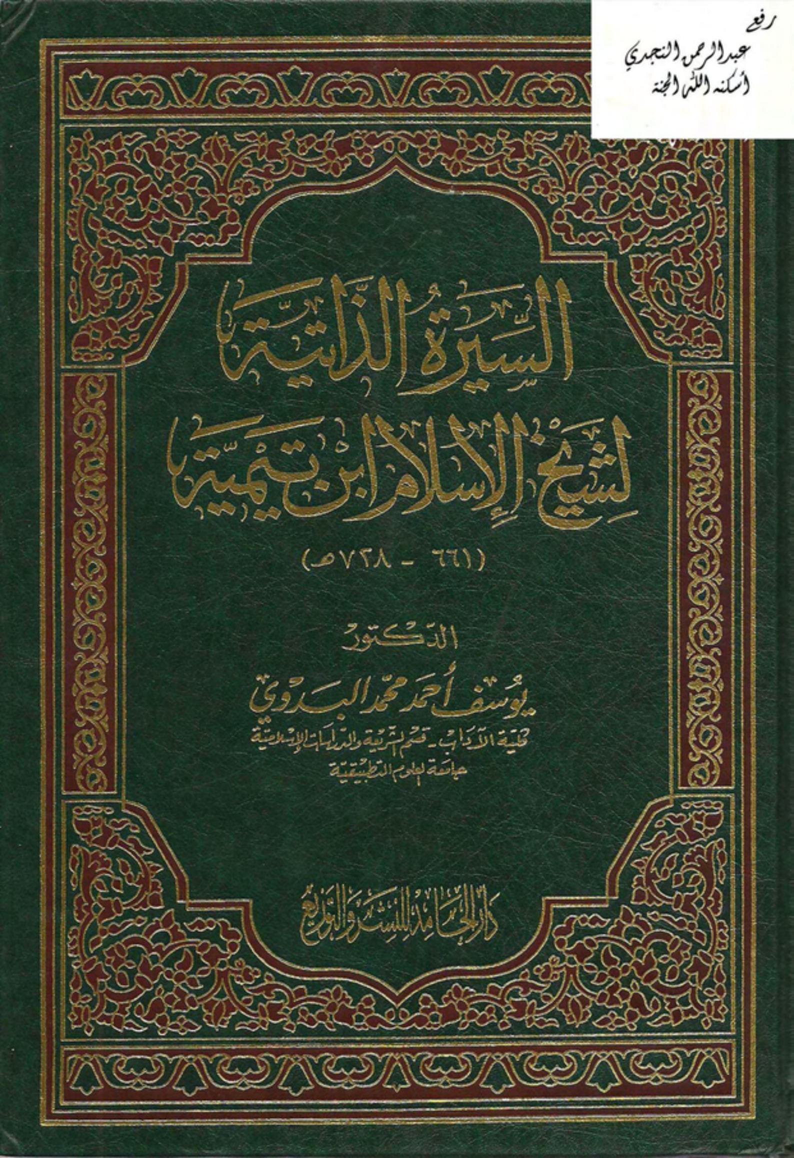

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الجنة
السيرة الذاتية
لشيخ الإسلام ابن تيمية
(٦٦١ - ٧٢٨هـ)
الدكتور
يوسف أحمد محمد البدوي
كلية الآداب - قسم التربية والدراسات الإسلامية
جامعة العلوم التطبيقية
دار الحامد للنشر والتوزيع

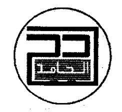


السيرة الذاتية لشيخ الإسلام ابن تيمية





الدكتور
يوسف أحمد محمد البدوي
كلية الآداب - قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة العلوم التطبيقية

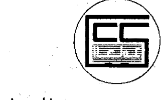


المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2007 / 4 / 1107)

922
* البدوي ، يوسف
* السيرة الذاتية لشيخ الإسلام ابن تيمية / يوسف أحمد البدوي .
عمان : دار الحامد .
( ) ص .
* ر. أ. : (2007 / 4 / 1107) .
* الواصفات : / الفقهاء // الفقه الإسلامي // الإسلامي /

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية .

* رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر 1168/ 4 / 2007
* (ردمك) ISBN 978-9957-32-335-6





شفا بدران – شارع العرب مقابل جامعة العلوم التطبيقية
هاتف: 5231081 -00962 فاكس : 5235594 -00962
ص.ب . (366) الرمز البريدي : (11941) عمان – الأردن
Site : www.daralhamed.net   E-mail : info@daralhamed.net
E-mail : daralhamed@yahoo.com   E-mail : dar_alhamed@hotmail.com

المحتويات

الفصل الخامس

مقدمة

الحمـــد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الخلق أجمعين، وإمـــام الأنبياء والمرسلين، وقدوة المتقين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فـــإن الله تبارك وتعالى ضم شهادة العلماء إلى شهادته سبحانه وشهادة الملائكة بأنه عز وجل قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] وأخبر النبي ﷺ بـــأن العلمـــاء ورثـــة الأنبياء، وأن فضلهم على سائل الناس كفضل القمر على سائر الكـــواكب، ومـــن هؤلاء العلماء الذين كان لهم نصيب من ميراث النبوة والذين رفعوا لـــواء الدعوة إلى سبيل الله، وجاهدوا في الله حق جهاده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فهـــو يمثل الترسانة الفكرية والوقود الذي لا ينفد والمعين الذي لا ينضب لكل من جـــاء بعـــده ممـــن أراد الإصلاح والسير على نهج الصحابة والتابعين اعتقاداً وقولاً وعملاً.

فقـــد رد على الفلاسفة والمتكلمين، ودحض شبهات المعاندين من الفرق، وناظر النصارى من أهل الكتاب، وقام بالنصح لأئمة المسلمين وعامتهم، وجاهد في رفع راية الحـــق والـــدين باللســـان واليمين. فمن أراد الوقوف على حقيقة الإسلام، ويطلع على صـــفاء العقيدة الإسلامية ونقائها فليعض بالنواجذ على كتب ورسائل هذا العالم الرباني المجاهـــد العابد، وليستمسك بمنهجه في الاستنباط والتطبيق. ومهما قيل في هذا العالم مدحاً أو قدحاً، فإن الله أبى أن ينقطع عمله.

إن مـــن تلامـــيذ ابن تيمية: الذهبي أستاذ المحدثين، والمزي من أئمة الناقدين، وابن كثير شيخ المفسرين والمؤرخين، وابن عبد الهادي قدوة المحققين المدققين، وابن القيم علم المنقحين والمبدعين والروحانيين.

فقد قال الذهبي عن شيخ الإسلام ابن تيمية: لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أنني ما رأيت بعيني مثله، ولا رأى هو مثل نفسه في العلم، وقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث.

وقال عنه المزي: ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنه رسوله ﷺ، ولا أتبع لهما منه.

وقال عنه ابن دقيق العيد: لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه، يأخذ ما يريد، ويدع ما يريد. وحضر عنده شيخ النحاة أبو حيان وقال: ما رأت عيناي مثله.

وقال الحافظ أبو الفتوح اليعمري عنه: كاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من رايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه.

وقال عنه ابن الزملكاني -شيخ الشافعية بالشام وفقيههم-: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وإن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدوين.

وقد شهد له برفعة منزلته وعلو كعبه الحافظ ابن حجر العسقلاني بقوله: لو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية، صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف، لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته، فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم، والتميز في المنطوق والمفهوم، أئمة عصره من الشافعية وغيرهم، فضلاً عن الحنابلة؟!

وقد ذكر العلماء عنه أنه ناظر وهو دون البلوغ، وألّف ودرس وهو في سن السابعة عشرة من عمره (سنة ٦٧٧هـ)، ودرّس وهو في الحادية والعشرين من عمره (سنة ٦٨١هـ)، ومن محفوظاته مسند الإمام أحمد، والمحلى لابن حزم.[1]

---

(1) انظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية. والمراجع الآتية المذكورة في أشكال ترجمة ابن تيمية.

وقـد وصفه تلميذه البار ابن القيم في قصيدته الكافية الشافية بأنه: الإمام حقيقة، شيخ الوجود العالم الرباني، البحر المحيط بسائر الخلجان.

وأنـا أقـول عنه –وأدعو له– كما قال الإمام أحمد عن الإمام الشافعي رحمهما الله: كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فهل لهذين من خلف أو عوض؟

ووفاء بحق هذا الإمام فقد قمت بالترجمة له وتأليف هذا الكتاب عن سيرته.

إن الكتابة عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية والترجمة له وبيان سيرته كانت على ثلاثة أشكال:

الشـكل الأول: من أفرده بالترجمة، ومن ذلك: العقود الدرية لابن عبد الهادي، والأعـلام العلـية في مناقب ابن تيمية للبزار، والكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية لمرعـي الحنبلي، وابن تيمية لأبي زهرة، وابن تيمية لمحمد يوسف موسى، والحافظ أحمـد تيمية لأبي الحسن الندوي، وحياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بهجة البيطار، ولمحـات مـن حياة ابن تيمية لعبد الرحمن عبد الخالق، وابن تيمية والعمل الجماعي لعـبد الـرحمن عـبد الخالق، وابن تيمية لصلاح الدين المنجد، وابن تيمية وإسلامية المعـرفة لطـه جابر العلواني، وبحوث الندوة العالمية لمجموعة من العلماء عن شيخ الإسـلام ابن تيمية، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد عزيز شمس وعلي محمد العمران.

الشـكل الثانـي: مـن ترجم له في كتب التراجم العامة، ومن ذلك: الذهبي في تذكـرة الحفـاظ، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن حجر في الدرر الكامنة.

الشـكل الـثالث: الترجمة له في بداية تحقيق لأحد مؤلفاته أو دراسة عنه، ومن ذلـك: مقدمـة تحقـيق الصارم المسلول، وتفسير آيات أشكلت، وموقف ابن تيمية من التصـوف والصـوفية لأحمـد بناني، وابن تيمية والولاية السياسية الكبرى لفؤاد عبد المـنعم، وشـرائع الإسـلام في منهج ابن تيمية لهنري لاوست، ومقدمة بيان تلبيس الجهمية، ومقدمة اقتضاء الصراط المستقيم لمحمد حامد الفقي. وهناك شكلان آخران:

الشكل الأول: هو الشكل الثالث، ولكن بمزج كلام المترجمين لابن تيمية بكلامه عن نفسه، وهو ما سلكته في هذه الترجمة لابن تيمية والتعريف به.

الشـكل الثانـي: الترجمة له من كلامه عن نفسه، من خلال مناظراته ودروسه ورسـائله ومـؤلفاته، أي سيرته الذاتية، وهذا يشمل كلامه عن نفسه من كتبه، أو من كتب معاصريه وتلاميذه كابن القيم وابن كثير والذهبي وابن عبد الهادي، وبذلك تكون أشكال الترجمة له خمسة.[1]

هـذا، والشكل الأخير هو أقوى أنواع الترجمة وأوثقها، إذ هو حديث ابن تيمية عـن نفسه، لا ما قاله غيره عنه، ولا شك أن هذا الكتاب سيكون مرجعاً لكل من أراد أن يوثـق نسبة شيء لابن تيمية مما جاء ذكره فيه من: رسائله، ومناظراته، وجهاده، وفتاواه، ومؤلفاته، وغير ذلك.

وهذا المنهج في الترجمة لابن تيمية لم يؤلف على شكله، ولم ينسج على منواله كـتاب - فيما أعلم - منذ حياة ابن تيمية، فهو أول كتاب على هذا المنهج يرى النور في الترجمة لابن تيمية.

وقـد حرصـت على جمع ما قاله ابن تيمية عن نفسه من كتبه، وكان ذلك في أثناء استقرائي وتتبعي لكتبه من خلال إعدادي لرسالة الدكتوراه ((مقاصد الشريعة عند ابن تيمية)).

وقد منّ الله علي بذلك، فتحقق ذلك الحلم، وحصل ذلك المقصود، وذلك بعد جهد واستقراء وتتبع وترتيب وتنسيق استمر سنتين، فلله الحمد والمنّة في الأولى والآخرة، وهو الحكيم العليم.

ولا بد من أن ألفت نظر القارىء الكريم إلى أمرين:

الأول: أن العناوين الواردة في هذا الكتاب إنما هي من صنعي وعملي، استقيتها من منطوق كلام ابن تيمية ومفهومه، ومن بعض فهارس كتبه.

الثانـي: أنني قد أورد قبل كلام ابن تيمية عن نفسه أو خلاله أو بعده كلاماً له يعـد اسـتطراداً وخارجاً عن سيرته الذاتية، ولكنه لا بد من ذكره لضرورة فهم سياق

---

[1] انظر مقدمة كتابي: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية.

كلامـــه، وقـــد أحذفه أحياناً إن أمكن حذفه عند عدم تعلقه بحديثه عن نفسه، وأشير له بنقاط (............).

وقد قسمت هذه السيرة الذاتية لابن تيمية إلى عشرة فصول:

الفصل الأول: اسمه ونسبه.

الفصل الثاني: جهاده وشجاعته.

الفصل الثالث: قصصه.

الفصل الرابع: مناظراته.

الفصل الخامس: رسائله.

الفصل السادس: معرفته باللغة العبرية والتركية والفارسية.

الفصل السابع: قصائده.

الفصل الثامن: مروياته.

الفصل التاسع: فتاواه وأجوبته.

الفصل العاشر: مؤلفاته وكتبه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر ذنبي، وأن يتقبل عملي، وأن يجعله في ميزاني وميـــزان حســـنات والـــدي -رحمهمـــا الله- وجزاهما عني خير ما جزى والدين عن ولدهما، آمين آمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين،،،

الدكتور

يوسف أحمد البدوي

الفَصْلُ الأَوَّلُ

اسمه ونسبه





الفصل الأول

اسمه ونسبه

اسمه ونسبه : أحمد ابن تيمية

١- من أحمد بن تيمية إلى الشيخ العارف القدوة السالك الناسك أبي الفتح نصر

مجموع الفتاوى. ٤٥٢/٢

٢- من أحمد بن تيمية إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين.

مجموع الفتاوى ٣٦٣/٣

٣- من أحمد بن تيمية سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مجموع الفتاوى ٣٥١/٦

٤- كتبه أحمد بن تيمية.

مجموع الفتاوى ٣٤٠/٢١

٥- يقول أحمد بن تيمية.

مجموع الفتاوى ٣١٤/٢٧

٦- من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة.

مجموع الفتاوى ٤٨/٢٨

٧- من أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين.

مجموع الفتاوى ٢٤١/٢٨

٨- من الداعي أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين.

مجموع الفتاوى ٣٩٨/٢٨

٩- من أحمد بن تيمية إلى سرجوان عظيم أهل ملته.

مجموع الفتاوى ٦٠١/٢٨

جده: أبو البركات

١- حدثنا أبي عن جدنا أبي البركات.

مجموع الفتاوى ٥٤/١٧

٢- وهي طريقة جدنا أبي البركات.

مجموع الفتاوى ٤٥/٢٦

٣- وهو اختيار جدنا أبي البركات.

الفتاوى الكبرى٢٤٧/٢

الفصل الثاني

جهاده وشجاعته

الفصل الثاني

جهاده وشجاعته

أولا : جهاده ضد التتار في الشام

ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء، وهي أحد ما اعتمدته في تحضيضي المسلمين على غزو التتار، وأمري لهم بلزوم دمشق، ونهيي لهم عن الفرار إلـــى مصر، واستدعائي العسكر المصري إلى الشام، وتثبيت الشامي فيه، وقد جرت في ذلك فصول متعددة.........

وقـــد ظهر مصداق هذه النصوص النبوية على أكمل الوجوه في جهادنا للتتار، وأظهـــر الله للمســـلمين صـــدق ما وعدناهم به وبركة ما أمرناهم به، وكان ذلك فتحا عظـــيما ما رأى المسلمون مثله منذ خرجت مملكة التتار التي أذلت أهل الإسلام، فإنهم لـــم يهـــزموا ويغلبوا كما غلبوا على باب دمشق في الغزوة الكبرى التي أنعم الله علينا فـــيها من النعم بما لا نحصيه خصوصا وعموما، والحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله.

مجموع الفتاوى ٢٧/٥٠٥- ٥١١

ثانياً : جهاده يوم قازان، والجبلية والجهمية والاتحادية

بـــل جهادنـــا فـــي هذا مثل جهادنا يوم قازان، والجبلية، والجهمية، والاتحادية، وأمثال ذلك. وذلك من أعظم نعم الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

مجموع الفتاوى ٢٨/٥٩

الفصل الثالث

قصصه



الفصل الثالث

قصصه

أولاً : قصصه عن الجن والشياطين

القصة الأولى

تمثل الشياطين بصورة المشايخ واستغاثة بعض الناس بابن تيمية

وإذا تبين ما أمر الله به ورسوله، وما نهى الله عنه ورسوله في حق أشرف الخلق وأكرمهم على الله عز وجل، وسيد ولد آدم وخاتم الرسل والنبيين وأفضل الأولين والإخرين، وأرفع الشفعاء منزلة وأعظمهم جاها عند الله تبارك وتعالى، تبين أن من دونه من الأنبياء والصالحين أولى بأن لا يشرك به، ولا يتخذ قبره وثنا يعبد، ولا يدعى من دون الله لا في حياته ولا في مماته.

ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين ولا الميتين، مثل أن يقول: يا سيدى فلانا أغثني وانصرني وادفع عني، أو أنا في حسبك، ونحو ذلك، بل كل هذا من الشرك الذي حرم الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالإضطرار من دين الإسلام، وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم _ لما كانوا من جنس عباد الأوثان _ صار الشيطان يضلهم ويغويهم، كما يضل عباد الأوثان ويغويهم، فتتصور الشياطين في صورة ذلك المستغاث به، وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة، كما تخاطب الشياطين الكهان، وبعض ذلك صدق، لكن لابد أن يكون في ذلك ما هو كذب بل، الكذب أغلب عليه من الصدق. وقد تقضي الشياطين بعض حاجاتهم، وتدفع عنهم بعض ما يكرهونه، فيظن أحدهم أن الشيخ هو الذي جاء من الغيب حتى فعل، ذلك أو يظن أن الله تعالى صور ملكا على صورته فعل ذلك، ويقول أحدهم: هذا سر الشيخ وحاله، وإنما هو الشيطان تمثل على صورته ليضل المشرك به المستغيث به، كما تدخل الشياطين في إلاصنام وتكلم عابديها وتقضي بعض حوائجهم، كما كان ذلك في أصنام مشركي العرب، وهو اليوم موجود في المشركين من الترك

والهند وغيرهم، وأعرف من ذلك وقائع كثيرة في أقوام استغاثوا بي وبغيري في حال غيبتنا عنهم، فرأوني أو ذاك الإخر الذي استغاثوا به قد جئنا في الهواء ودفعنا عنهم، ولما حدثوني بذلك بينت لهم أن ذلك إنما هو شيطان تصور بصورتي وصورة غيري من الشيوخ الذين استغاثوا بهم ليظنوا أن ذلك كرامات للشيخ فتقوى عزائمهم في الاستغاثة بالشيوخ الغائبين والميتين، وهذا من أكبر الأسباب التي بها أشرك المشركون وعبدة الأوثان.

وكذلك المستغيثون من النصارى بشيوخهم الذين يسمونهم العلامس، يرون أيضا من يأتي على صورة ذلك الشيخ النصراني الذي استغاثوا به فيقضي بعض حوائجهم.

وهؤلاء الذين يستغيثون بالأموات من الأنبياء والصالحين والشيوخ وأهل بيت النبي ﷺ غاية أحدهم أن يجري له بعض هذه الأمور، أو يحكى لهم بعض هذه الأمور فيظن أن ذلك كرامة وخرق عادة بسبب هذا العمل ومن هؤلاء من يأتي إلى قبر الشيخ الذي يشرك به ويستغيث به، فينزل عليه من الهواء طعام أو نفقة أو سلاح، أو غير ذلك مما يطلبه، فيظن ذلك كرامة لشيخه، وإنما ذلك كله من الشياطين. وهذا من أعظم الأسباب التي عبدت بها الأوثان.

مجموع الفتاوى ١ / ٣٥٩-٣٦١

القصة الثانية

الاستغاثة بالمشايخ وبالخضر

وبين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة: منها أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية سببها ما نهى الله عنه ورسوله وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣] فالقول على الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش، قد حرمها الله تعالى ورسوله، فلا تكون سببا لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها، فإذا كانت لا تحصل

بالصلاة والذكر وقراءة القرآن، بل تحصل بما يحبه الشيطان وبالأمور التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش، فهي من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية.

ومـــن هـــؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار، فإذا حصل[1] رجل من أولياء الله تعالى طرد شيطانه فيسقط كما جرى هذا لغير واحد.

ومـــن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك الحي مسلما أو نصـــرانيا أو مشركا، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجـــة ذلـــك المســـتغيث فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل الاصنام وتكلم المشركين.

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصـــارى وكثيـــر مـــن الكفار بأرض المشرق والمغرب، يموت لهم الميت، فيأتي الشـــيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون، ويرد الودائـــع، ويفعـــل أشياء تتعلق بالميت، ويدخل على زوجته ويذهب، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار كما تصنع كفار الهند، فيظنون أنه عاش بعد موته.

ومـــن هـــؤلاء شـــيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحدا يغسلني، فأنا أجيء وأغسل نفسي، فلما مات رأى خادمه شخصا في صورته فاعتقد أنه هـــو دخـــل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسله -أي غسل الميت- غاب وكان ذلـــك شـــيطانا، وكان قد أضل الميت، وقال: إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك، فلما مات جاء أيضا في صورته ليغوي الأحياء كما أغوى الميت قبل ذلك.

ومـــنهم مـــن يرى عرشا في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول أنا ربـــك، فـــإن كـــان من أهل المعرفة علم أنه شيطان، فزجره واستعاذ بالله منه فيزول. ومـــنهم مـــن يـــرى أشخاصـــا في اليقظة يدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من

---

(١) كذا في المطبوع، ولعلها: حضر.

الصـــالحين، وقد جرى هذا لغير واحد، ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر إما الصـــديق رضـــي الله عـــنه أو غيره قد قص شعره أو حلقه أو ألبسه طاقيته أو ثوبه فيصـــبح وعلـــى رأسه طاقية وشعره محلوق أو مقصر، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصـــروه. وهـــذه الأحـــوال الشـــيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة، وهم درجـــات، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم وهم على مذهبهم، والجن فيهم الكافر والفاســـق والمخطـــيء، فإن كان الإنسي كافرا أو فاسقا أو جاهلا دخلوا معه في الكفر والفســـوق والضـلال، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر، مثل الأقسام علـــيهم بأســـماء من يعظمونه من الجن وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامـــه بالنجاســـة، أو يقلـــب فاتحـــة الكتاب أو سورة الإخلاص أو آية الكرسي أو غيرهن ويكتبهن بنجاسة، فيغورون له الماء، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر. وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبي إما في الهواء وإما مدفوعا ملجأ إليه.

إلـــى أمـــثال هـــذه الأمـــور التـــي يطول وصفها، والإيمان بها إيمان بالجبت والطاغـــوت، والجبت السحر، والطاغوت الشياطين والأصنام، وإن كان الرجل مطيعا لله ورسوله باطنا وظاهرا لم يمكنهم الدخول معه في ذلك أو مسالمته......

والشـــيطان يضـــل بنـــي آدم بحسب قدرته، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها -كما يفعل أهل دعوة الكواكب- فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمـــور، ويسمون ذلك روحانية الكواكب، وهو شيطان، والشيطان وإن أعان الإنسان علـــى بعض مقاصده فإنه يضره أضعاف ما ينفعه، وعاقبة من أطاعه إلى شر، إلا ان يـــتوب الله عليه، وكذلك عباد الاصنام قد تخاطبهم الشياطين، وكذلك من استغاث بميت أو غائـــب، وكذلك من دعا الميت أو دعا به أو ظن ان الدعاء عند قبره أفضل منه في البـــيوت والمســـاجد، ويـــروون حديثا هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو: "إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور". وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك.

ويـــوجد لأهـــل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عباد الاصنام والنصارى والضـــلال من المسلمين أحوال عند المشاهد، يظنونها كرامات وهي من الشياطين مثل أن يضـــعوا ســـراويل عـــند القبر فيجدونه قد انعقد، أو يوضع عنده مصروع فيرون

شيطانه قد فارقه يفعل الشيطان هذا ليضلهم، وإذا قرأت آية الكرسى هناك بصدق بطل هـذا، فإن التوحيد يطرد الشيطان، ولهذا حمل بعضهم في الهواء، فقال لا إله إلا الله، فسـقط، ومـثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه انسان فيظنه الميت وهو شيطان.

وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع.

ولمـا كـان الانقطاع الى المغارات والبوادى من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسـوله صارت الشياطين كثيرا ما تأوي الى المغارات والجبال، مثل مغارة الدم التي بجـبل قاسـيون وجـبل لبنان الذي بساحل الشام، وجبل الفتح بأسوان بمصر، وجبال بالـروم وخراسان، وجبال بالجزيرة، وغير ذلك، وجبل اللكام، وجبل الأحيش، وجبل سـولان، قـرب أردبـيل، وجبل شهنك عند تبريز، وجبل ماشكو عند أقشوان، وجبل نهاونـد، وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس ان بها رجالا من الصالحين من الإنـس، ويسـمونهم رجال الغيب، وإنما هناك رجال من الجن، فالجن رجال كما أن الإنـس، رجال قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعرانى جلده يشبه جلد الماعز، فيظن من لا يعـرفه أنه إنسي وإنما هو جني، ويقال بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال، وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال هم جن بهذه الجبال، كما يعرف ذلك بطرق متعددة.

وهـذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطه وذكر ما نعرفه من ذلك، فإنا قد رأينا وسـمعنا مـن ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذي كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به جمل ذلك.

مجموع الفتاوى ١١ / ٢٨٧ – ٢٩٤

القصة الثالثة

خوارق تصنعها الشياطين

ولما كانت الخوارق كثيرا ما تنقص بها درجة الرجل، كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ويستغفر الله تعالى، كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ولا يجعلها همته ولا يتبجح بها، مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها؟ فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول: هنيئا لك يا ولي الله، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة أو تمر به أنوار، أو تحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله.

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له أنا من أمر الله، ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ويظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينا أو شمالا ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر، وتحمله إلى مكة وتأتي به، وتأتيه باشخاص في صورة جميلة وتقول له: هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك، فيقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان؟! فيرفع رأسه فيجدهم بلحى، ويقول له: علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة فتنبت ويراها، وغير ذلك، وكله من مكر الشيطان.

وهـذا بـاب واسـع لو ذكرت ما أعرفه منه لا حتاج إلى مجلد كبير، وقد قال تعالـى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجـر: ١٥-١٦] قال الله تبارك وتعالى: (كلا) ولفظ كلا فيها زجر وتنبيه، زجر عن مثل هذا القول، وتنبيه على ما يخبر به ويؤمـر به بعده، وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة يكون الله عز وجـل مكـرما له بها، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهينا له بذلك، بل هو سبحانه يبتلى عبده بالسراء والضراء، فقد يعطي النعم الدنيوية لمن لا يحبه، ولا هو كريم عنده ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه لئلا تنقص بذلك مرتبته عنده أو يقع بسببها فيما يكرهه منه.

وأيضـا كـرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفـر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله، فمن كانـت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء، وإنما تحصل عـند الشـرك، مـثل دعـاء الميت والغائب، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات، كالحـيات والزنابيـر والخنافس والدم وغيره من النجاسات، ومثل الغناء والرقص، لا سـيما مـع النسوة الأجانب والمردان، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوى عـند سـماع مزامير الشيطان فيرقص ليلا طويلا، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدا أو ينقر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ويتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لـذة عند وجده، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد، فهذه أحوال شيطانية.

مجموع الفتاوى ١١ / ٣٠٠ - ٣٠٢

القصة الرابعة

خوارق الشياطين واستنجاد بعض الناس بالخضروابن تيمية

ورؤية ابن تيمية خط الجن

فصـــار كثير من الناس لا يعلمون ما للسحرة والكهان، وما يفعله الشياطين من العجائــب، وظــنوا أنها لا تكون إلا لرجل صالح، فصار من ظهرت هذه له يظن أنها كــرامة، فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة الأولياء، وكذلك غيرهم يظن فيه ذلك، ثم يقولون: الولي إذا تو لى لا يعترض عليه، فمنهم من يراه مخالفا لما علم بالاضطرار مــن ديــن الرســول، مثل ترك الصلاة المفروضة، وأكل الخبائث كالخمر والحشيشة والميتة وغير ذلك، وفعل الفواحش، والفحش والتفحش في المنطق، وظلم الناس، وقتل الــنفس بغير حق، والشرك بالله، وهو مع ذلك يظن فيه أنه ولي من أولياء الله قد وهبه هذه الكرامات بلا عمل فضلا من الله تعالى، ولا يعلمون أن هذه من أعمال الشياطين، وأن هذه من أولياء الشياطين تضل بها الناس وتغويهم.

ودخلــت الشــياطين فــي أنواع من ذلك، فتارة يأتون الشخص في النوم يقول أحــدهم: أناأبــو بكر الصديق، وأنا أتوبك لي، وأصير شيخك، وأنت تتوب الناس لي، ويلبســه فيصبح وعلى رأسه ما ألبسه، فلا يشك أن الصديق هو الذي جاءه ولا يعلم أنــه الشــيطان، وقد جرى مثل هذا لعدة من المشايخ بالعراق والجزيرة والشام، وتارة يقــص شعره في النوم فيصبح فيجد شعره مقصوصا، وتارة يقول: أنا الشيخ فلان فلا يشك أن الشيخ نفسه جاءه وقص شعره.

وكثيــرا مــا يســتغيث الرجل بشيخه الحي أو الميت، فيأتونه في صورة ذلك الشــيخ، وقــد يخلصونه مما يكره، فلا يشك أن الشيخ نفسه جاءه، أو أن ملكا تصور بصــورته وجاءه، ولا يعلم أن ذلك الذي تمثل إنما هو الشيطان لما أشرك بالله أضلته الشياطين، والملائكة لا تجيب مشركا.

وتــارة يأتــون إلــى من هو خال في البرية، وقد يكون ملكا أو أميرا كبيرا، ويكــون كافرا، وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت، فيأتيه في صورة إنسي

ويسـقيه ويدعـوه إلـى الإسلام ويتوبه، فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه، ويدله على الطريق، ويقول: من أنت؟فيقول: أنا فلان ويكون من مؤمني الجن.

كمـا جرى مثل هذا لي، كنت في مصر في قلعتها، وجرى مثل هذا إلى كثير مـن التـرك مـن ناحية المشرق، وقال له ذلك الشخص: أنا ابن تيمية، فلم يشك ذلك الأمير أني أنا هو، وأخبر بذلك ملك ماردين، وأرسل بذلك ملك ماردين إلى ملك مصر رسـولا وكـنت في الحبس، فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس، ولكن كان هذا جنـيا يحبـنا فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم لما جاءوا إلى دمشق، كنت أدعوهم إلى الإسلام فإذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر، فعمل معهم مثل ما كنت أعمل، وأراد بذلك إكرامي ليظن ذاك أني أنا الذي فعلت ذلك.

قـال لـي طائفة من الناس: فلم لا يجوز أن يكون ملكا ؟قلت: لا، إن الملك لا يكذب، وهذا قد قال: أنا ابن تيمية، وهو يعلم أنه كاذب في ذلك.

وكثير من الناس رأى من قال إني أنا الخضر، وإنما كان جنيا.

ثـم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات إنكارا لموت الخضر، والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر، وكلا الطائفتين مخطيء، فإن الذين رأوا من قال إنـي أنا الخضر هم كثيرون صادقون، والحكايات متواترات، لكن أخطؤا في ظنهم أنه الخضر، وإنما كان جنيا، ولهذا يجري مثل هذا لليهود والنصارى، فكثيرا ما يأتيهم في كنائسهم من يقول إنه الخضر، وكذلك اليهود يأتيهم في كنائسهم من يقول: إنه الخضر، وفـي ذلـك مـن الحكايات الصادقة ما يضيق عنه هذا الموضع يبين صدق من رأى شخصـا وظن أنه الخضر، وأنه غلط في ظنه أنه الخضر، وإنما كان جنيا، وقد يقول: أنا المسيح، أو موسى، أو محمد، أوأبو بكر، أو عمر، أو الشيخ فلان، فكل هذا قد وقع والنبـي ﷺ قـال: "مـن رآنـي فـي المنام فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل في صـورتي". قـال ابن عباس: في صورته التي كان عليها في حياته. وهذه رؤية في المـنام، وأما في اليقظة فمن ظن أن أحدا من الموتى يجيء بنفسه للناس عيانا قبل يوم القيامة فمن جهله أتي.

ومن هنا ضلت النصارى حيث اعتقدوا أن المسيح بعد أن صلب -كما يظنون- أنه أتى إلى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهذا مذكور في أناجيلهم، وكلها تشهد بذلك، وذاك الذي جاء كان شيطانا قال أنا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه، ويجوز أن يشتبه مثل هذا على الحواريين كما اشتبه على كثير من شيوخ المسلمين، ولكن ما أخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذي يجب عليهم تبليغه، ولم يرفع حتى بلغ رسالات ربه، فلا حاجة إلى مجيئه بعد أن رفع إلى السماء.

وأصحاب الحلاج لما قتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج، فيرونه في صورته عيانا، وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي بعد أن مات كان يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة، وأراني صادق من أصحابه الكتاب الذي أرسله فرأيته بخط الجن- وقد رأيت خط الجن غير مرة -وفيه كلام من كلام الجن، وذاك المعتقد يعتقد أن الشيخ حي، وكان يقول: انتقل ثم مات، وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من الجن، وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون أنه هو، وهكذا الذين كانوا يعتقدون بقاء علي أو بقاء محمد بن الحنفية، قد كان يأتي إلى بعض أصحابهم جني في صورته، وكذا منتظر الرافضة قد يراه أحدهم أحيانا ويكون المرئي جنيا، فهذا باب واسع واقع كثيرا.

مجموع الفتاوى ١٣ / ٩١-٩٥

القصة الخامسة

تلذذ الشياطين بالكفر

ثم الشياطين منهم من يختار الكفر والشرك ومعاصي الرب، وإبليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر، ويلتذون به ويطلبونه، ويحرصون عليه بمقتضى خبث أنفسهم، وإن كان موجبا لعذابهم وعذاب من يغوونه، كما قال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣] وقال تعالى: ﴿قَالَ

أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ [الإسراء: ٦٢] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠].

و الإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به، بل يعشق ذلك عشقا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله، والشيطان هو نفسه خبيث، فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم، فيقضون بعض أغراضه، كمن يعطي غيره مالا ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة.

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة، وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل، إما حروف الفاتحة، وإما حروف قل هو الله أحد، وإما غيرهما، إما دم وإما غيره، وإما بغير نجاسة. أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان، أو يتكلمون بذلك. فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم، إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة، وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به، وإما غير ذلك.

وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له ممن أعرفه ما يطول حكايته فإنهم كثيرون جدا.

مجموع الفتاوى ١٩/٣٤-٣٥

القصة السادسة

تصور الشيطان في صورة بعض المشايخ

وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به إذا كان ميتا. وكذلك قد يكون حيا ولا يشعر بالذى ناداه، بل يتصور الشيطان بصورته، فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه وإنما هو الشيطان،

وهـذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء، كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم، ويقع لأهل الشرك والضلال من المنتسبين إلى الإسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين، يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشعر.

وأعرف عددا كثيرا وقع لهم في عدة أشخاص يقول لي كل من الأشخاص: إني لم أعرف أن هذا استغاث بي، والمستغيث قد رأى ذلك الذي هو على صورة هذا، وما أعتقد أنه إلا هذا. وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بي، كل يذكر قصة غير قصة صاحبه، فأ خبرت كلا منهم أني لم أجب أحدا منهم ولا علمت باستغاثته، فقيل: هذا يكون ملكا، فقلت: الملك لا يغيث المشرك، إنما هو شيطان أراد أن يضله.

وكذلك يتصور بصورته ويقف بعرفات، فيظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات، وكثير منهم حمله الشيطان إلى عرفات أو غيرها من الحرم، فيتجاوز الميقات بلا إحرام ولا تلبية، ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة، وفيهم من لا يعبر مكة، وفيهم من يقف بعرفات ويرجع ولا يرمي الجمار، إلى أمثال ذلك من الأمور التي يضلهم بها الشيطان حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع، وإما محرم وإما مكروه، ليس بواجب ولا مستحب، وقد زين لهم الشيطان أن هذا من كرامات الصالحين، وهو من تلبيس الشيطان.

مجموع الفتاوى ١٩/ ٤٧-٤٨

القصة السابعة

ضرب ابن تيمية للمصروعين بالجن

قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب، فيضرب ضربا كثيرا جدا، والضرب إنما يقع على الجنى ولا يحس به المصروع، حتى يفيق المصروع، ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة وأكثر وأقل، بحيث لو كان على الإنسي لقتله، وإنما هو على الجني والجني يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين

بأمور متعددة، كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين.

مجموع الفتاوى ١٩ / ٦٠

القصة الثامنة

ضرب ابن تيمية شياطين دخلت في الإنس حتى خرجت منهم

وأما إخوان الشياطين: فإذا دخلت فيهم الشياطين، فقد يدخلون النار ولاتحرقم، كما يضرب أحدهم ألف سوط، ولا يحس بذلك، فإن الشياطين تتلقى ذلك.

وهذا أمر كثير معروف، قد رأينا من ذلك ما يطول وصفه، قد ضربنا نحن من الشياطين في الإنس ما شاء الله، حتى خرجوا من الإنس، ولم يعاودوه. وفيهم من يخرج بالذكر والقرآن. وفيهم من يخرج بالوعظ والتخويف. وفيهم من لايخرج إلا بالعقوبة كالإنس.

النبوات ٢/١٠٢٥

القصة التاسعة

استغاثة أهل البدع بابن تيمية وغيره من المشايخ

و هكذا كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة، فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت، أو يستغيث به عند قبره ويسأله، وقد ينذر له نذرا ونحو ذلك، ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره، أو كلمه ببعض ما سأله عنه، ونحو ذلك فيظنه الشيخ نفسه أتى إن كان حيا، حتى إني أعرف من هؤلاء جماعات يأتون إلى الشيخ نفسه الذي استغاثو ابه وقد رأوه أتاهم في الهواء فيذكرون ذلك له. هؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ وهؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ، فتارة يكون الشيخ نفسه لم يكن يعلم بتلك القضية، فإن كان يحب الرياسة سكت وأوهم أنه نفسه أتاهم وأغاثهم، وإن كان فيه صدق مع جهل وضلال قال: هذا

ملك صوره الله على صورتي. وجعل هذا من كرامات الصالحين، وجعله عمدة لمن يستغيث بالصالحين، ويتخذهم أربابا، وأنهم إذا استغاثوا بهم بعث الله ملائكة على صورهم تغيث المستغيث بهم.

و لهذا أعرف غير واحد من الشيوخ الأكابر الذين فيهم صدق وزهد وعبادة لما ظنوا هذا من كرامات الصالحين صار أحدهم يوصي مريديه يقول: إذا كانت لأحدكم حاجة فليستغث بي، وليستنجدني وليستوصني، ويقول: أنا أفعل بعد موتي ما كنت أفعل في حياتي، وهو لايعرف أن تلك شياطين تصورت على صورته لتضله، وتضل أتباعه، فتحسن لهم الإشراك بالله، ودعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، وأنها قد تلقي في قلبه أنا نفعل بعد موتك بأصحابك ما كنا نفعل بهم في حياتك، فيظن هذا من خطاب إلهي ألقي في قلبه، فيأمر أصحابه بذلك، وأعرف من هؤلاء من كان له شياطين تخدمه في حياته بأنواع الخدم مثل خطاب أصحابه المستغيثين به، وإعانتهم وغير ذلك، فلما مات صاروا يأتون أحدهم في صورة الشيخ، ويشعرونه أنه لم يمت، ويرسلون إلى أصحابه رسائل بخطاب، وقد كان يجتمع بي بعض أتباع هذا الشيخ، وكان فيه زهد وعبادة، وكان يحبني ويحب هذا الشيخ ويظن أن هذا من الكرامات، وأن الشيخ لم يمت، وذكر لي الكلام الذي أرسله إليه بعد موته فقرأه فإذا هو كلام الشياطين بعينه، وقد ذكر لي غير واحد ممن أعرفهم أنهم استغاثوابي فرأوني في الهواء وقد أتيتهم من تلك الشدائد، مثل من أحاط به النصارى الأرمن ليأخذوه، وآخر قد أحاط به العدو ومعه كتب ملطفات من مناصحين لو اطلعوا على ما معه لقتلوه، ونحو ذلك، فذكرت لهم أني مادريت بما جرى أصلا، وحلفت لهم على ذلك حتى لا يظنوا أني كتمت ذلك كما تكتم الكرامات، وأنا قد علمت أن الذي فعلوه ليس بمشروع، بل هو شرك وبدعة، ثم تبين لي فيما بعد، وبينت لهم أن هذه شياطين تتصور على صورة المستغاث به.

وحكى لي غير واحد من أصحاب الشيوخ أنه جرى لمن استغاث بهم مثل ذلك، وحكى خلق كثير أنهم استغاثوا بأحياء وأموات فرأوا مثل ذلك، واستفاض هذا حتى عرف أن هذا من الشياطين، والشياطين تغوى الإنسان بحسب الإمكان، فإن كان ممن لا يعرف دين الإسلام أوقعته في الشرك الظاهر، والكفر المحض، فأمرته أن لا يذكر الله، وأن

يسجد للشيطان، ويذبح له، وأمرته أن يأكل الميتة والدم ويفعل الفواحش، وهذا يجري كثيرا فـي بلاد الكفر المحض وبلاد فيها كفر وإسلام ضعيف، ويجري في بعض مدائن الإسلام فـي المواضع التي يضعف إيمان أصحابها حتى قد جرى ذلك في مصر والشام على أنواع يطول وصفها، وهو في أرض الشرق قبل ظهور الإسلام في التتار كثير جدا، وكلما ظهر فـيهم الإسـلام وعـرفوا حقيقته قلت آثار الشياطين فيهم، وإن كان مسلما يختار الفواحش والظلـم أعانته على الظلم والفواحش، وهذا كثير جدا أكثر من الذي قبله في البلاد التي في أهلهـا إسلام وجاهلية، وبر وفجور، وإن كان الشيخ فيه إسلام وديانة ولكن عنده قلة معرفة بحقـيقة مـا بعث الله به رسوله ﷺ، وقد عرف من حيث الجملة أن لأولياء الله كرامات، وهـو لايعرف كمال الولاية، وأنها الإيمان والتقوى واتباع الرسل باطنا وظاهرا، أو يعرف ذلك مجملا ولا يعرف من حقائق الإيمان الباطن وشرائع الإسلام الظاهرة ما يفرق به بين الأحوال الرحمانية، وبين النفسانية والشيطانية.

مجموع الفتاوى ١٧/٤٥٦- ٤٥٩

القصة العاشرة

الخضر ميت ومن رآه فإنما رأى شيطانا

وكذلك الذين يرون الخضر أحيانا هو جني رآه، وقد رآه غير واحد ممن أعرفه وقال إنني الخضر، وكان ذلك جنيا لبس على المسلمين الذين رأوه، وإلا فالخضر الذي كـان مـع موسى عليه السلام مات، ولو كان حيا على عهد رسول الله لوجب عليه أن يأتـي إلى النبي ﷺ ويؤمن به ويجاهد معه، فإن الله فرض على كل أحد أدرك محمدا ولـو كـان من الأنبياء أن يؤمنوا به ويجاهدوا معه، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

قال ابن عباس رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، ولم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى الخضر، ولا أنه أتى إلى النبي ﷺ، فإن الصحابة كانوا أعلم وأجل قدرا من أن يلبس الشيطان عليهم، ولكن لبس على كثير ممن بعدهم، فصار يتمثل لأحدهم في صورة النبي، ويقول: أنا الخضر، وإنما هو شيطان، كما أن كثيرا من الناس يرى ميته خرج وجاء إليه وكلمه في أمور وقضى حوائج فيظنه الميت نفسه، وإنما هو شيطان تصور بصورته، وكثير من الناس يستغيث بمخلوق إما نصراني كجرجس، أو غير نصراني، فيراه قد جاءه، وربما يكلمه، وإنما هو شيطان تصور بصورة ذلك المستغاث به لما أشرك به المستغيث تصور له، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم الناس، ومثل هذا موجود كثير في هذه الأزمان في كثير من البلاد، ومن هؤلاء من تحمله الشياطين فتطير به في الهواء إلى مكان بعيد، ومنهم من تحمله إلى عرفة فلا يحج حجا شرعيا، ولا يحرم ولا يلبي ولا يطوف ولا يسعى، ولكن يقف بثيابه مع الناس ثم يحملونه إلى بلده وهذا من تلاعب الشياطين بكثير من الناس، كما قد بسط الكلام في غير هذا الموضع.

مجموع الفتاوى ٢٧/١٨-١٩

القصة الحادية عشرة

إنكار مشهد الحسين بالقاهرة

أما المنامات فكثير منها بل أكثرها كذب، وقد عرفنا في زماننا بمصر والشام والعراق من يدعي أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع أنه قبر نبي، أو أن فيه أثر نبي ونحو ذلك. ويكون كاذبا. وهذا الشيء منتشر. فرائي المنام غالبا ما يكون كاذبا، وبتقدير صدقه فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان. والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق. فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي

ﷺ أنـــه قال: "الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه، ورؤيا من الشيطان".

فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة. فلابد من تمييز كل نوع منها عن نوع.

ومن الناس -حتى من الشيوخ الذي لهم ظاهر علم وزهد -من يجعل مستنده في مـــثل ذلك حكاية يحكيها عن مجهول، حتى إن منهم من يقول حدثني أخي الخضر أن قبر الخضر بمكان كذا. ومن المعلوم الذي بيناه في غير هذا الموضع أن كل من ادعى أنـــه رأى الخضـــر أو رأى من رأى الخضر، أو سمع شخصا رأى الخضر، أو ظن الرائـــي أنه الخضر، أن كل ذلك لا يجوز إلا على الجهلة المخرفين، الذين لا حظ لهم من علم ولا عقل ولا دين، بل هم من الذين لا يفقهون ولا يعقلون.

وأما ما يذكر من وجود رائحة طيبة، أو خرق عادة أو نحو ذلك نحو مما يتعلق بالقبـــر، فهذا لا يدل على تعينه، وأنه فلان أو فلان، بل غاية ما يدل عليه -إذا ثبت- أنه دليل على صلاح المقبور، وأنه قبر رجل صالح أو نبي.

وقـــد تكون تلك الرائحة مما صنعه بعض السوقة. فإن هذا مما يفعله طائفة من هـــؤلاء كما حدثني بعض أصحابنا أنه ظهر بشاطىء الفرات رجلان، وكان أحدهما قد اتخـــذ قبـــرا تجبى إليه أموال ممن يزوره وينذر له من الضلال، فعمد الآخر إلى قبر، وزعم أنه رأى في المنام أنه قبر عبدالرحمن بن عوف، وجعل فيه من أنواع الطيب ما ظهرت له رائحة عظيمة.

وقـــد حدثني جيران القبر الذي بجبل لبنان بالبقاع، الذي يقال: إنه قبر نوح، وقد كـــان قـــد ظهر قريبا في أثناء المائة السابعة، وأصله أنهم شموا من قبر رائحة طيبة ووجدوا عظاما كبيرة، فقالوا: هذه تدل على كبير خلق البنية. فقالوا بطريق الظن: هذا قبر نوح. وكان بالبقعة موتى كثيرون من جنس هؤلاء.

وكـــذلك هذا المشهد العسقلاني قد ذكر طائفة أنه قبر بعض الحواريين أو غيرهم من أتباع عيسى بن مريم، وقد يوجد عند قبور الوثنيين من جنس ما يوجد عند قبور المؤمنين، بل إن زعم الزاعم أنه قبر الحسين ظن وتخرص. وكان من

الشيوخ المشهورين بالعلم والدين بالقاهرة من ذكروا عنه أنه قال: هو قبر نصراني.

وكذلك بدمشق بالجانب الشرقي مشهد يقال: إنه قبر أبي بن كعب. وقد اتفق أهل العلم على أن أبيا لم يقدم دمشق، وإنما مات بالمدينة. فكان بعض الناس يقول: إنه قبر نصراني. وهذا غير مستبعد فإن اليهود والنصارى هم السابقون في تعظيم القبور والمشاهد.

...... ما زال أهل العلم في كل وقت وزمان يذكرون في هذا المشهد القاهري المنسوب إلى الحسين أنه كذب ومين، كما يذكرون ذلك في أمثاله من المشاهد المكذوبة، مثل المشاهد المنسوبة بدمشق إلى أبي بن كعب، وأويس القرني، أو هود، أو نوح، أو غيرهما، والمشهد المنسوب بحران إلى جابر بن عبدالله. وبالجزيرة إلى عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن عمر ونحوهما. وبالعراق إلى علي رضي الله عنه ونحوه، وكذلك ما يضاف إلى الأنبياء غير قبر نبينا محمد ﷺ وإبراهيم الخليل عليه السلام.

فإنه لما كان كثير من المشاهد مكذوبا مختلقا كان أهل العلم في كل وقت يعلمون أن ذلك كذب مختلق، والكتب والمصنفات المعروفة عن أهل العلم بذلك مملوءة من مثل هذا يعرف ذلك من تتبعه وطلبه.

وما زال الناس في مصنفاتهم ومخاطباتهم يعلمون أن هذا المشهد القاهري من المكذوبات المختلقات، ويذكرون ذلك في المصنفات، حتى من سكن هذا البلد من العلماء بذلك.

فقد ذكر أبو الخطاب بن دحية في كتابه "العلم المشهور" في هذا المشهد فصلا مع ما ذكره في مقتل الحسين من أخبار ثابتة وغير ثابتة. ومع هذا فقد ذكر أن المشهد كذب بالإجماع، وبين أنه نقل من عسقلان في آخر الدولة العبيدية، وأنه وضع لأغراض فاسدة، وأنه بعد ذلك بقليل أزال الله تلك الدولة وعاقبها بنقيض قصدها. وما زال ذلك مشهورا بين أهل العلم حتى أهل عصرنا من ساكني الديار المصرية: القاهرة وما حولها.

فقد حدثني طائفة من الثقات عن الشيخ أبي عبدالله محمد بن علي الغنوي المعروف بابن دقيق العيد، وطائفة عن الشيخ أبي محمد عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي، وطائفة عن الشيخ أبي محمد بن القسطلاني، وطائفة عن الشيخ أبي عبدالله محمد القرطبي صاحب التفسير وشرح أسماء الله الحسنى، وطائفة عن الشيخ عبدالعزيز الديريني، كل من هؤلاء حدثني عنه من لا أتهمه، وحدثني عن بعضهم عدد كثير، كل يحدثني عمن حدثني من هؤلاء أنه كان ينكر أمر هذا المشهد ويقول: إنه كذب، وإنه ليس فيه الحسين ولا غيره. والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال: إن فيه نصرانيا. بل القرطبي والقسطلاني ذكرا بطلان أمر هذا المشهد في مصنفاتهما، وبينا فيها أنه كذب. كما ذكره أبو الخطاب ابن دحية.

وابن دحية هو الذي بنى له الكامل دار الحديث الكاملية. وعنه أخذأبو عمرو بن الصلاح ونحوه كثيرا مما أخذوه ومن ضبط الاسماء واللغات. وليس الاعتماد في هذا على واحد بعينه، بل هو الإجماع من هؤلاء. ومعلوم أنه لم يكن بهذه البلاد من يعتمد عليه في مثل هذا الباب أعلم ولا أدق من هؤلاء ونحوهم.

فإذا كان كل هؤلاء متفقين على أن هذا كذب ومين علم أن الله قد برأ منه الحسين.

وحدثني من حدثني من الثقات أن من هؤلاء من كان يوصي أصحابه بأن لا يظهروا ذلك عنه خوفا من شر العامة بهذه البلاد، لما فيهم من الظلم والفساد. إذ كانوا في الأصل دعاة للقرامطة الباطنيين. الذين استولوا عليها مائتي سنة. فزرعوا فيهم من أخلاق الزنادقة المنافقين، وأهل الجهل المبتدعين، وأهل الكذب الظالمين، مالم يمكن أن ينقلع إلا بعد حين. فإنه قد فتحها -بإزالة ملك العبيديين -أهل الإيمان والسنة في الدولة النورية والصلاحية، وسكنها من أهل الإسلام والسنة من سكنها، وظهرت بها كلمة الإيمان والسنة نوعا من الظهور، لكن كان

النفاق والبدعة فيها كثيرا مستورا، وفي كل وقت يظهر الله فيها من الإيمان والسنة مالم يكن مذكورا، ويطغى فيها من النفاق والجهل ما كان مشهورا.

والله هو المسئول أن يظهر بسائر البلاد ما يحبه ويرضاه من الهدى والسداد، ويعظم على عباده الخير بظهور الإسلام والسنة. ويحقق ما وعد به في القرآن من علو كلمته وظهور أهل الإيمان.

مجموع الفتاوى ٢٧/٤٥٧- ٤٦٠، ٤٨٤-٤٨٧

القصة الثانية عشرة

زعم المتفلسفة والاتحادية أن الخضر هو أرسطو وإبطال القول بحياة الخضر

وقولهم[١] إن الخضر هو أرسطو من أظهر الكذب البارد. والخضر على الصواب مات قبل ذلك بزمان طويل. والذين يقولون إنه حي -كبعض العباد، وبعض العامة، وكثير من اليهود والنصارى -غالطون في ذلك غلطا لا ريب فيه.

وسبب غلطهم أنهم يرون في الأماكن المنقطعة وغيرها من يظن أنه من الزهاد، ويقول: أنا الخضر، وقد يكون ذلك شيطانا قد يتمثل بصورة آدمي.

وهذا مما علمنا في وقائع كثيرة، حتى في المكان الذي كتبت فيه هذا عند الربوة بدمشق رأى شخص بين الجبلين صورة رجل قد سد ما بين الجبلين، وبلغ رأسه رأس الجبل، وقال: أنا الخضر، وأنا نقيب الأولياء. وقال للرجل الرائي: أنت رجل صالح، وأنت ولي الله، ومد يده إلى فأس كان الرجل نسيه في مكان وهو ذاهب إليه، فناوله إياه، وكان بينه وبين ذلك المكان نحو ميل. ومثل هذه الحكاية كثير.

وكل من قال إنه رأى الخضر وهو صادق إما أن يتخيل له في نفسه أنه رآه، ويظن ما في نفسه كان في الخارج، كما يقع لكثير من أرباب الرياضات. وإما أن يكون جنيا يتصور له بصورة انسان ليضله، وهذا كثير جدا قد علمنا منه ما يطول وصفه. وإما أن يكون رأى إنسيا ظن أنه الخضر، وهو غالط في ظنه، فإن قال له ذلك

---

(١) يعني الملاحدة المتفلسفة وغلاة المتصوفة.

الجني أو الإنسي إنه الخضر، فيكون قد كذب عليه. لا يخرج الصدق في هذا الباب عن هذه الأقسام الثلاثة.

وأمـــا الأحاديث فكثيرة. ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة أنه رأى الخضر ولا اجـــتمع بـــه، لأنهـــم كانوا أكمل علما وإيمانا من غيرهم. فلم يكن يمكن الشيطان التلبيس عليهم كما لبس على كثير من العباد. ولهذا كثير من الكفار -اليهود والنصارى- يأتيهم من يظنون أنه الخضر، ويحضر في كنائسهم، وربما حدثهم بأشياء، وإنما هو شيطان جاء إليهم فيضلهم.

الرد على المنطقيين ص ١٨٤-١٨٥

القصة الثالثة عشرة

بعض خوارق الشياطين لأوليائهم

والمقصـــود هنا أن ما يأتي به السحرة والكهان ونحوهم، هو مما يصنعه الإنس والجـــن، لا يخـــرج ذلك عنهم. والإنس والجن، قد أرسلت إليهم الرسل، فآيات الأنبياء خارجة عن قدرة الإنس والجن، لا يقدر عليها لا الإنس ولا الجن، ولله الحمد والمنة.

ومقـــدورات الجـــن هي من جنس مقدورات الإنس، لكن تختلف في المواضع، فـــإن الإنســـي يقدر على أن يضرب غيره حتى يمرض أو يموت، بل يقدر أن يكلمه بكلام يمرض به أو يموت.

فمـــا يقدر عليه الساحر من سحر بعض الناس حتى يمرض أو يموت، هو من مقدور الجن، وهومن جنس مقدور الإنس.

ومنعه من الجماع هو من جنس المرض المانع له من ذلك.

والحـــب والبغض لبعض الناس، كما يفعله الساحر، هو من استعانته بالشياطين، وهو من جنس مقدور الإنس. بل شياطين الإنس قد يؤثرون من البغض والحب أعظم مما تؤثره شياطين الجن.

والجـــن تقدر على الطيران في الهواء، وهو من الأعمال، والطيور تطير، فهو مـــن جـــنس مقدور الإنس، لكن يختلف المحل بأن هؤلاء سيرهم في الهواء، والإنس سيرهم على الأرض.

وكـذلك المشي على الماء، وطي الأرض، وهو قطع المسافة البعيدة في زمان قـريب، هـو من هذا الجنس، هو مما تفعله الجن، وهو مما تفعله الجن ببعض الناس، وقـد أخبـر الله عن العفريت أنه قال لسليمان عن عرش بلقيس وهو باليمن وسليمان بالشـام: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ [النمل: ٣٩]، ولهذا يوجد كثير من الكفار والفساق والجهال تطير بهم الجن في الهواء، وتمشي بهم على الماء، وتقطع بهم المسافة البعيدة في المدة القريبة.

وليس شيء من ذلك من آيات الأنبياء، ولله الحمد والمنة، إذ كان مقدور الإنس والجـن، والإخـبار ببعض الأمور الغائبة التي يأتي بها الكهان، هو أيضا من مقدور الجـن، فـإنهم تـارة يـرون الغائب فيخبرون به، وتارة يسترقون السمع من السماء فيخبرون به، وتارة يسترقون وهم يكذبون في ذلك، كما أخبر النبي ﷺ عنهم.

وما تخبر به الأنبياء من الغيب، لا يقدر عليه إنس ولا جن، ولا كذب فيه.

وأخـبار الكهـان وغيرهم كذبها أكثر من صدقها، وكذلك كل من تعود الأخبار عـن الغائب، فأخبار الجن لا بد أن تكذب، فإنه من طلب منهم الإخبار بالمغيب كان من جنس الكهان، وكذبوا في بعض ما يخبرون به، وإن كانوا صادقين في البعض.

وقـد ثـبت في الصحيح: " أن النبي ﷺ سئل عن الكهان فقيل له: إن منا قوما يأتون الكهان، قال: فلا يأتوهم". وثبت عنه في الصحيح أنه قال: "من أتى عرافا، فسأله عـن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين يوما. وفي السنن عنه أنه قال: "من اقتبس شعبة مـن الـنجوم فقـد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ". والنبي ﷺ لما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، لم يكن المقصود مجرد وصوله إلى الأقصى، بل المقصـود مـا ذكره الله بقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ [الإسراء: ١]، كما قال في سورة الـنجم: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾ [الـنجم: ١٣-١٨]، وما رآه مختص بالأنبياء، لا يكون ذلك لمن خالفهم، ولا يريه الله

تعالـــى ما أراه محمدا حين أسري به. وكذلك صلاته بالأنبياء في المسجد الأقصى، وركوبه على البراق، هذا كله من خصائص الأنبياء.

والـــذين تحملهـــم الجن وتطير بهم من مكان إلى مكان، أكثرهم لا يدري كيف حمـــل، بـــل يحمل الرجل إلى عرفات، ويرجع، وما يدري كيف حملته الشياطين، ولا يدعـــونه يفعـــل ما أمر الله به كما أمر الله به، بل قد يقف بعرفات من غير إحرام ولا إتمام مناسك الحج، وقد يذهبون به إلى مكة، ويطوف بالبيت من غير إحرام اذا حاذى الميقات- وذلك واجب في أحد قولي العلماء، ومستحب في الآخر - فيفوته المشروع، أو يوقعونه في الذنب، ويغرونه بأن هذا من كرامات الصالحين.

ولـــيس هو مما يكرم الله به وليه، بل هو مما أضلته به الشياطين، وأوهمته أن ما فعله قربة وطاعة، أو يكون صاحبه له عند الله منـــزلة عظيمة.

ولـــيس هو قربة وطاعة، وصاحبه لا يزداد بذلك منـــزلة عند الله، فإن التقرب إلـــى الله إنمـــا يكون بواجب أو مستحب، وهذا ليس بواجب ولا مستحب، بل يضلون صـــاحبه، ويصـــدونه عن تكميل ما يحبه الله منه، من عبادته وطاعته وطاعة رسوله، ويوهمونه أن هذا من أفضل الكرامات، حتى يبقى طالبا له، عاملا عليه.

وهم بسبب إعانتهم له على ذلك، قد استعملوه في بعض ما يريدون، مما ينقص قـــدره عـــند الله، أو وقوعه في ذنوب، وإن لم يعرف أنها ذنوب، فيكون ضالا ناقصا، وإن غفـــر له ذلك لعدم علمه، فإنه نقص درجته، وخفض منـــزلته بذلك الذي أوهموه أنه رفع درجته وأعلى منـــزلته.

وهـــذا مـــن جـــنس ما يفعله السحرة، فإن الساحر قد يصعد في الهواء والناس ينظـــرونه، وقـــد يركب شيئا من الجمادات، إما قصبة، وإما خابية، وإما مكنسة، وإما غيـــر ذلـــك، فيصـــعد به في الهواء، وذلك أن الشياطين تحمله. وتفعل الشياطين هذا ونحـــوه بكثيـــر من العباد والضلال، من عباد المشركين، وأهل الكتاب، والضلال من المسلمين، فتحملهم من مكان إلى مكان.

وقـــد يرى أحدهم بما يركبه إما فرس، وإما غيره، وهو شيطان تصور له في صورة مركوب.

وقـد يـرى أنـه يمشـي فـي الهواء من غير مركوب، والشيطان قد حمله. والحكايـات فـي هذا كثيرة معروفة عند من يعرف هذا الباب، ونحن نعرف من هذا أمورا يطول وصفها.

وكذلك المشي على الماء قد تجعل له الجن ما يمشي عليه، وهو يظن أنه يمشي علـى المـاء. وقد يخيلون إليه أنه التقى طرفا النهرليعبر، والنهر لم يتغير في نفسه، ولكن خيلوا إليه ذلك. وليس في هذا -ولله الحمد- شيء من جنس معجزات الأنبياء.

وقد يمشي على الماء قوم بتأييد الله لهم وإعانته إياهم بالملائكة، كما يحكى عن المسـيح، وكما جرى للعلاء بن الحضرمي في عبور الجيش، ولأبي مسلم الخولاني، وذلـك إعانة على الجهاد في سبيل الله، كما يؤيد الله المؤمنين بالملائكة، ليس هو من فعل الشياطين. والفرق بينهما من جهة السبب، ومن جهة الغاية.

النبوات ٢/٩٩٥-١٠٠٢

القصة الرابعة عشرة

تنزل الشياطين على أصحاب العبادات البدعية

وقد جرب أن من سلك هذة العبادات البدعية أتته الشياطين، وحصل له تنـزل شيطاني، وخطاب شيطاني، وبعضهم يطير به شيطانه، وأعرف من هؤلاء عددا طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنـزل فنزلت عليهم الشياطين، لأنهم خرجوا عن شريعة النبي ﷺ.

مجموع الفتاوى ٣٩٥/١٠

ثانياً: قصصه عن أصحاب المذاهب والفرق

القصة الأولى

كلام أصحاب وحدة الوجود

وكنت أقول لمن أخاطبه: إن قولهم[1] هو حقيقة قول فرعون، حتى حدثني بعض من خاطبته في ذلك من الثقات العارفين: إن بعض كبرائهم لما دعا هذا المحدث إلى مذهبهم، وكشف له حقيقة سرهم، قال: فقلت له هذا قول فرعون؟ قال: نعم، ونحن على قول فرعون، فقلت له: الحمد لله الذي اعترفوا بهذا، فإنه مع إقرار الخصم لا يحتاج إلى بينة.

وقد جعل صاحب الطريق المستطيل صاحب خيال، ومدح الحركة المستديرة الحائرة، والقرآن يأمر بالصراط المستقيم ويمدحه ويثنى على أهله لا على المستدير...... وهؤلاء عندهم ما ثم إلا أنت، وأنت إلى الان مردود إلى الله، وما زلت مردودا إليه، وليس هو شئ غيرك، حتى ترد إليه، أو ترجع إليه، أو تكدح إليه، أو تلاقيه، ولهذا حدثونا أن ابن الفارض لما احتضر أنشد بيتين:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا ... واليوم أحسبها أضغاث أحلام

وذلك أنه كان يتوهم أنه هو الله، وأنه ما ثم مرد إليه ومرجع إليه غير ما كان هو عليه، فلما جاءته ملائكة الله تنزع روحه من جسمه، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب، تبين له أن ما كان عليه أضغاث أحلام من الشيطان.

وكذلك حدثني بعض أصحابنا عن بعض من أعرفه وله اتصال بهؤلاء، عن الفاجر التلمساني: أنه وقت الموت تغير واضطرب، قال: دخلت عليه وقت الموت فوجدته يتأوه، فقلت له: مم تتأوه؟ فقال: من خوف الفوت، فقلت: سبحان الله! ومثلك يخاف الفوت وأنت تدخل الفقير إلى الخلوة فتوصله إلى الله في ثلاثة أيام؟ فقال ما معناه: زال ذلك كله، وما وجدت لذلك حقيقة.

مجموع الفتاوى ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٨

(١) يعني الملاحدة من أصحاب وحدة الوجود.

القصة الثانية

اعتراف المؤولين لآيات وأخبار الصفات بمذهب السلف

وقد ثبت ما ادعيناه من مذهب السلف رضوان الله عليهم بما نقلناه جملة عنهم وتفصيلا، واعتراف العلماء من أهل النقل كلهم بذلك ولم أعلم عن أحد منهم خلافا في هذه المسألة، بل لقد بلغني عمن ذهب إلى التأويل لهذه الآيات والأخبار من أكابرهم الاعتراف بأن مذهب السلف فيها ما قلناه ورأيته لبعض شيوخهم في كتابه قال: اختلف أصحابنا في أخبار الصفات، فمنهم من أمرها كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل، مع نفي التشبيه عنها وهو مذهب السلف. فحصل الإجماع على صحة ما ذكرناه بقول المنازع والحمد لله.

مجموع الفتاوى ٤/٧

القصة الثالثة

القائلون بوحدة الوجود وما فعله الطوسي والتتار بكتب الإسلام

وهؤلاء كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم للفلاسفة وتلقيهم عنهم، فإن أولئك القوم من أبعد الناس عن الاستدلال بما جاء به الرسول، فإن الرسول بعث بالبينات والهدى، يبين الأدلة العقلية ويخبر الناس بالغيب الذي لا يمكنهم معرفته بعقولهم، وهؤلاء المتفلسفة يقولون: إنه لم يفد الناس علما بخبره ولا بدلالته، وإنما خاطب خطابا جمهوريا ليصلح به العامة فيعتقدوا في الرب والمعاد اعتقادا ينفعهم، وإن كان كذبا وباطلا، وحقيقة كلامهم أن الأنبياء تكذب فيما تخبر به، لكن كذبا للمصلحة، فامتنع أن يطلبوا من خبرهم علما، وإذا لم تكن أخبارهم مطابقة للمخبر فكيف يثبتون أدلة عقلية على ثبوت ما أخبروا به. والمتكلمون الذين يقولون أنهم لا يخبرون إلا بصدق، ولكن يسلكون في العقليات غير طريقهم، مبتدعون مع إقرارهم بأن القرآن اشتمل على الأدلة العقلية، فكيف بهؤلاء الملاحدة المفترين؟ ولهذا لا يعتنون بالقرآن، ولا بتفسيره، ولا بالحديث، وكلام السلف، وإن تعلموا من ذلك شيئا فلأجل تعلق الجمهور به

ليعيشـــوا بينهم بذكره، لا لاعتقادهم موجبه في الباطن وهذا بخلاف طوائف المتكلمين فإنهم يعظمون القرآن في الجملة وتفسيره مع ما فيهم من البدع.

ولهـــذا لما استولى التتار على بغداد وكان الطوسي منجما لهولاكو، استولى على كتب الـــناس الوقف والملك، فكان كتب الإسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يعدمها، وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية، فهذه عنده هي الكتب المعظمة، وكان بعض من أعرفه قارئا خطيبا لكن كان يعظم هؤلاء ويرتاض رياضة فلسفية سحرية حتى يستخدم الجن، وكان بعض الشياطين ألقى إليه أن هؤلاء يستولون على دار الإسلام، فكان يقول لبعض أصحابنا: يا فـــلان عن قليل يرى هذا الجامع جامع دمشق يقرأ فيه المنطق والطبيعي والرياضي والإلهي، ثـــم يرضيه فيقول: والعربية أيضا، والعربية إنما احتاج المسلمون إليها لأجل خطاب الرسول بها، فإذا أعرض عن الأصل كان أهل العربية بمنزلة شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات السبع ونحوهم من حطب النار.

مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٠٦-٢٠٧

القصة الرابعة

موقف الباطنية واليونسية من التتار

ولـــذلك لمـــا ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب كثر في عبادهم وعلمائهم من صـــار مـــع المشركين وأهل الكتاب، وارتد عن الإسلام إما باطنا وظاهرا، وإما باطنا وقـــال: إنه مع الحقيقة، ومع المشيئة الإلهية، وصاروا يحتجون لمن هو معظم للرسل عمـــا لا يوافـــق على تكذيبه بأن ما يفعله من الشرك والخروج عن الشريعة وموالاة المشركين وأهل الكتاب والدخول في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول، فـــتارة تأتـــيهم شياطينهم بما يخيلون لهم أنه مكتوب من نور، وأن الرسول أمر بقتال المسلمين مع الكفار، لكون المسلمين قد عصوا.

ولمـــا ظهـــر أن مـــع المشركين وأهل الكتاب خفراء لهم من الرجال المسمين بـــرجال الغـــيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله، صار الناس من أهل العلم ثلاثة أحزاب:

حزب يكذبون بوجود هؤلاء، ولكن عاينهم الناس، وثبت ذلك عمن عاينهم، أو حدثه الثقاة بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم أو تيقنوا وجودهم خضعوا لهم.

وحـزب عرفوهم ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقا إلى الله غير طريقة الأنبياء.

وحـزب مـا أمكنهم أن يجعلوا أولياء الله خارجين عن دائرة الرسول، فقالوا: يكـون الرسول هو ممدا للطائفتين لهؤلاء وهؤلاء، فهؤلاء معظمون للرسول، جاهلون بدينه وشرعه، والذين قبلهم يجوزون اتباع دين غير دينه وطريق غير طريقه.

وكانـت هذه الأقوال الثلاثة بدمشق لما فتحت عكة، ثم تبين بعد ذلك أن هؤلاء من أتباع الشياطين.

وأن رجـال الغيب هم الجن، وأن الذين مع الكفار شياطين، وأن من وافقهم من الإنـس فهـو مـن جنسهم شيطان من شياطين الإنس أعداء الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وكـان سبب الضلال عدم الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وأصله قول الجهمية الذين يسوون بين المخلوقات فلا يفرقون بين المحبوب والمسخوط، ثم إنه بعد ذلك جرت أمور يطول وصفها.

ولمـا جـاء قازان، وقد أسلم دمشق، انكشفت أمور أخرى، فظهر أن اليونسية كانوا قد ارتدوا وصاروا كفارا مع الكفار.

وحضـر عـندي بعض شيوخهم واعترف بالردة عن الإسلام، وحدثني بفصول كثيـرة، فقلت له لما ذكر لي احتجاجهم بما جاءهم من أمر الرسول: فهب أن المسلمين كأهـل بغـداد كانـوا قـد عصوا، وكان في بغداد بضعة عشر بغي، فالجيش الكفار المشركون الذين جاؤا كانوا شرا من هؤلاء، فإن هؤلاء كن يزنين اختيارا، فأخذ أولئك المشـركون عشرات الألوف من حرائر المسلمين وسراريهم بغير اختيارهم، وردوهم عـن الإسـلام إلى الكفر، وأظهروا الشرك وعبادة الأصنام، ودين النصارى وتعظيم الصـليب، حتى بقى المسلمون مقهورين مع المشركين وأهل الكتاب مع تضاعيف ما

كـان يفعـل مـن المعاصي، فهل يأمر محمد بهذا؟ ويرضى بهذا؟ فتبين له، وقال: لا والله! وأخبرني عن ردة من ارتد من الشيوخ عن الإسلام لما كانت شياطين المشركين تكـرههم على الردة في الباطن وتعذبهم إن لم يرتدوا، فقلت: كان هذا لضعف إيمانهم وتوحيدهم والمادة التي يشهدونها من جهة الرسول، وإلا فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين، وهذا وأمثاله ما كانوا يعتقدون أنهم شياطين، بل أنهم رجال من رجال الغـيب الإنس وكلهم الله بتصريف الأمر، فبينت لهم أن رجال الغيب هم الجن كما قال تعالـى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجـن: ٦] ومـن ظن أنهم إنس فمن جهله وغلطه، فإن الإنس يؤنسون أي يشهدون ويـرون، إنما يحتجب الإنسي أحيانا لا يكون دائما محتجبا عن أبصار الإنس، بخلاف الجن فإنهم كما قال الله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وكـان غير هذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران ان هولاكو ملك المشركين لما دخل بغداد رأى ابن السكران شيخا محلوق الرأس على صورة شيخ مـن مشايخ الدين والطريق آخذا بفرس هولاكو قال فلما رأيته أنكرت هذا واستعظمت أن يكـون شيخ من شيوخ المسلمين يقود فرس ملك المشركين لقتل المسلمين، فقلت: يا هـذا أو كلمـة نحو هذا، فقال: تأمر بأمر، أو قال له: هل يفعل هذا بأمر أو فعلت هذا بأمـر؟ فقلت: نعم بأمر، فسكت ابن السكران، وأقنعه هذا الجواب، وكان هذا لقلة علمه بالفـرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وظن أن ما يؤمر به الشيوخ في قلوبهم هـو مـن الله، وأن من قال حدثني قلبي عن ربي فإن الله هو يناجيه، ومن قال: أخذتم علمكـم ميـتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، هو كذلك، وهذا أضل ممن ادعى الاستغناء عن الأنبياء وأنه لا يحتاج إلى واسطتهم.

وجـواب هذا أن يقال له: بأمر من تأمر؟ فإن قال بأمر الله، قيل: بأمر الله الذي بعـث بـه رسوله وأنزل به القرآن أم بأمر وقع في قلبك؟ فان قال بالأول ظهر كذبه، فإنـه لـيس فـيما يأمـر الله به رسوله أن يأتى بالكفار المشركين وأهل الكتاب لقتل المسـلمين وسـبيهم وأخذ أموالهم لأجل ذنوب فعلوها، ويجعل الدار تعبد بها الأوثان، ويضرب فيها بالنواقيس، ويقتل قراء القرآن وأهل العلم بالشرع، ويعظم النجسية علماء

المشـــركين وقساقسة النصارى وأمثال ذلك، فإن هؤلاء أعظم عداوة لمحمد ﷺ، وهم مـــن جنس مشركي العرب الذين قاتلوه يوم أحد، وأولئك عصاة من عصاة أمته، وإن كان فيهم منافقون كثيرون فالمنافقون يبطنون نفاقهم.

وإن قـــال: بأمر وقع في قلبي يلم يكذب، لكن يقال من أين لك أن هذا رحماني ولـــم لا يكون الشيطان هو الذي أمرك بهذا؟ وقد علمت أن ما يقع في قلوب المشركين وأهل الكتاب هو من الشيطان، فإن رجع إلى توحيد الربوبية وأن الجميع بمشيئته، قيل لـــه: فحينئذ يكون ما يفعله الشيطان والمشركون وأهل الكتاب هو بالأمر، ولا ريب أنه بالإمـــر الكوني القدري، فجميع الخلق داخلون تحته، لكن من فعل بمجرد هذا الأمر لا بأمـــر الرسول فإنما يكون من جنس شياطين الإنس والجن، وهو مستوجب لعذاب الله فـــي الدنيا والآخرة، وهو عابد لغير الله، متبع لهواه، وهو ممن قال الله فيه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] وممـــن قال فيهم الشيطان: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] قـــال الله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [الـــنحل: ٩٩-١٠٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعـــراف: ٢٧-٢٨] فكـــيف تأمر بالشرك والكفر وتسلط الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين وقتل الكفار للمسلمين، هذا لا يأمر الله به كما لا يأمر بالفحشاء، فإن هذا من أفحش الفواحش إذا جعلت الفاحشة اسما لكل ما يعظم قبحه، فكانت القبائح السيئة داخلة في الفحشاء.

وكان أيضا بالشام بعض أكابر الشيوخ ببعلبك -الشيخ عثمان شيخ دير ناعس- يأتـــيه خفيـــر الفرنج النصارى راكبا أسدا ويخلو به ويناجيه، ويقول: يا شيخ عثمان!

وكلت بحفظ خنازيرهم فيعذره عثمان وأتباعه في ذلك، ويرون أن الله أمره بهذا كما أمر الخضر أن يفعل ما فعل، كما عذر ابن السكران وأمثاله خفراء المشركين التتار.

والجواب لهذا كالجواب لذلك يقال له وكلك الله تعالى بهذا الذي أنزل على لسان نبيه، الدين أمر أن يوالى المسلمين وأن لا يتخذ اليهود والنصارى أولياء، بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت، هو أمرك أن تتوكل بحفظ خنازيرهم؟! فإن قال هذا ظهر كذبه، وإن قال: بل هو أمر ألقي في قلبي لم يكذب، وقيل له: فهذا من أمر الشيطان لا من أمر الرحمن الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، ولكنه من الأمر الذي كونه وقدره كشرك المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨].

ومن هؤلاء من يظن الرجال الذين يؤيد بهم الكفار من المشركين وأهل الكتاب هم أولياء الله ولا يجب عليهم اتباع الرسول كالملائكة الموكلة ببني آدم المعقبات.

فقلت لشيخ كان من شيوخهم: محمد أرسل إلى الثقلين الإنس والجن ولم يرسل إلى الملائكة، فكل إنسي أو جني خرج عن الإيمان به فهو عدو لله لا ولي لله، بخلاف الملائكة.

ثم يقال له: الملائكة لا يعاونون الكفار على المعاصي ولا على قتال المسلمين، وإنما يعاونهم على ذلك الشياطين، ولكن الملائكة قد تكون موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم، فإن ذلك ليس بمعصية، فهذا الجواب بالفرق بينهم وبين الملائكة من هذين الوجهين.

وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لا من جنس الملائكة، وكان هذا الشيخ هو وأبوه من خفراء الكفار، وكان والده يقال له محمد الخالدي، نسبة إلى شيطان كان يقربه يقال له الشيخ خالد، وهم يقولون إنه من الإنس ومن رجال الغيب.

وحدثني الثقة عنه أنه كان يقول: الأنبياء ضيعوا الطريق، ولعمري لقد ضيعوا طريق الشياطين: الإنس والجن، وهؤلاء المشايخ الذين يحبون المسلمين ولكن يوالون الشيوخ الذين يوالون المشركين الذين هم خفراء الكفار ويظنون أنهم من أولياء الله

اشتركوا هم وهم في أصل ضلالة، وهو أنهم جعلوا الخوارق الشيطانية من جنس الكرامات الرحمانية، ولم يفرقوا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

مجموع الفتاوى١٣ / ٢١٥ - ٢٢٣

القصة الخامسة

حال الكبيري والرازي ورجال الغيب

كما قال الشيخ الملقب بالكبيري للرازي ورفيقه، وقد قالا له: يا شيخ! بلغنا أنك تعلم علم اليقين، فقال: نعم. فقالا كيف تعلم، ونحن نتناظر في زمان طويل كلما ذكر شيئا أفسدته، وكلما ذكرت شيئا أفسده؟ فقال هو واردات ترد على النفوس، تعجز النفوس عن ردها. فجعلا يعجبان من ذلك، ويكرران الكلام. وطلب أحدهما أن تحصل له هذه الواردات، فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له وكان من المعتزلة النفاة.

فتبين له أن الحق مع أهل الإثبات، وأن الله سبحانه فوق سمواته، وعلم ذلك بالضرورة. رأيت هذه الحكاية بخط القاضي نجم الدين أحمد بن محمد بن خلف المقدسي، وذكر أن الشيخ الكبيري حكاها له، وكان قد حدثني بها عنه غير واحد حتى رأيتها بخطه، وكلام المشايخ في مثل هذا كثير، وهذا الوصف الذي ذكره الشيخ جواب لهم بحسب ما يعرفون، فإنهم قد قسموا العلم إلى ضروري ونظري، والنظري مستند إلى الضروري، والضروري هو العلم الذي يلزم نفس المخلوق لزوما لا يمكنه معه الانفكاك عنه، هذا حد القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره. فخاصته أنه يلزم النفس لزوما لا يمكن مع ذلك دفعه، فقال لهم: علم اليقين عندنا هو من هذا الجنس، وهو علم يلزم النفس لزوما لا يمكنه مع ذلك الانفكاك عنه، وقال: واردات، لأنه يحصل مع العلم طمأنينة وسكينة توجب العمل به، فالواردات تحصل بهذا وهذا، وهذا قد أقر به كثير من حذاق النظار، متقدميهم كالكيا الهراسي والغزالي وغيرهما، ومتأخريهم كالرازي والآمدي، وقالوا نحن لا ننكر أن يحصل لناس علم ضروري بما يحصل لنا بالنظر، هذا لا ندفعه. لكن إن لم يكن علما ضروريا فلابد له من دليل، والدليل يكون مستلزما للمدلول عليه بحيث يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول عليه. قالوا: فإن كان

لـو دفـع ذلـك الاعتقاد الذي حصل له لزم دفع شيء مما يعلم بالضرورة، فهذا هو الدليل، وإن لم يكن كذلك فهذا هوس لا يلتفت إليه، وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود أن هذا الجنس واقع لكن يقع أيضا ما يظن أنه منه كثير، أو لا يميز كثيـر مـنهم الحـق من الباطل، كما يقع في الأدلة العقلية والسمعية. فمن هؤلاء من يسـمع خطابا أو يرى من يأمر بقضية ويكون ذلك الخطاب من الشيطان، ويكون ذلك الذي يخاطبه الشيطان، وهو يحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب.

ورجـال الغـيب هم الجن، وهو يحسب أنه إنسي، وقد يقول له أنا الخضر أو إلـياس، بـل أنـا محمد أو إبراهيم الخليل أو المسيح أوأبو بكر أو عمر، أو أنا الشيخ فلان، أو الشيخ فلان، ممن يحسن بهم الظن، وقد يطير به في الهواء أو يأتيه بطعام أو شـراب أو نفقة، فيظن هذا كرامة، بل آية ومعجزة تدل على أن هذا من رجال الغيب أو مـن الملائكـة، ويكـون ذلك شيطانا لبس عليه، فهذا ومثله واقع كثيرا أعرف منه وقائع كثيرة، كما أعرف من الغلط في السمعيات والعقليات.

مجموع الفتاوى ١٣/٦٩-٧٢

القصة السادسة

من عجائب أقوال أهل الوحدة والجهمية المعطلة

وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون، وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه وديـنه، كمـا كـان فرعون يفعل، فكان يجحد الخالق جل جلاله، ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصـص: ٣٨] ويقـول لموسى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشـعراء: ٢٩] ويقـول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [الـنازعات: ٢٤] وكـان ينكـر أن يكـون الله كلم موسى، أو يكون لموسى إله فوق السموات، ويريد أن يبطل عبادة الله وطاعته، ويكون هو المعبود المطاع.

فلمـا كان قول الجهمية المعطلة النفاة يؤول إلى قول فرعون كان منتهى قولهم إنكـار رب العالمـين، وإنكـار عـبادته وإنكار كلامه حتى ظهروا بدعوى التحقيق

والتوحيد والعرفان، فصاروا يقولون: العالم هو الله، والوجود واحد، والموجود القديم الأزلي الخالق هو الموجود المحدث المخلوق، والرب هو العبد، ما ثم رب وعبد وخالق ومخلوق، بل هو عندهم فرقان.

ولهذا صاروا يعيبون على الأنبياء وينقصونهم، ويعيبون على نوح وعلى إبراهيم الخليل وغيرهما، ويمدحون فرعون ويجوزون عبادة جميع المخلوقات، وجميع الأصنام، ولا يرضون بأن تعبد الأصنام حتى يقولوا: إن عباد الأصنام لم يعبدوا إلا الله، وإن الله نفسه هو العابد وهو المعبود، وهو الوجود كله، فجحدوا الرب، وأبطلوا دينه وأمره ونهيه، وما أرسل به رسله، وتكليمه لموسى وغيره.

وقد ضل في هذا جماعة لهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف المناسب لذلك، كابن سبعين والصدر القونوي تلميذ ابن عربي والبلياني والتلمساني، وهو من حذاقهم علما ومعرفة، وكان يظهر المذهب بالفعل، فيشرب الخمر ويأتي المحرمات.

وحدثني الثقة أنه قرأ عليه فصوص الحكم لابن عربي، وكان يظنه من كلام أولياء الله العارفين، فلما قرأه رآه يخالف القرآن، قال فقلت له: هذا الكلام يخالف القرآن، فقال: القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا، وكان يقول: ثبت عندنا في الكشف ما يخالف صريح المعقول.

وحدثني من كان معه ومع آخر نظير له، فمرا على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم، فقال له رفيقه: هذا أيضا هو ذات الله ؟ فقال: وهل ثم شيء خارج عنها؟ نعم الجميع في ذاته!.

وهؤلاء حقيقة قولهم هو قول فرعون، لكن فرعون ما كان يخاف أحدا فينافقه فلم يثبت الخالق، وإن كان في الباطن مقرا به، وكان يعرف أنه ليس هو إلا مخلوق، لكن حب العلو في الأرض والظلم دعاه إلى الجحود والإنكار، كما قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤﴾ [النمل: ١٣-١٤]. وأما هؤلاء فهم من وجه ينافقون المسلمين، فلا يمكنهم إظهار جحود الصانع، ومن وجه هم ضلال يحسبون أنهم على حق، وأن الخالق هو المخلوق، فكان قولهم هو قول فرعون، لكن فرعون كان معاندا

مظهـرا للجحـود والعـناد، وهؤلاء إما جهال ضلال، وإما منافقون مبطنون الإلحاد والجحود، يوافقون المسلمين في الظاهر.

وحدثنـي الشـيخ عبد السيد الذي كان قاضي اليهود ثم أسلم، وكان من أصدق الـناس، ومـن خـيار المسلمين وأحسنهم إسلاما، أنه كان يجتمع بشيخ منهم يقال له الشـرف البلاسـي يطلب منه المعرفة والعلم، قال: فدعاني إلى هذا المذهب، فقلت له: قـولكم يشبه قول فرعون، قال: ونحن على قول فرعون!فقلت لعبد السيد: واعترف لك بهـذا؟ قال: نعم! وكان عبد السيد إذ ذاك قد ذاكرني بهذا المذهب، فقلت له: هذا مذهب فاسد وهو يؤول إلى قول فرعون، فحدثني بهذا، فقلت له: ما ظننت أنهم يعترفون بأنهم على قول فرعون، لكن مع إقرار الخصم ما يحتاج إلى بينة. قال عبد السيد: فقلت له: لا أدع موسـى وأذهـب إلـى فرعون، فقال: ولم ؟قلت: لأن موسى أغرق فرعون، فانقطـع. واحـتج عليه بالظهور الكوني، فقلت لعبد السيد – وكان هذا قبل أن يسلم– نفعتك اليهودية، يهودي خير من فرعوني.

وفـيهم جماعـات لهم عبادة وزهد وصدق فيما هم فيه، وهم يحسبون أنه حق، وعامتهم – الذين يقرون ظاهرا وباطنا بأن محمدا رسول الله وأنه أفضل الخلق أفضل مـن جميع الأنبياء والأولياء – لا يفهمون حقيقة قولهم، بل يحسبون أنه تحقيق ما جاء به الرسول، وأنه من جنس كلام أهل المعرفة الذين يتكلمون في حقائق الإيمان والدين، وهـم مـن خواص أولياء الله، فيحسبون هؤلاء من جنس أولئك، من جنس الفضيل بن عـياض، وإبـراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبدالله، وأمثال هؤلاء.

وأمـا عرافهم الذين يعلمون حقيقة قولهم فيعلمون أنه ليس الأمركذلك، ويقولون مـا يقـول ابن عربي ونحوه: إن الأولياء أفضل من الأنبياء، وإن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وإن جميع الأنبياء يستفيدون معرفة الله من مشكاة خاتم الأولياء، وأنه يأخـذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يأتي خاتم الأنبياء، فإنهم متجهمة متفلسفة، يخرجون أقوال المتفلسفة والجهمية في قالب الكشف.

وعند المتفلسفة أن جبريل إنما هو خيال في نفس النبي، ليس هو ملكا يأتي من السماء، والنبي عندهم يأخذ من هذا الخيال، وأما خاتم الأولياء في زعمهم فإنه يأخذ من العقل المجرد الذي يأخذ منه الخيال، فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول.

وهم يعظمون فرعون، ويقولون ما قاله صاحب الفصوص، قال: ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، وأنه جار في العرف الناموسي لذلك قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] أي: وإن كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم، قال: ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه وأقروا له بذلك. وقالوا له: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢] قال: فصح قول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ وإن كان فرعون عين الحق.

وحدثني الثقة الذي كان منهم ثم رجع عنهم أن أبغض الناس إليهم محمد بن عبدالله ﷺ، قال: وإذا نهق الحمار ونبح الكلب سجدوا له، وقالوا هذا هو الله، فإنه مظهر من المظاهر، قال: فقلت له محمد بن عبدالله أيضا مظهر من المظاهر، فاجعلوه كسائر المظاهر وأنتم تعظمون المظاهر كلها أو اسكتوا عنه، قال: فقال لي: محمد نبغضه، فإنه أظهر الفرق ودعا إليه وعاقب من لم يقل به، قال: فتناقضوا في مذهبهم الباطل، وجعلوا الكلب والحمار أفضل من أفضل الخلق، قال لي: وهم يصرحون باللعنة له ولغيره من الأنبياء، ولا ريب أنهم من أعظم الناس عبادة للشيطان وكفرا بالرحمن.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار ونباح الكلب فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانا". فهم إذا سمعوا نهيق الحمار ونباح الكلب تكون الشياطين قد حضرت فيكون سجودهم للشياطين.

وكان فيهم شيخ جليل من أعظمهم تحقيقا – لكن هذا لم يكن من هؤلاء الذين يسبون الأنبياء – وقد صنف كتابا سماه "فك الأزرار عن أعناق الأسرار" ذكر فيه

مخاطبة جرت له مع إبليس، وأنه قال له ما معناه: إنكم قد غلبتموني وقهرتموني ونحو هذا. لكن جرت لي قصة تعجبت منها مع شيخ منكم، فإني تجليت له فقلت: أنا الله لا إلـــه إلا أنـــا فسجد لي، فتعجبت كيف سجد لي! قال هذا الشيخ: فقلت له: ذاك أفضلنا وأعلمــنا وأنـــت لم تعرف قصده، ما رأى في الوجود اثنين وما رأى إلا واحدا فسجد لـذلك الـواحد لا يميز بين إبليس وغيره، فجعل هذا الشيخ ذاك الذي سجد لإبليس لا يميــز بــين الــرب وغيره، بل جعل إبليس هو الله، هو وغيره من الموجودات جعله أفضلهم وأعلمهم.

ولهذا عاب ابن عربي نوحا أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وهو الذي جعل الله ذريـــته هـــم الباقـــين، وأنجاه ومن معه في السفينة، وأهلك سائر أهل الأرض لما كذبـــوه، فلـــبث فـــي قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الأصنام، وأنهم ما عبدوا إلا الله، وأن خطاياهم خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله، وهـــذا عادته ينتقص الأنبياء ويمدح الكفار، كما ذكر مثل ذلك في قصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وغيرهم.

ومـــدح عـــباد العجل، وتنقص هارون وافترى على موسى. فقال: وكان موسى أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعـــبد إلا إيـــاه، وما قضى الله بشيء إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء، فذكر عن موسى أنه عتب على هارون أنه أنكر عليهم عبادة العجل، وأنه لم يسع ذلك فأنكره، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء.

وهـــذا من أعظم الافتراء على موسى وهارون، وعلى الله، وعلى عباد العجل، فـــإن الله أخبـــر عـــن موسى أنه أنكر العجل إنكارا أعظم من إنكار هارون، وأنه أخذ بلحـــية هارون لما لم يدعهم ويتبع موسى لمعرفته. قال تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ

يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤)﴾ [طـه: ٨٣-٩٤] قلت لبعض هؤلاء: هذا الكلام الذي ذكره هذا عن موسى وهارون يوافق القرآن أو يخالفه؟ فقال: لا بل يخالفه، قلت: فاختر لنفسك إما القرآن وإما كلام ابن عربي.

وكـذلك قال عن نوح، قال: لو أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه، أي ذكـر لهـم فدعاهم جهارا ثم دعاهم إسرارا إلى أن قال: ولما علموا أن الدعوة إلى الله مكـر بالمدعو، لأنه ما عدم من البداية فيدعى إلى الغاية: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ فهذا عين المكـر ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] فنبه أن الأمر كله لله، فأجابوه مكرا كما دعاهم، فجـاء المحمـدي وعلم أن الدعوة إلى الله ما هي من حيث هويته، وإنما هي من حيث أسمائه فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥)﴾ [مريم: ٨٥] فجاء بحرف الغاية وقـرنها بالاسـم فعـرفنا أن العالم كان تحت حيطة اسم إلهي أوجب عليهم أن يكونوا متقين، فقالوا في مكرهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)﴾ [نـوح: ٢٣]فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء، فـإن للحـق فـي كـل معبود وجها يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله، كما قال في المحمديين: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي حكـم، فالعارف يعرف من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة

كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود.

مجموع الفتاوى ١٣ / ١٨٥-١٩٣

القصة السابعة

حوار جده أبي البركات وصاحبه أبي عبدالله بن عبدالوهاب

وحدثـنا أبي عن جدنا أبي البركات وصاحبه أبي عبدالله بن عبدالوهاب: أنهما نظرا فيما ذكره بعض المفسرين من الأقوال في قوله (نأت بخير منها أو مثلها) وأظنه كان نظرهم في تفسير أبي عبدالله محمد بن تيمية، فلما رأيا تلك الأقوال قالا: هذا إنما يجيء على قول المعتزلة.

وزار مرة أبو عبد الله بن عبدالوهاب هذا لشيخنا أبي زكريا بن الصيرفي وكان مريضا، فدعاأبو زكريا بدعاء مأثور عن الإمام أحمد يقول فيه: " أسألك بقدرتك -التى قـدرت بهـا أن تقول للسموات والأرض أئـتيا طوعا أو كرها قالتا آتينا طائعين-أن تفعـل بـنا كذا وكذا". فلما خرج الناس من عنده قال له: ما هذا الدعاء الذي دعوت به؟هـذا إنما يجيء على قول المعتزلة الذين يقولون القرآن مخلوق، فأما أهل السنة فلا يقال عندهم قدر أن يتكلم، أو يقول فإن كلامه قديم لازم لذاته لا يتعلق بمشيئته وقدرته.

وكـان أبـو عـبدالله بن عبدالوهاب رحمه الله قد تلقى هذا عن البحوث التي يذكـرهاأبو الحسـن بن الزاغوني وأمثاله، وقبله أبو الوفاء بن عقيل وأمثاله، وقبلهما القاضي أبو يعلى ونحوه.

مجموع الفتاوى١٧ / ٥٤ – ٥٥

القصة الثامنة

عجائب أهل الكلام وذمهم لأهل الحديث

وقــال أيضــا في الرد على بعض أئمة أهل الكلام لما تكلموا في المتأخرين من أهــل الحــديث وذموهم بقلة الفهم، وأنهم لا يفهمون معاني الحديث، ولا يميزون بين صــحيحه مــن ضعيفه، ويفتخرون عليهم بحذقهم، ودقة علومهم فيها، فقال رحمه الله تعالى:

لا ريــب أن هــذا موجود في بعضهم، يحتجون بأحاديث موضوعة في مسائل الفــروع والأصــول، وآثــار مفــتعلة، وحكايات غير صحيحة، ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه، وقد رأيت من هذا عجائب.... وقد رأيت من مصنافتهم فــي عــبادة الكواكب والملائكة وعبادة الأنفس المفارقة: أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك، وهم إذا ادعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه.

مجموع الفتاوى ١٨/٥٢، ٥٧

القصة التاسعة

مخاريق الحلاج وبعض شيوخ الطرق

فهل الحلاج خير من هؤلاء[1]، ودمه أطهر من دمائهم؟! وقد جزع وقت القتل، وأظهر التوبة والسنة فلم يقبل ذلك منه. ولو عاش افتتن به كثير من الجهال، لأنه كان صاحب خزعبلات بهتانية، وأحوال شيطانية.

ولهذا إنما يعظمه من يعظم الأحوال الشيطانية والنفسانية والبهتانية. وأما أولياء الله العالمون بحال الحلاج فليس منهم واحد يعظمه، ولهذا لم يذكره القشيري في مشائخ

(١) يعني الأنبياء وأصحابهم

رسالته، وإن كان قد ذكر من كلامه كلمات استحسنها. وكان الشيخ أبو يعقوب النهرجوري قد زوجه بابنته، فلما اطلع على زندقته نزعها منه. وكان عمرو بن عثمان يذكر أنه كافر، ويقول: كنت معه فسمع قارئا يقرأ القرآن، فقال: أقدر أن أصنف مثل هذا القرآن، أو نحو هذا من الكلام.

وكان يظهر عند كل قوم ما يستجلبهم به إلى تعظيمه، فيظهر عند أهل السنة أنه سني، وعند أهل الشيعة أنه شيعي، ويلبس لباس الزهاد تارة، ولباس الأجناد تارة.

وكان من مخاريقه أنه بعث بعض أصحابه إلى مكان في البريه يخبأ فيه شيئا من الفاكهة والحلوى، ثم يجيء بجماعة من أهل الدنيا إلى قريب من ذلك المكان، فيقول لهم: ما تشتهون أن آتيكم به من هذه البرية؟ فيشتهى أحدهم فاكهة أو حلاوة، فيقول: امكثوا، ثم يذهب إلى ذلك المكان ويأتي بما خبأ أو ببعضه، فيظن الحاضرون أن هذه كرامة له! وكان صاحب سيما وشياطين تخدمه أحيانا، كانوا معه على جبل أبي قبيس، فطلبوا منه حلاوة فذهب إلى مكان قريب منهم وجاء بصحن حلوى، فكشفوا الأمرفوجدوا ذلك قد سرق من دكان حلاوى باليمن، حمله شيطان من تلك البقعة.

ومثل هذا يحصل كثيرا لغير الحلاج ممن له حال شيطاني، ونحن نعرف كثيرا من هؤلاء في زماننا وغير زماننا، مثل شخص هو الآن بدمشق كان الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق، فيجيء من الهوى إلى طاقة البيت الذي فيه الناس، فيدخل وهم يرونه. ويجيء بالليل إلى "باب الصغير" فيعبر منه هو ورفقته، وهو من أفجر الناس.

وآخر كان بالشويك في قرية يقال لها "الشاهدة" يطير في الهوى إلى رأس الجبل والناس يرونه، وكان شيطان يحمله، وكان يقطع الطريق. وأكثرهم شيوخ الشر، يقال لأحدهم "البوى" أي المخبث، ينصبون له حركات في ليلة مظلمة، ويصنعون خبزا على سبيل القربات، فلا يذكرون الله، ولا يكون عندهم من يذكر الله، ولا كتاب فيه ذكر الله، ثم يصعد ذلك البوى في الهوى، وهم يرونه، ويسمعون خطابه للشيطان، وخطاب الشيطان له، ومن ضحك أو شرق بالخبز ضربه الدف [1]، ولا يرون من يضرب به.

---

(١) لعل الصواب: بالدف.

ثم إن الشيطان يخبرهم ببعض ما يسألونه عنه، ويأمرهم بأن يقربوا له بقرا وخيلا وغير ذلك وأن يخنقوها خنقا ولا يذكرون اسم الله عليها، فإذا فعلوا قضى حاجتهم.

وشيخ آخر أخبر عن نفسه أنه كان يزني بالنساء، ويتلوط بالصبيان الذين يقال لهم "الحوارات "وكان يقول: يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان بيضاوان، فيقول لي: فلان! إن فلانا نذر لك نذرا، وغدا يأتيك به، وأنا قضيت حاجته لأجلك، فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر، ويكاشفه هذا الشيخ الكافر. قال: وكنت إذا طلب مني تغيير مثل اللاذن أقول حتى أغيب عن عقلي، وإذ باللاذن في يدي، أو في فمي وأنا لا أدري من وضعه!قال: وكنت أمشي وبين يدي عمود أسود عليه نور. فلما تاب هذا الشيخ، وصار يصلي ويصوم، ويجتنب المحارم، ذهب الكلب الأسود وذهب التغيير، فلا يؤتى بلاذن ولا غيره.

وشيخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون بعض الناس، فيأتي أهل ذلك المصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراءه، فيرسل إلى أتباعه فيفارقون ذلك المصروع، ويعطون ذلك الشيخ دراهم كثيرة. وكان أحيانا تأتيه الجن بدراهم وطعام تسرقه من الناس، حتى إن بعض الناس كان له تين في كوارة، فيطلب الشيخ من شياطينه تينا، فيحضرونه له، فيطلب أصحاب الكوارة التين فوجدوه قد ذهب.

وآخر كان مشتغلا بالعلم والقراءة، فجاءته الشياطين أغرته، وقالوا له: نحن نسقط عنك الصلاة، ونحضر لك ماتريد، فكانوا يأتونه بالحلوى والفاكهة، حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين بالسنة فاستتابه، وأعطى أهل الحلاوة ثمن حلاوتهم التي أكلها ذلك المفتون بالشيطان.

فكل من خرج عن الكتاب والسنة، وكان له حال من مكاشفة أو تأثير، فإنه صاحب حال نفساني أو شيطاني. وإن لم يكن له حال بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال فهو صاحب حال بهتاني. وعامة أصحاب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني، والحال البهتاني، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ

﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢)﴾ والحلاج كان من أئمة هؤلاء أهل الحال الشيطاني والحال البهتاني. وهؤلاء طوائف كثيرة.

فأئمة هؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام، مثل الكهان والسحرة الذين كانوا للعرب المشركين، ومثل الكهان الذين هم بأرض الهند والترك وغيرهم.

ومن هؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يجيء بعد الموت، فيكلمهم ويقضي ديونه، ويرد ودائعه، ويوصيهم بوصايا، فإنهم تأتيهم تلك الصورة التي كانت في الحياة، وهو شيطان يتمثل في صورته فيظنونه إياه.

وكثير ممن يستغيث بالمشائخ فيقول: ياسيدي فلان! أو ياشيخ فلان! اقض حاجتي. فيرى صورة ذلك الشيخ تخاطبه، ويقول أنا أقضي حاجتك وأطيب قلبك فيقضي حاجته، أو يدفع عنه عدوه، ويكون ذلك شيطانا قد تمثل في صورته لما أشرك بالله فدعى غيره.

وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة، حتى إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثو ابي في شدائد أصابتهم. أحدهم كان خائفا من الأرمن، والآخركان خائفا من التتر، فذكر كل منهم أنه لما استغاث بي رآني في الهوى وقد دفعت عنه عدوه، فأخبرتهم أني لم أشعر بهذا، ولا دفعت عنكم شيئا، وإنما هذا الشيطان تمثل لأحدهم فأغواه لما أشرك بالله تعالى. وهكذا جرى لغير واحد من أصحابنا المشائخ مع أصحابهم، يستغيث أحدهم بالشيخ، فيرى الشيخ قد جاء وقضى حاجته، ويقول ذلك الشيخ: إني لم أعلم بهذا، فيتبين أن ذلك كان شيطانا. وقد قلت لبعض أصحابنا لما ذكر لي أنه استغاث باثنين كان يعتقدهما، وأنهما أتياه في الهوى، وقالا له: طيب قلبك، نحن ندفع عنك هؤلاء، ونفعل ونصنع. قلت له: فهل كان من ذلك شيئ ؟فقال: لا. فكان هذا ممادله على أنهما شيطانان، فإن الشياطين وإن كانوا يخبرون الإنسان بقضية أو قصة فيها صدق فإنهم يكذبون أضعاف ذلك، كما كانت الجن يخبرون الكهان.

ولهذا من اعتمد على مكاشفته التي هي من أخبار الجن كان كذبه أكثر من صدقه، كشيخ كان يقال له "الشياح" توبناه، وجددنا إسلامه، كان له قرين من الجن يقال

لـه: "عنتر" يخبره بأشياء، فيصدق تارة ويكذب تارة، فلما ذكرت له أنك تعبد شيطانا من دون الله، اعتـرف بأنـه يقول له: يا عنتر! لا سبحانك، إنك إله قذر، وتاب من ذلك في قصة مشهورة.

وقـد قتل سيف الشرع من قتل من هؤلاء، مثل الشخص الذي قتلناه سنة خمس عشرة وكان له قرين يأتيه ويكاشفه فيصدق تارة، ويكذب تارة. وقد انقاد له طائفة من المنسوبين إلى أهل العلم والرئاسة، فيكاشفهم حتى كشف الله لهم. وذلك أن القرين كان تـارة يقول له: أنا رسول الله، ويذكر أشياء تنافي حال الرسول، فشهد عليه أنه قال: إن الرسول يأتيني، ويقول لي كذا وكذا من الأمور التي يكفر من أضافها إلى الرسول، فذكـرت لولاة الأمور أن هذا من جنس الكهان، وأن الذي يراه شيطانا [1]ولهذا لا يأتيه في الصورة المعروفة للنبي ﷺ بل يأتيه في صورة منكرة، ويذكر عنه أنه يخضع له، ويبيح له أن يتناول المسكر وأمورا أخرى. وكان كثير من الناس يظنون أنه كاذب فيما يخبـر بـه مـن الرؤية، ولم يكن كاذبا في أنه رأى تلك الصورة، لكن كان كافرا في اعتقاده أن ذلك رسول الله. ومثل هذا كثير.

ولهـذا يحصل لهم تنـزلات شيطانية بحسب ما فعلوه من مراد الشيطان، فكلما بعـدوا عن الله ورسوله ﷺ وطريق المؤمنين قربوا من الشيطان، فيطيرون في الهواء والشـيطان طـاربهم. ومنهم من يصرع الحاضرين، وشياطينه صرعتهم. ومنهم من يحضـر طعامـا وإداما وملأ الأبريق ماء من الهوى، والشياطين فعلت ذلك، فيحسب الجاهلـون أن هـذه كـرامات أولياء الله المتقين، وإنما هي من جنس أحوال السحرة والكهنة وأمثالهم.

مجموع الفتاوى ٣٥ / ١١١ -١١٧

---

(٣) الصواب: شيطان

القصة العاشرة

رسائل إخوان الصفا

فهل ينكر أحد ممن يعرف دين المسلمين أو اليهود أو النصارى أن ما يقوله أصحاب رسائل اخوان الصفا مخالف للملل الثلاث، وإن كان في ذلك من العلوم الرياضية والطبيعية وبعض المنطقية والإلهية وعلوم الأخلاق والسياسة والمنزل ما لا ينكر، فإن في ذلك من مخالفة الرسل فيما أخبرت به وأمرت به، والتكذيب بكثير مما جاءت به، وتبديل شرائع الرسل كلهم بما لا يخفى على عارف بملة من الملل. فهؤلاء خارجون عن الملل الثلاث.

ومن أكاذيبهم وزعمهم أن هذه "الرسائل" من كلام جعفر بن محمد الصادق. والعلماء يعلمون أنها إنما وضعت بعد المائة الثالثة زمان بناء القاهرة، وقد ذكر واضعها فيها ما حدث في الإسلام من استيلاء النصارى على سواحل الشام، ونحو ذلك من الحوادث التي حدثت بعد المائة الثالثة. وجعفر بن محمد رضي الله عنه توفي سنة ثمان وأربعين ومائة، قبل بناء القاهرة بأكثر من مائتي سنة، إذ القاهرة بنيت حول الستين وثلاثمائة، كما في "تاريخ الجامع الأزهر "ويقال إن ابتداء بنائها سنة ثمان وخمسين، وأنه في سنة اثنين وستين قدم "معد بن تميم "من المغرب واستوطنها.

ومما يبين هذا أن المتفلسفة الذين يعلم خروجهم من دين الإسلام كانوا من أتباع مبشر بن فاتك أحد أمرائهم، وأبي علي بن الهيثم اللذين كانا في دولة الحاكم نازلين قريبا من الجامع الأزهر. وابن سينا وابنه وأخوه كانوا من أتباعهما. قال ابن سينا: وقرأت من الفلسفة، وكنت أسمع أبي وأخي يذكران العقل والنفس، وكان وجوده على عهد الحاكم، وقد علم الناس من سيرة الحاكم ما علموه، وما فعله هشكين الدرزي بأمره من دعوة الناس إلى عبادته، ومقاتلته أهل مصر على ذلك، ثم ذهابه إلى الشام حتى أضل وادي التيم بن ثعلبة.

والزندقة والنفاق فيهم إلى اليوم، وعندهم كتب الحاكم، وقد أخذتها منهم، وقرأت مـــا فيها من عبادتهم الحاكم، وإسقاطه عنهم الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتسمية المســلمين الموجبــين لهذه الواجبات، المحرمين لما حرم الله ورسوله بالحشوية. إلى أمثال ذلك من أنواع النفاق التي لا تكاد تحصى.

مجموع الفتاوى ٣٥ / ١٣٤ - ١٣٥

القصة الحادية عشرة

الجهال المغرورون

لقد حدثني رجل أنه أنكر على بعض هؤلاء خلوة له ترك فيها الجمعة، فقال له الشــيخ أليس الفقهاء يقولون إذا خاف على شيء من ماله فإن الجمعة تسقط ؟فقال له: بلـــى. فقـــال له: فقلب المريد أعز عليه من عشرة دراهم- أو كما قال -وهو إذا خرج ضاع قلبه، فحفظه لقلبه عذر مسقط للجمعة في حقه. فقال له: هذا غرور بك، الواجب الخروج إلى أمر الله عز وجل. فتأمل هذا الغرور العظيم كيف أدى إلى الإنسلاخ عن الإســلام جملـــة، فإن من سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العام كانسلاخ الحية من قشرها، وهو يظن أنه من خاصة الخاصة.

مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٠

القصة الثانية عشرة

حال من قرأ المحصل للرازي والإشارات لابن سينا

وحدثنـــي غيـــر مرة رجل، وكان من أهل الفضل والذكاء والمعرفة والدين، أنه كـــان قـــد قـــرأ على شخص سماه لي، وهو من أكابر أهل الكلام والنظر، دروسا من (المحصّـــل) لابن الخطيب وأشياء من (إشارات) ابن سينا. قال: فرأيت حالي قد تغير، وكان له نور وهدى، ورؤيت له منامات سيئة، فرآه صاحب النسخة بحال سيئة، فقص عليه الرؤيا، فقال: هي من كتابك.

وإشـارات ابـن سـينا يعرف جمهور المسلمين الذين يعرفون دين الإسلام أن فـيها إلحـادا كثيـرا، بخـلاف (المحصل) يظن كثير من الناس أن فيه بحوثا تحصل المقصود. قال فكتبت عليه:

محصـل فـي أصول الدين حاصله — مـن بعـد تحصـيله أصل بلا دين

أصـل الضلالات والشك المبين فما — فـيه فأكثـره وحـي الشـياطين

منهاج السنة ٥/٤٣٣-٤٣٤

القصة الثالثة عشرة

جهل المعظمين للفلسفة والكلام بالقرآن والحديث

مـن المعلـوم أن المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونهما هم أبعد عن معـرفة الحديث، وأبعد عن اتباعه من هؤلاء. هذا أمر محسوس، بل إذا كشفت أحوال هم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله وبواطن أموره وظواهرها، حتى لتجد كثيرا من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه.

وإنمـا يعـتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم سواء كان موضوعا أو غير موضـوع، فـيعدلون إلـى أحاديث يعلم خاصة الرسول بالضرورة اليقينية أنها مكذبة عليه، عن أحاديث يعلم خاصته بالضرورة اليقينية أنها قوله، وهم لا يعلمون مراده، بل غالـب هؤلاء لا يعلمون معاني القرآن، فضلا عن الحديث، بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلا. فمن لا يحفظ القرآن، ولا يعرف معانيه، ولا يعرف الحديث ولا معانيه، من أين يكون عارفا بالحقائق المأخوذة عن الرسول ؟

وإذا تدبـر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانـت بالقـرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد كانـت عنهما أنأى!حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية، فقال: لا نسلم صحة الحديث!وربما قال: لقوله عليه السلام كذا، وتكون آية من كتاب الله. وقد بلغنا من ذلك عجائب وما لم يبلغنا أكثر.

وحدثني ثقة: أنه تو لى مدرسةمشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين رجل يسمى شمس الدين الأصبهاني شيخ الأيكي، فأعطوه جزءا من الربعة فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓمٓصٓ ۝﴾ [الأعراف: ١] حتى قيل له: ألف لام ميم صاد.

فتأمل هذه الحكومة العادلة! ليتبين لك أن الذين يعيبون أهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم جهلة زنادقة منافقون بلا ريب.

مجموع الفتاوى ٤/٩٥-٩٦

القصة الرابعة عشرة

ابن تيمية وغيره كانوا يقولون بمذهب أهل البدع حتى هداهم الله

ولكن هذه المسألة[1] ومسألة الزيارة وغيرهما حدث من المتأخرين فيها شبه.

وأنا وغيري كنا على مذهب الآباء في ذلك، نقول في الأصلين بقول أهل البدع، فلما تبين لنا ما جاء به الرسول دار الأمر بين أن نتبع ما أنزل الله أو نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فكان الواجب هو اتباع الرسول، وأن لا نكون ممن قيل فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [لقمان: ٢١].

مجموع الفتاوى ٦ / ٢٥٨

القصة الخامسة عشرة

شطط التلمساني

ولهذا كان هؤلاء الاتحادية والحلولية يصفونه[2] بما توصف به الأجسام المذمومة، ويصرحون بذلك، وهؤلاء من أعظم الناس كفرا، وشتما لله وسبا لله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. وحصل بما ذكره الأئمة أن هؤلاء

---

(١) يعني مسألة الصفات

(٢) أي: الله تعالى

الجهمـــية أصـــل قولهم الذي به يموهون على الناس إنما هو التنـــزيه ويسمون أنفسهم المنـــــزهون، وهـــم أبعد الخلق عن تنـــزيه الله، وأقرب الناس لتنجيس تقديسه، وهذا يظهـــر بوجـــوه كثيرة. لكن المذكور هنا كونهم يقولون: إنه في كل مكان من الأمكنة النجســـة القـــذرة، فأي تنـــزيه وتقديس يكون مع جعلهم له في النجاسات والقاذورات والكلاب والخنازير، بل وتصريحهم بذلك.

حتـــى حدثني من شهد أحذق محققيهم التلمساني وآخر من طواغيتهم وقد اجتاز بكلـــب جـــرب مـــيت، فقال ذلك للتلمساني: وهذا الكلب أيضا ذلك ؟فقال: أو ثم شيء خارج عن الذات.

بيان تلبيس الجهمية ٥٣٨/٢

القصة السادسة عشرة

شعر الملاحدة والاتحاديين

ولهـــذا اجـــتمع جماعـــة عظيمة بدمشق في سماع فأنشد فيه القوال شعرا لابن اســـرائيل، وكان شاعرا من شعراء الفقراء في شعره إيمان وكفر وهدى وضلال، وفي شـــعره كثيـــر من كلام الاتحادية، لكن التلمساني وابن الفارض أحذق في الاتحاد منه، فأنشد القوال له:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذايق

وكـــان هناك شيخ يعرف بالشيخ نجم الدين بن الحكيم صحب الشيخ إسماعيل الكورانـــي فأنكـــر ذلـــك، وتـــلا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] والتفت إلى القوال وقال له قل:

(وما أنت عين الكون بل أنت غيره ويشهد هذا الأمر من هو صادق.

وهي واقعة مشهورة حدثني بها غيرواحد ممن شهدها، ولقد أحسن هذا الشيخ التالي لهذه الآية في الرد على هذا الشعر الذي هو من أقوال الملاحدة والاتحادية.

بيان تلبيس الجهمية ٥٤٢/٢

القصة السابعة عشرة

حال القائلين بالإمام المعصوم

فالشيعة القائلون بالإمام المعصوم ونحوهم من أبعد الطوائف عن اتباع هذا المعصوم، فلا جرم تجدهم من أبعد الناس عن مصلحة دينهم ودنياهم، حتى يوجد ممن هو تحت سياسة أظلم الملوك وأضلهم من هو أحسن حالا منهم، ولا يكونون في خير إلا تحت سياسة من ليس منهم....

وهذا الذي ذكرته كل من استقرأه في العالم وجده.

وقد حدثني الثقات الذين لهم خبرة بالبلاد -الذين خبروا حال أهلها -بما يبين ذلك. ومثال ذلك أنه يوجد في الحجاز وسواحل الشام من الرافضة من ينتحلون المعصوم، وقد رأينا حال من كان بسواحل الشام مثل جبل كسروان وغيره، وبلغنا أخبار غيرهم، فما رأينا في العالم طائفة أسوأ من حالهم في الدين والدنيا، ورأينا الذين هم تحت سياسة الملوك على الإطلاق خيرا من حالهم.

منهاج السنة ٦/٤١٧-٤١٨

القصة الثامنة عشرة

العبيديون يحرفون أحاديث الصحيحين

وحدثني الثقة من أصحابنا أنه اجتمع بشيخ أعرفه، وكان فيه دين وزهد وأحوال معروفة، لكن كان فيه تشيع، قال: وكان عنده كتاب يعظمه ويدعي أنه من الأسرار، وأنه أخذه من خزائن الخلفاء، وبالغ في وصفه، فلما أحضره، فإذا به كتاب قد كتب بخط حسن، وقد عمدوا[1] إلى الأحاديث التي في البخاري ومسلم جميعها في فضائل أبي بكر وعمر ونحوهما، جعلوها لعلي. ولعل هذا الكتاب كان من خزائن بني عبيد

(١) أي: العبيديين.

المصـــريين، فـــإن خواصهم كانوا ملاحدة زنادقة، غرضهم قلب الإسلام، وكانوا قد وضعوا من الأحاديث المفتراة التي يناقضون بها الدين ما لا يعلمه إلا الله.

منهاج السنة٧/٢١٤

القصة التاسعة عشرة

بدعة الاستثناء في الأمور الماضية المقطوع بها

وأمـــا الاستثناء في الماضي المعلوم المتيقن، مثل قوله: هذه شجرة إن شاء الله، أو هذا إنسان إن شاء الله، أو السماء فوقنا إن شاء الله، أو لا إله إلا الله إن شاء الله، أو محمـــد رســـول الله إن شاء الله، أو الامتناع من أن يقول محمد رسول الله قطعا، وأن يقول هذه شجرة قطعا، فهذه بدعة مخالفة للعقل والدين.

ولم يبلغنا عن أحد من أهل الإسلام إلا عن طائفة من المنتسبين إلى الشيخ أبي عمرو بن مرزوق، ولم يكن الشيخ يقول بذلك، ولا عقلاء أصحابه، ولكن حدثني بعض الخبيـــرين أنه بعد موته تنازع صاحبان له حازم وعبد الملك، فابتدع حازم هذه البدعة في الاستثناء في الأمور الماضية، المقطوع بها، وترك القطع بذلك، وخالفه عبد الملك في ذلك، موافقة لجماعة المسلمين وأئمة الدين.

مجموع الفتاوى ٨/٤٢١

ثالثاً: قصته عن

تجارب المسلمين في الانتصار على من سب الرسول ﷺ

إن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه، ومظهر لدينه ولكذب الكاذب، إذا لم يمكن الناس ان يقيموا عليه الحد.

ونظيـــر هـــذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول -أهل الفقه والخبرة- عما جـــربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المســـلمون فـــيها بنـــي الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة

الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه، تعجلنا فتحه وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يوما أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة. قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظا عليهم بما قالوا فيه.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين.

الصارم المسلول ٢/٢٣٣-٢٣٤

رابعاً: قصته عن
استقباح البهائم والطيور الفاحشة

قد ذكر البخاري في صحيحه عن أبي رجاء العطاردي أنه رأى في الجاهلية قردا يزني بقردة فاجتمعت القرود عليه حتى رجمته.

وقد حدثني بعض الشيوخ الصادقين، أنه رأى في جامع نوعا من الطير قد باض، فأخذ الناس بيضة، وجاء ببيض جنس آخر من الطير، فلما انفقس البيض خرجت الفراخ من غير الجنس فجعل الذكر يطلب جنسه، حتى اجتمع منهن عدد فما زالوا بالأنثى حتى قتلوها. ومثل هذا معروف في عادة البهائم.

مجموع الفتاوى ١٥/١٤٧

الفصل الرابع

مناظراته



الفصل الرابع

مناظراته

أولاً : مناظرات أهل الكتاب

المناظرة الأولى

مناظرة الرهبان الثلاثة بقاعة الترسيم في دعاء غير الله

ولما كان الشيخ في قاعة الترسيم، دخل إلى عنده ثلاثة رهبان من الصعيد، فناظرهم وأقام عليهم الحجة بأنهم كفار، وما هم على الذي كان عليه ابراهيم والمسيح.

فقالوا له؛ نحن نعمل مثل ما تعملون، أنتم تقولون بالسيدة نفيسة ونحن نقول بالسيدة مريم، وقد أجمعنا نحن وأنتم على أن المسيح ومريم أفضل من الحسين ومن نفيسة، وأنتم تستغيثون بالصالحين الذين قبلكم، ونحن كذلك، فقال لهم: وأي من فعل ذلك ففيه شبه منكم، وهذا ما هو دين إبراهيم الذي كان عليه، فإن الدين الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، ولا ندّ له، ولا صاحبة له، ولا ولد له ولا نشرك معه ملكاً ولا شمساً ولا قمراً ولا كوكباً، ولا نشرك معه نبيا من الأنبياء، ولا صالحا (إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا).

وأن الأمور التي لا يقدر عليها غير الله لا تطلب من غيره، مثل إنزال المطر وإنبات النبات، وتفريج الكربات والهدى من الضلالات، وغفران الذنوب، فإنه لا يقدر أحد من جميع الخلق على ذلك، ولا يقدر عليه إلا الله.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام نؤمن بهم ونعظمهم ونوقرهم ونتبعهم ونصدقهم في جميع ما جاءوا به، ونطيعهم. كما قال نوح وصالح وهود وشعيب: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝﴾ [نوح: ٣] فجعلوا العبادة والتقوى لله وحده، والطاعة لهم، فإن طاعتهم من طاعة الله، فلو كفر أحد بنبي من الأنبياء، وآمن بالجميع ما ينفعه إيمانه حتى يؤمن بذلك النبي، وكذلك لو آمن بجميع الكتب وكفر بكتاب كان كافرا حتى يؤمن بذلك الكتاب، وكذلك الملائكة واليوم الآخر.

فلمـــا سمعوا ذلك منه قالوا: الدين الذي ذكرته خير من الدين الذي نحن وهؤلاء عليه، ثم انصرفوا من عنده.

مجموع الفتاوى ١ / ٣٧٠-٣٧١

والذين يعظمون القبور والمشاهد، لهم شبه شديد بالنصارى، حتى إني لما قدمت القاهرة اجتمع بى بعض معظميهم من الرهبان، وناظرني في المسيح، ودين النصارى، حتــى بيــنت له فساد ذلك، وأجبته عما يدعيه من الحجة، وبلغني بعد ذلك، أنه صنف كــتابا فـــي الـــرد على المسلمين، وإبطال نبوة محمد، وأحضره إلي بعض المسلمين، وجعل يقرأه علي لأجيب عن حجج النصارى وأبين فسادها.

وكـــان من أواخر ما خاطبت به النصراني، أن قلت له: أنتم مشركون، وبينت من شركهم ماهم عليه من العكوف على التماثيل والقبور وعبادتها والاستغاثة بها، قال لـــي: نحن ما نشرك بهم ولا نعبدهم، وإنما نتوسل بهم، كما يفعل المسلمون إذا جاءوا إلـــى قبر الرجل الصالح، فيتعلقون بالشباك الذي عليه ونحو ذلك، فقلت له: وهذا أيضا مـــن الشـــرك ليس هذا من دين المسلمين، وإن فعله الجهال، فأقر أنه شرك، حتى أن قسيســا كـــان حاضـــرا فـــي هذه المسألة، فلما سمعها قال: نعم على هذا التقدير نحن مشـــركون، وكـــان بعـــض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيد وسيدة ولكم سيد وسيدة، لنا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكم السيد الحسين والسيدة نفسية.

مجموع الفتاوى٢٧/٤٦١-٤٦٢

المناظرة الثانية

مناظرة أهل الكتاب في نسخ شريعتهم

ونفـــس الكتب التي بأيدي اليهود والنصارى -مثل نبوة الأنبياء، وهي أكثر من عشرين نبوة وغيرها - تبين أنهم بدلوا وأن شريعتهم تنسخ، وتبين صحة رسالة محمد ﷺ، فـــإن فيها من الأعلام والدلائل على نبوة خاتم المرسلين ما قد صنف فيه العلماء مصنفات، وفيها أيضا من التناقض والاختلاف ما يبين أيضا وقوع التبديل، وفيها من الأخبار من نحو بعدها ما يبين أنها منسوخة، فعندهم ما يدل على هذه المطالب.

وقد ناظرنا غير واحد من أهل الكتاب، وبينا لهم ذلك، وأسلم من علمائهم وخيارهم طوائف، وصاروا يناظرون أهل دينهم، ويبينون ما عندهم من الدلائل على نبوة محمد ﷺ، ولكن هذه الفتيا لا تحتمل غير ذلك.

مجموع الفتاوى ٤ / ٢٠٨-٢٠٩

المناظرة الثالثة

مناظرة بعض النصارى واعترافهم ببطلان قولهم بالحلول في المسيح

والنصارى تشبه الحلول والاتحاد بهذا.

وقلت لمن حضرني منهم وتكلم بشئ من هذا: فإذا كنتم تشبهون المخلوق بالشعاع الذي للشمس والنار، والخالق بالنار والشمس، فلا فرق في هذا بين المسيح وغيره، فإن كل ما سوى الله على هذا هو بمنزلة الشعاع والضوء، فما الفرق بين المسيح وبين إبراهيم وموسى؟ بل ما الفرق بينه وبين سائر المخلوقات على هذا؟

وجعلت أردد عليه هذا الكلام، وكان في المجلس جماعة حتى فهمه فهما جيدا، وتبين له وللحاضرين أن قولهم باطل لا حقيقة له، وأن ما أثبتوه للمسيح إما ممتنع في حق كل أحد وإما مشترك بين المسيح وغيره، وعلى التقديرين فتخصيص المسيح بذلك باطل.

وذكرت له أنه ما من آية جاء بها المسيح إلا وقد جاء موسى بأعظم منها، فإن المسيح وإن كان جاء بإحياء الموتى فالموتى الذين أحياهم الله على يد موسى أكثر، كالذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فأخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله بعد موتهم. كما قال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦] وكالذي ضرب ببعض البقرة، وغير ذلك.

وقد جاء بإحياء الموتى غير واحد من الأنبياء، والنصارى يصدقون بذلك.

وأمـا جعـل العصا حية فهذا أعظم من إحياء الميت، فإن الميت كانت فيه حياة فـردت الحـياة إلى محل كانت فيه الحياة، وأما جعل خشبة يابسة حيوانا تبتلع العصى والحبال فهذا أبلغ في القدرة وأندر، فإن الله يحيي الموتى ولا يجعل الخشب حيات.

وأمـا إنزال المائدة من السماء فقد كان ينزل على قوم موسى كل يوم من المن والسـلوى، وينبع لهم من الحجر من الماء ما هو أعظم من ذلك، فإن الحلوى أو اللحم دائمـا هـو أجل في نوعه وأعظم في قدره مما كان على المائدة من الزيتون والسمك وغيـرهما.وذكـرت له نحوا من ذلك مما يبين أن تخصيص المسيح بالاتحاد ودعوى الإلهية ليس له وجه، وأن سائر ما يذكر فيه إما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من المخلـوقات، وإما أن يكون مشتركا بينه وبين غيره من الأنبياء والرسل، مع أن بعض الرسـل كإبراهيم وموسى قد يكون أكمل في ذلك منه، وأما خلقه من امرأة بلا رجل، فخلق حواء من رجل بلا امرأة أعجب من ذلك، فإنه خلق من بطن امرأة وهذا معتاد، بخـلاف الخلق من ضلع رجل، فإن هذا ليس بمعتاد، فما من أمر يذكر في المسيح إلا وقـد شـركه فـيه أو فيما هو أعظم منه غيره من بني آدم، فعلم قطعا أن تخصيص المسـيح باطل، وأن ما يدعونه له إن كان ممكنا فلا اختصاص له به، وإن كان ممتنعا فلا وجود له فيه ولا في غيره.

مجموع الفتاوى ٢ / ٣٤٦-٣٤٨

ثانياً: مناظرات أصحاب المذاهب والفرق

المناظرة الأولى

مناظرة الشيخ يحيى الصرصري في استغاثته بالرسول ﷺ

ولهـذا أنكـرنا علـى الشيخ يحيى الصرصري، ما يقوله في قصائده في مدح الرسول من الاستغاثة به، مثل قوله: بك أستغيث وأستعين وأستنجد ونحو ذلك، وكذلك مـا يفعلـه كثيـر من الناس من استنجاد الصالحين والمتشبهين بهم، والاستعانة بهم أحياء وأمواتا، فإني أنكرت ذلك في مجالس عامة وخاصة، وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من الخاصة.

مجموع الفتاوى ١/ ٧٠ – ٧١

المناظرة الثانية

مناظرة الصوفية في أذكارهم البدعية

وأمـــا ذكر الاسم المفرد، فبدعة لم يشرع وليس هو بكلام يعقل، ولا فيه إيمان، ولهـــذا صار بعض من يأمر به من المتأخرين، يبين أنه ليس قصدنا ذكر الله تعالى، ولكـــن جمع القلب على شيء معين حتى تستعد النفس لما يرد عليها، فكان يأمر مريده بـــأن يقول هذا الاسم مرات، فإذا اجتمع قلبه ألقى عليه حالا شيطانياً فيلبسه الشيطان، ويخـــيل إلـــيه أنـــه قد صار في الملأ الأعلى، وأنه أعطي ما لم يعطه محمد ﷺ ليلة المعـــراج، ولا موسى عليه السلام يوم الطور، وهذا واشباهه وقع لبعض من كان في زماننا.

وأبلـــغ من ذلك من يقول: ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان، حتى يقـــول: لا فـــرق بين قولك: يا حي، وقولك: يا جحش!وهذا مما قاله لي شخص منهم وأنكرت ذلك عليه.

مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٩٦ – ٣٩٧

المناظرة الثالثة

مناظرة أصحاب العبادات البدعية

وأمـــا الفـــواحش فالغناء رقية الزنا، وهو من أعظم الأسباب لوقوع الفواحش، ويكـــون الـــرجل والصبى والمرأة في غاية العفة والحرية حتى يحضره، فتنحل نفسه وتســـهل علـــيه الفاحشـــة ويميل لها فاعلا أو مفعولا به، أو كلاهما، كما يحصل بين شاربي الخمر وأكثر.

وأمـــا القـــتل فإن قتل بعضهم بعضا في السماع كثير، يقولون: قتله بحاله ويعـــدون ذلك من قوته، وذلك أن معهم شياطين تحضرهم، فأيهم كانت شياطينه أقوى، قتل الآخر، كالذين يشربون الخمر ومعهم أعوان لهم، فإذا شربوا، عربدوا فـــأيهم كانت أعوانه أقوى قتل الآخر، وقد جرى مثل هذا لكثير منهم، ومنهم من

يقـــتل إما شخصا وإما فرسا، أو غير ذلك بحاله ثم يقوم صاحب الثأر، ويستغيث بشيخه فيقتل ذلك الشخص وجماعة معه، إما عشرة وإما أقل أو أكثر، كما جرى مثل هذا لغير واحد وكان الجهال يحسبون هذا من باب الكرامات فلما تبين لهم أن هذه أحوال شيطانية، وأن هؤلاء معهم شياطين تعينهم على الإثم والعدوان، عرف ذلك من بصره الله تعالى وانكشف التلبيس والغش الذي كان لهؤلاء.

وكـــنت في أوائل عمري، حضرت مع جماعة من أهل الزهد والعبادة والإرادة، فكانـــوا مـــن خيار أهل هذه الطبقة، فبتنا بمكان وأرادوا أن يقيموا سماعا وأن أحضر معهم، فإمتنعت من ذلك، فجعلوا لي مكانا منفردا قعدت فيه فلما سمعوا وحصل الوجد والحـــال صار الشيخ الكبير يهتف بي في حال وجده، ويقول: يا فلان قد جاءك نصيب عظيم، تعال خذ نصيبك، فقلت في نفسي - ثم أظهرته لهم لما اجتمعنا -: أنتم في حل مـــن هـــذا النصيب فكل نصيب لا يأتى عن طريق محمد بن عبدالله فإني لا آكل منه شـــيئا، وتبـــين لبعض من كان فيهم ممن له معرفة وعلم أنه كان معهم الشياطين وكان فـــيهم من هو سكران بالخمر، والذى قلته معناه أن هذا النصيب وهذه العطية والموهبة والحـــال سببها غير شرعى ليس هو طاعة لله ورسوله، ولا شرعها الرسول، فهو مثل من يقول: تعال اشرب معنا الخمر ونحن نعطيك هذا المال، أو عظم هذا الصنم، ونحن نوليك هذه الولاية ونحو ذلك.

وقـــد يكون سببه نذرا لغير الله سبحانه وتعالى، مثل أن ينذر لصنم أو كنيسة أو قبر أو نجم أو شيخ ونحو ذلك من النذور التي فيها شرك، فإذا أشرك بالنذر فقد يعطيه الشيطان بعض حوائجه كما تقدم في السحر.

مجموع الفتاوى ١٠ / ٤١٧ – ٤١٩

المناظرة الرابعة

مناظرة ابن تيمية وهو صغير غالطي المتصوفة

وأغـرب مـن هذا، ما قاله لي مرة شخص من هؤلاء الغالطين في قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧] قال المعنى وما يعلم تأويل (هو) أي اسم (هو) الـذي يقـال فيه (هو، هو) وصنف ابن عربي كتابا في (الهو) فقلت له –وأنا إذ ذاك صـغير جـدا –لو كان كما تقول لكتبت في المصحف مفصولة (تأويل هو) ولم تكتب موصـولة، وهذا الكلام الذي قاله هذا معلوم الفساد بالاضطرار.وإنما كثير من غالطي المتصوفة لهم مثل هذه التأويلات الباطلة في الكتاب والسنة.

مجموع الفتاوى ١٠ / ٥٦٠

المناظرة الخامسة

مناظرة شيوخ الاتحادية ومباهلتهم

فلهذا تجد عامة من في دينه فساد، يدخل في الأكاذيب الكونية، مثل أهل الاتحاد فـإن ابن عربي في كتاب (عنقاء مغرب) وغيره أخبر بمستقبلات كثيرةعامتها كذب، وكـذلك ابـن سبعين وكذلك الذين استخرجوا مدة بقاء هذه الأمة من حساب الجمل من حـروف المعجـم الـذي ورثـوه من اليهود، ومن حركات الكواكب الذي ورثوه من الصابئة، كما فعل أبو نصر الكندي وغيره من الفلاسفة، وكما فعل بعض من تكلم في تفسـير القرآن من أصحاب الرازي ومن تكلم في تأويل وقائع النساك، من المائلين إلى التشيع.

وقـد رأيـت مـن أتـباع هؤلاء، طوائف يدعون أن هذه الأمور من الأسرار المخزونة والعلوم المصونة وخاطبت في ذلك طوائف، منهم، وكنت أحلف لهم أن هذا كـذب مفترى، وأنه لا يجري من هذه الأمور شيء، وطلبت مباهلة بعضهم، لأن ذلك كان متعلقا بأصول الدين وكانوا من الاتحادية الذين يطول وصف دعاويهم.

فإن شيخهم الذي هو عارف وقته وزاهده عندهم، كانوا يزعمون أنه هو المسيح الذي ينـزل، وأن معنى ذلك نزول روحانية عيسى عليه السلام، وأن أمه اسمها مريم وأنه يقوم بجمع الملل الثلاث وأنه يظهر مظهرا أكمل من مظهر محمد وغيره من المرسلين، ولهم مقالات من أعظم المنكرات يطول ذكرها ووصفها.

ثم إن من عجيب الأمر أن هؤلاء المتكلمين المدعين لحقائق الأمور العلمية والدينية المخالفين للسنة والجماعة، يحتج كل منهم بما يقع له من حديث موضوع، أو مجمل لا يفهم معناه وكلما وجد أثرا فيه إجمال نزله على رأيه فيحتج بعضهم بالمكذوب مثل المكذوب المنسوب إلى عمر (كنت كالزنجي) ومثل ما يروونه من (سر المعراج) وما يروونه من أن أهل الصفة سمعوا المناجاة من حيث لا يشعر الرسول، فلما نزل الرسول أخبروه فقال: من أين سمعتم فقالوا كنا نسمع الخطاب حتى إني لما بينت لطائفة تمشيخوا وصاروا قدوة للناس أن هذا كذب ما خلقه الله قط، قلت: ويبين لك ذلك أن المعراج كان بمكة بنص القرآن وبإجماع المسلمين والصفة إنما كانت بالمدينة، فمن أين كان بمكة أهل صفة؟

وكذلك احتجاجهم بأن أهل الصفة قاتلوا النبي وأصحابه مع المشركين لما انتصروا، وزعموا أنهم مع الله ليحتجوا بذلك على متابعة الواقع، سواء كان طاعة لله، أو معصية، وليجعلوا حكم دينه هو ما كان، كما قال الذين أشركوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وأمثال هذه الموضوعات كثيرة.

مجموع الفتاوى ٤ / ٨١ – ٨٣

المناظرة السادسة

مناظرة الاتحادية

ولهذا كان باطن قول هؤلاء الاتحادية المنتسبة إلى الإسلام، هو قول فرعون.

وكنت أبين أنه مذهبهم وأبين أنه حقيقة مذهب فرعون، حتى حدثني الثقة عن بعض طواغيتهم أنه قال: نحن على قول فرعون، ولهذا يعظمون فرعون في كتبهم

تعظـيما كثيـرا، فـإنهم لـم يجعلوا ثم صانعا للعالم، خلق العالم ولا أثبتوا ربا مدبرا للمخلـوقات، وإنمـا جعلـوا نفس الطبيعة هى الصانع، ولهذا جوزوا عبادة كل شيء، وقالـوا: من عبده فقد عبد الله. ولا يتصور عندهم أن يعبد غير الله فما من شيء يعبد إلا وهو الله، وهذه الكائنات عندهم أجزاؤه أو صفاته كأجزاء الإنسان أو صفاته.

مجموع الفتاوى ٧/ ٦٣١ - ٦٣٢

المناظرة السابعة

مناظرة ابن المرحل في معنى الحمد والشكر

تلخيص مناظرة في الحمد والشكر، بحث جرى بين شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، وبين ابن المرحل.

كـان الكـلام فـي الحمد والشكر، وأن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح والحمد، لا يكون إلا باللسان.

فقـال ابـن المـرحل: قـد نقـل بعض المصنفين وسماه أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد، ومذهب الخوارج أنه يكون بالاعتقاد والقول والعمـل، وبـنوا على هذا، أن من ترك الأعمال يكون كافرا لأن الكفر نقيض الشكر، فـإذا لـم يكن شاكرا كان كافرا، قال الشيخ تقي الدين: هذا المذهب المحكى عن أهل السـنة خطـأ، والـنقل عـن أهل السنة خطأ، فإن مذهب أهل السنة أن الشكر يكون بالاعـتقاد والقول والعمل، قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سبأ: ١٣] وقام النبي حتى تورمت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: "أفلا أكون عبدا شكورا".

قـال ابـن المرحل: أنا لا أتكلم في الدليل وأسلم ضعف هذا القول، لكن أنا أنقل أنـه مذهب أهل السنة قال الشيخ تقي الدين: نسبة هذا إلى أهل السنة خطأ، فإن القول إذا ثبت ضعفه كيف ينسب إلى أهل الحق ؟

ثم قد صرح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسنة أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

قلت: وباب سجود الشكر في الفقه أشهر من أن يذكر، وقد قال النبي عن سجدة سورة ص: "سجدها داود توبة، ونحن نسجدها شكرا"، ثم من الذي قال من أئمة السنة إن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد.

قال ابن المرحل: هذا قد نقل والنقل لا يمنع، لكن يستشكل ويقال هذا مذهب مشكل.

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: النقل نوعان: أحدهما: أن ينقل ما سمع أو رأى، والثاني: ما ينقل باجتهاد واستنباط، وقول القائل: مذهب فلان كذا، أو مذهب أهل السنة كذا قد يكون نسبه إليه، لاعتقاده أن هذا مقتضى أصوله وإن لم يكن فلان قال ذلك.ومثل هذا يدخله الخطأ كثيرا، ألا ترى أن كثيرا من المصنفين يقولون: مذهب الشافعي أو غيره كذا، ويكون منصوصه بخلافه؟ وعذرهم في ذلك، أنهم رأوا أن أصوله تقتضي ذلك القول فنسبوه إلى مذهبه من جهة الاستنباط، لا من جهة النص، وكذلك هذا لما كان أهل السنة لا يكفرون بالمعاصي والخوارج يكفرون بالمعاصي، ثم رأى المصنف الكفر ضد الشكر أعتقد أنا إذا جعلنا الأعمال شكرا لزم انتفاء الشكر بانتفائها، ومتى انتفى الشكر خلفه الكفر ولهذا قال: إنهم بنوا على ذلك التكفير بالذنوب، فلهذا عزى إلى أهل السنة إخراج الأعمال عن الشكر.

قلت: كما أن كثيرا من المتكلمين أخرج الأعمال عن الإيمان لهذه العلة، قال: وهذا خطأ لأن التكفير نوعان: أحدهما كفر النعمة، والثاني: الكفر بالله.والكفر الذي هو ضد الشكر إنما هو كفر النعمة، لاالكفر بالله.فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة، لا الكفر بالله.

قلت: على أنه لو كان ضد الكفر بالله، فمن ترك الأعمال شاكرا بقلبه ولسانه، فقد أتى ببعض الشكر وأصله والكفر، إنما يثبت إذا عدم الشكر بالكلية كما قال أهل السنة: إن من ترك فروع الإيمان لا يكون كافرا حتى يترك أصل الإيمان وهو الاعتقاد، ولا يلزم من زوال فروع الحقيقة -التى هى ذات شعب وأجزاء- زوال اسمها كالإنسان، إذا قطعت يده، أو الشجرة إذا قطع بعض فروعها.

قـال الصـدر ابن المرحل: فإن أصحابك قد خالفوا الحسن البصري في تسمية الفاسق كافر النعمة، كما خالفوا الخوارج في جعله كافرا بالله.

قـال الشـيخ تقـي الدين: أصحابي لم يخالفوا الحسن في هذا، فعمن تنقل من أصحابي هذا؟ بل يجوز عندهم أن يسمى الفاسق كافر النعمة، حيث أطلقته الشريعة.

قـال ابـن المـرحل: إني أنا ظننت أن أصحابك قد قالوا هذا، لكن أصحابى قد خالفوا الحسن في هذا.

قـال الشـيخ تقي الدين: ولا أصحابك خالفوه، فإن أصحابك قد تأولوا أحاديث النبـي ﷺ التي أطلق فيها الكفر على بعض الفسوق مثل ترك الصلاة وقتال المسلمين: علـى أن المـراد به كفر النعمة، فعلم أنهم يطلقون على المعاصي في الجملة أنها كفر النعمة فعلم أنهم موافقو الحسن لا مخالفوه.

ثـم عـاد ابـن المـرحل فقال: أنا أنقل هذا عن المصنف، والنقل ما يمنع لكن يستشكل.

قـال الشيخ تقي الدين: إذا دار الأمر بين أن ينسب إلى أهل السنة مذهب باطل، أو ينسـب الـناقل عنهم إلى تصرفه في النقل كان نسبة الناقل إلى التصرف أولى من نسـبة الباطل إلى طائفة أهل الحق مع أنهم صرحوا في غير موضع، أن الشكر يكون بالقول والعمل والاعتقاد وهذا أظهر من أن ينقل عن واحد بعينه.

ثم أنا نعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول أهل الحق إخراج الأعمال أن تكون شكرا لله، بل قد نص الفقهاء على أن الزكاة شكر نعمة المال وشواهد هذا أكثر من أن تحتاج إلى نقل.

وتفسـير الشـكر بأنه يكون بالقول والعمل في الكتب التي يتكلم فيها على لفظ الحمد والشكر، مثل كتب التفسير واللغة، وشروح الحديث يعرفه آحاد الناس، والكتاب والسنة قد دلا على ذلك.

فخـرج ابـن المرحل إلى شيء غير هذا، فقال الحسن البصري: يسمى الفاسق مـنافقا وأصـحابك لا يسمونه منافقا، قال الشيخ تقي الدين له: بل يسمى منافقا النفاق

الأصغر لا النفاق الأكبر، والنفاق يطلق على النفاق الأكبر الذي هو إضمار الكفر، وعلى النفاق الأصغر الذي هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات.

قال له ابن المرحل: ومن أين قلت إن الاسم يطلق على هذا وعلى هذا؟ قال الشيخ تقي الدين: هذا مشهور عند العلماء، وبذلك فسروا قول النبي ﷺ: "آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان". وقد ذكر ذلك الترمذي وغيره وحكوه عن العلماء وقال غير واحد من السلف: كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك وإذا كان النفاق جنسا تحته نوعان فالفاسق داخل في أحد نوعيه.

قال ابن المرحل: كيف تجعل النفاق اسم جنس وقد جعلته لفظا مشتركا ؟وإذا كان اسم جنس كان متواطئا والأسماء المتواطئة غير المشتركة فكيف تجعله مشتركا متواطئا؟ قال الشيخ تقي الدين: أنا لم أذكر أنه مشترك. وإنما قلت: يطلق على هذا وعلى هذا، والإطلاق أعم.

ثم لو قلت إنه مشترك لكان الكلام صحيحا، فإن اللفظ الواحد قد يطلق على شيئين بطريق التواطؤ، وبطريق الاشتراك.فأطلقت لفظ النفاق على إبطان الكفر وإبطان المعصية تارة بطريق الاشتراك وتارة بطريق التواطؤ، كما أن لفظ الوجود يطلق على الواجب والممكن عند قوم باعتبار الاشتراك وعند قوم باعتبار التواطؤ، ولهذا سمي مشككا.

قال ابن المرحل: كيف يكون هذا؟ وأخذ في كلام لا يحسن ذكره.

قال له الشيخ تقي الدين: المعاني الدقيقة تحتاج إلى إصغاء واستماع وتدبر. وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك وقدر مميز، واللفظ يطلق على كل منهما، فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تمتاز كل ماهية عن الأخرى. فيكون مشتركا كالاشتراك اللفظي. وقد يكون مطلقا باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين. فيكون لفظا متواطئا، قلت: ثم إنه في اللغة يكون موضوعا للقدر المشترك ثم يغلب عرف الاستعمال على استعماله في هذا تارة، وفى هذا تارة فيبقى دالا بعرف الاستعمال على

مـا بـه الاشتراك والامتياز، وقد يكون قرينة مثل لام التعريف أو الإضافة تكون هي الدالة على ما به الامتياز.

مـثال ذلك: اسم الجنس إذا غلب في العرف على بعض أنواعه، كلفظ الدابة إذا غلـب علـى الفـرس، قد نطلقه على الفرس، باعتبار القدر المشترك بينها وبين سائر الـدواب، فـيكون متواطـئا وقد نطلقه باعتبار خصوصية الفرس فيكون مشتركا بين خصـوص الفـرس وعموم سائر الدواب، ويصير استعماله في الفرس: تارة بطريق الـتواطؤ، وتارة بطريق الاشتراك، وهكذا اسم الجنس إذا غلب على بعض الأشخاص وصـار علما بالغلبة، مثل: ابن عمرو والنجم، فقد نطلقه عليه باعتبار القدر المشترك بيـنه وبـين سائر النجوم وسائر بني عمرو، فيكون إطلاقه عليه بطريق التواطؤ، وقد نطلقـه عليه باعتبار ما به يمتاز عن غيره من النجوم، ومن بني عمرو فيكون بطريق الاشـتراك بـين هذا المعنى الشخصي وبين المعنى النوعي، وهكذا كل اسم عام غلب علـى بعض أفراده يصح استعماله في ذلك الفرد بالوضع الأول العام، فيكون بطريق التواطؤ بالوضع الثاني، فيصير بطريق الاشتراك، ولفظ النفاق من هذا الباب، فإنه في الشرع إظهار الدين وإبطان خلافه، وهذا المعنى الشرعي أخص من مسمى النفاق في اللغـة، فإنه في اللغة أعم من إظهار الدين ثم إبطان ما يخالف الدين إما أن يكون كفرا أو فسقا، فإذا أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر الذي أوعد صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار، وإن أظهر أنه صادق أو موف أو أمين وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك، فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقا.

فإطلاق النفاق عليهما في الأصل بطريق التواطؤ.

وعلـى هـذا، فالنفاق اسم جنس تحته نوعان. ثم إنه قد يراد به النفاق في أصل الـدين مـثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ [النساء: ١٤٥] و: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١] والمنافق هنا الكافر.

وقد يراد به النفاق في فروعه، مثل قوله: ""آية المنافق ثلاث"، وقوله: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا". وقول ابن عمر فيمن يتحدث عند الأمراء بحديث ثم يخرج فيقول بخلافه، "كنا نعد هذا على عهد النبي ﷺ نفاقا".

فــإذا أردت بــه أحد النوعين، فإما أن يكون تخصيصه لقرينة لفظية، مثل لام العهـد والإضــافة فهــذا لا يخــرجه عن أن يكون متواطئا كما إذا قال الرجل: جاء القاضــي، وعنــى به قاضي بلده، لكون اللام للعهد، كما قال سبحانه: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المــزمل: ١٦] أن اللام هي أوجبت قصر الرسول على موسى لا نفس لفظ رســول، وإما أن يكون لغلبة الاستعمال عليه فيصير مشتركا بين اللفظ العام والمعنى الخاص، فكذلك قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] فإن تخصيص هذا اللفظ بالكافــر: إمــا أن يكون لدخول اللام التي تفيد العهد، والمنافق المعهود: هو الكافر. أو تكــون لغلبة هذا الاسم في الشرع.على نفاق الكفر وقوله ﷺ: "ثلاث من كن فيه كان منافقا"، يعني به منافقا بالمعنى العام، وهو إظهاره من الدين خلاف ما يبطن.

فإطلاق لفظ النفاق على الكافر وعلى الفاسق إن أطلقته باعتبار ما يمتاز به عن الفاســق، كــان إطلاقه عليه وعلى الفاسق باعتبار الاشتراك. وكذلك يجوز أن يراد به الكافــر خاصة ويكون متواطئا، إذا كان الدال على الخصوصية غير لفظ منافق بل لام التعريف.

وهــذا البحث الشريف جار في كل لفظ عام استعمل في بعض أنواعه، إما لغلبة الاســتعمال أو لدلالة لفظية، خصته بذلك النوع مثل تعريف الإضافة أو تعريف اللام، فــان كــان لغلبة الاستعمال صح أن يقال: إن اللفظ مشترك وإن كان لدلالة لفظية كان اللفظ باقيا على مواطأته.

فلهذا صح أن يقال: النفاق اسم جنس تحته نوعان، لكون اللفظ في الأصل عاما متواطئا.

وصــح أن يقال: هو مشترك بين النفاق في أصل الدين وبين مطلق النفاق في الدين، لكونه في عرف الاستعمال الشرعي غلب على نفاق الكفر.

بحث ثان: وهو أن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص.

فالحمــد أعــم مــن جهة أسبابه التي يقع عليها، فإنه يكون على جميع الصفات والشكر لا يكون إلا على الإحسان والشكر أعم من جهة ما به يقع. فإنه يكون بالاعتقاد والقول والفعل.والحمد يكون بالفعل أو بالقول أو بالاعتقاد.

أورد الشيخ الإمام زين الدين ابن المنجا الحنبلي أن هذا الفرق انما هو من جهة متعلق الحمد والشكر، لأن كونه يقع على كذا ويقع بكذا خارج عن ذاته فلا يكون فرقا في الحقيقة، والحدود إنما يتعرض فيها لصفات الذات لا لما خرج عنها.

فقــال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية: المعاني على قسمين: مفردة، ومضافة. فالمعاني المفردة حدودها لا توجد فيها بتعلقاتها. وأما المعاني الإضافية فلابد أن يوجد في حدودها تلك الإضافات.فإنها داخلة في حقيقتها. ولا يمكن تصورها إلا بتصور تلك المتعلقات، فتكون المتعلقات جزءا من حقيقتها، عين ذكرها في الحدود.

الحمد والشكر معلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه، فلا يتم ذكر حقيقتهما إلا بذكر متعلقهما فيكون متعلقهما داخلا في حقيقتهما.

فاعتــرض الصدر ابن المرحل بأنه ليس للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية، فلا يكون للحمد والشكر من متعلقهما صفة ثبوتية، فإن المتعلق صفة نسبية، والنسب أمور عدمــية، وإذا لــم تكن صفة ثبوتية لم تكن داخلة في الحقيقة، لأن العدم لا يكون جزءا من الوجود.

فقــال الشيخ تقي الدين: قولك ليس للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية، ليس على العمــوم، بل قد يكون للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية، وقد لا يكون وإنما الذي يقوله أكثر المتكلمين ليس لمتعلق القول من القول صفة ثبوتية.

ثــم الصفات المتعلقة نوعان: أحدهما إضافة محضة مثل الأبوة والبنوة والفوقية والتحتــية ونحــوها، فهذه الصفة هى التي يقال فيها هى مجرد نسبة وإضافة، والنسب أمــور عدمــية، والثاني: صفة ثبوتية مضافة إلى غيرها، كالحب والبغض والإرادة والكــراهة والقدرة وغير ذلك من الصفات، فإن الحب صفة ثبوتية متعلقة بالمحبوب. فالحب معروض للإضافة، بمعنى أن الإضافة صفة عرضت له، لا أن نفس الحب هو

الإضـــافة. ففرق بين ما هو إضافة وبين ما هو صفة مضافة، فالإضافة يقال فيها: إنها عدمية. قال: وأما الصفة المضافة، فقد تكون ثبوتية كالحب.

قال ابن المرحل: الحب أمر عدمي، لأن الحب نسبة والنسب عدمية.

قـــال الشيخ تقي الدين: كون الحب والبغض والإرادة والكراهة أمرا عدميا باطل بالضرورة، وهو خلاف إجماع العقلاء.ثم هو مذهب بعض المعتزلة في إرادة الله، فإنه زعـــم أنها صفة سلبية، بمعنى أنه غير مغلوب ولا مستكره، وأطبق الناس على بطلان هذا القول.وأما إرادة المخلوق وحبه، وبغضه فلم نعلم أحدا من العقلاء قال إنه عدمي.

فأصر ابن المرحل على أن الحب الذي هو ميل القلب إلى المحبوب أمر عدمي، وقال: المحبة أمر وجودي.

قال الشيخ تقي الدين: المحبة هي الحب، فإنه يقال: أحبه وحبه حبا ومحبة، ولا فرق. وكلاهما مصدر.

قال ابن المرحل: وأنا أقول أنهما إذا كانا مصدرين، فهما أمر عدمي.

قـــال له الشيخ تقي الدين: الكلام إذا انتهى إلى المقدمات الضرورية، فقد انتهى وتم. وكون الحب والبغض أمرا وجوديا معلوم بالاضطرار، فإن كل أحد يعلم أن الحي إن كـــان خالـــيا عـــن الحـــب كـــان هذا الخلو صفة عدمية، فإذا صار محبا فقد تغير الموصوف وصار له صفة ثبوتية زائدة على ما كان قبل أن يقوم به الحب، ومن يحس ذلك من نفسه يجده، كما يجد شهوته ونفرته ورضاه وغضبه ولذته وألمه.

ودلـــيل ذلك أنك تقول: أحب يحب محبة.ونقيض أحب: لم يحب.ولم يحب صفة عدمية، ونقيض العدم الإثبات.

قال ابن المرحل: هذا ينتقض بقولهم: امتنع يمتنع.فإن نقيض الامتناع لا امتناع، صفة عدمية.

قـــال الشيخ تقي الدين: الامتناع أمر اعتباري عقلي، فإن الممتنع ليس له وجود خارجـــي حتـــى تقوم به صفة، وإنما هو معلوم بالعقل وباعتبار كونه معلوما له ثبوت علمـــي، وســـلب هذا الثبوت العلمي عدم هذا الثبوت، فلم ينقض هذا قولنا نقيض العدم ثـــبوت، وأمـــا الحب فانه صفة قائمة بالمحب، فإنك تشير إلى عين خارجة وتقول هذا

الحـــي صار محبا بعد أن لم يكن محبا، فتخبر عن الوجود الخارجي، فإذا كان نقيضها عدما خارجيا كانت وجودا خارجيا.

وفـــي الجملة فكون الحب والبغض صفة ثبوتية وجودية معلوم بالضرورة، فلا يقبل فيه نزاع ولا يناظر صاحبه إلا مناظرة السوفسطائية.

قلـــت: وإذا كان الحب والبغض ونحوهما من الصفات المضافة المتعلقة بالغير صـــفات وجودية ظهر الفرق بين الصفات التي هى إضافة ونسبة، وبين الصفات التي هـــى مضافة منسوبة. فالحمد والشكر من القسم الثاني، فإن الحمد أمر وجودي متعلق بالمحمود عليه، وكذلك الشكر أمر وجودي متعلق بالمشكور عليه، فلا يتم فهم حقيقتهما إلا بفهـــم الصفة الثبوتية لهما التي هي متعلقة بالغير، وتلك الصفة داخلة في حقيقتهما، فـــإذا كان متعلق أحدهما أكبر من متعلق الآخر، وذلك التعلق إنما هو عارض لصفة ثبوتـــية لهما، وجب ذكر تلك الصفة الثبوتية في ذكر حقيقتهما.والدليل على هذا أن من لم يفهم الإحسان امتنع أن يفهم الشكر.

فعلم أن تصور متعلق الشكر داخل في تصور الشكر.

قلت: ولو قيل: إنه ليس هذا إلا أمرا عدميا، فالحقيقة إن كانت مركبة من وجود وعـــدم، وجب ذكرهما في تعريف الحقيقة، كما أن من عرف الأب من حيث هو أب، فـــإن تصوره موقوف على تصور الأبوة التي هى نسبة وإضافة، وإن كان الأب أمرا وجـــوديا.فالحمـــد والشـــكر متعلقان بالمحمود عليه، والمشكور عليه، وإن لم يكن هذا المتعلق عارضا لصفة ثبوتية، فلا يفهم الحمد والشكر إلا بفهم هذا المتعلق، كما لا يفهم معنـــى الأب إلا بفهـــم معنـــى الأبـــوة، الذي هو التعلق، وكذلك الحمد والشكر أمران متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه.

وهذا التعلق جزء من هذا المسمى بدليل أن من لم يفهم الصفات الجميلة لم يفهم الحمد، ومن لم يفهم الإحسان لم يفهم الشكر.

فـــإذا كـــان فهمهما موقوفا على فهم متعلقهما فوقوفه على فهم التعلق أولى.فإن الـــتعلق فرع على المتعلق، وتبع له.فإذا توقف فهمهما على فهم المتعلق الذي هو أبعد

عـــنهما مـــن التعلق، فتوقفه على فهم التعلق أولى، وإن كان التعلق أمرا عدميا، والله أعلم.

قـــال له الشيخ تقي الدين ابن تيمية قوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] قد أتـــبع بقـــوله: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]وعامة أنواع الربا يسمى بيعا.والربا وإن كـــان اسما مجملا فهو مجهول، واستثناء المجهول من المعلوم يوجب جهالة المستثنى، فيبقـــى المـــراد إحـــلال البيع الذي ليس بربا.فما لم يثبت أن الفرد المعين ليس بربا لم يصـــح إدخاله في البيع الحلال.وهذا يمنع دعوى العموم، وإن كان الربا اسما عاما فهو مســـتثنى مـــن البيع أيضا، فيبقى البيع لفظا مخصوصا، فلا يصح ادعاء العموم على الإطلاق.

قـــال ابن المرحل: هذا من باب التخصيص، وهنا عمومان تعارضا، وليس من بـــاب الاســـتثناء، فإن صيغ الاستثناء معلومة، وإذا كان هذا تخصيصا لم يمنع ادعاء العموم فيه.

قال الشيخ تقي الدين: هذا كلام متصل بعضه ببعض، وهو من باب التخصيص المتصـــل، وتسميه الفقهاء: استثناء، كقوله: له هذه الدار ولي منها هذا البيت، فإن هذا بمنزلة قوله: إلا هذا البيت.وكذلك لو قال أكرم هؤلاء القوم ولا تكرم فلانا وهو منهم. كان بمنزلة قوله: إلا فلانا.وإذا كان كذلك صار بمنزلة قوله: أحل الله البيع إلا ما كان منه ربا.فمن ادعى بعد هذا أنه عام في كل ما يسمى بيعا فهو مخطىء.

قال ابن المرحل: أنا اسلم أنه إنما هو عام في كل بيع لا يسمى ربا.

قـــال لـــه الشيخ تقي الدين: وهذا كان المقصود، ولكن بطل بهذا دعوى عمومه على الإطلاق، فإن دعوى العموم على الإطلاق ينافي دعوى العموم في بعض الأنواع دون بعض وهذا كلام بين.

وادعـــى مـــدع أن فيه قولين: أحدهما: أنه عام مخصوص، والثاني: أنه عموم مراد.

فقـــال الشـــيخ تقـــي الدين: فان دعوى أنه عموم مراد باطل قطعا، فإنا نعلم أن كثيرا من أفراد البيع حرام.

فاعترض ابن المرحل بأن تلك الأفراد حرمت بعد ما أحلت فيكون نسخا.

قـال الشـيخ تقي الدين: فيلزم من هذا أن لا نحرم شيئا من البيوع بخبر واحد ولا بقياس، فإن نسخ القرآن لا يجوز بذلك، وإنما يجوز تخصيصه به.وقد اتفق الفقهاء على التحريم بهذه الطريقة.

قال ابن المرحل: رجعت عن هذا السؤال، لكن أقول: هو عموم مراد في كل ما يسمى بيعا في الشرع، فإن البيع من الاسماء المنقولة إلى كل بيع صحيح شرعي.

قـال الشـيخ تقي الدين: البيع ليس من الاسماء المنقولة، فإن مسماه في الشرع والعـرف هو المسمى اللغوي، لكن الشارع اشترط لحله وصحته شروطا، كما قد كان أهـل الجاهلـية لهم شروط أيضا بحسب اصطلاحهم، وهكذا سائر أسماء العقود مثل الإجارة والرهن والهبة والقرض، والنكاح إذا أريد به العقد وغير ذلك، هي باقية على مسـمياتها، والنقل إنما يحتاج إليه إذا أحدث الشارع معاني لم تكن العرب تعرفها، مثل الصلاة والزكاة والتيمم، فحينئذ يحتاج إلى النقل. ومعاني هذه العقود ما زالت معروفة.

قال ابن المرحل: أصحابي قد قالوا إنها منقولة.

قـال الشـيخ تقـي الدين: لو كان لفظ البيع في الآية المراد به البيع الصحيح الشرعي لكان التقدير: أحل الله البيع الصحيح الشرعي، أو أحل الله البيع الذي هو عنده حلال، وهذا مع أنه مكرر فإنه يمنع الاستدلال بالآية. فإنا لا نعلم دخول بيع من البيوع فـي الآية حتى نعلم أنه بيع صحيح شرعي. ومتى علمنا ذلك استغنينا عن الاستدلال بالآية.

قال ابن المرحل: متى ثبت أن هذا الفرد يسمى بيعا في اللغة؟

قلت: هو بيع في الشرع، لأن الأصل عدم النقل، وإذا كان بيعا في الشرع دخل في الآية.

قـال الشيخ تقي الدين: هذا إنما يصح لو لم يثبت أن الاسم منقول، أما إذا ثبت أنه منقول، لم يصح ادخال فرد فيه حتى يثبت أن الاسم المنقول واقع عليه، وإلا فيلزم من هذا أن كل ما سمي في اللغة صلاة وزكاة وتيمما وصوما وبيعا وإجارة ورهنا أنه يجـوز إدخاله في المسمى الشرعي بهذا الإعتبار. وعلى هذا التقدير فلا يبقى فرق بين

الاسماء المنقولة وغيرها، وإنما يقال الأصل عدم النقل، إذا لم يثبت. بل متى ثبت النقل فالأصل عدم دخول هذا الفرد في الاسم المنقول حتى، يثبت أنه داخل فيه بعد النقل.

مجموع الفتاوى ١١ / ١٣٥ – ١٥٥

وانظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية ص ٩٥ -١١٦

المناظرة الثامنة

مناظرة الملاحدة الاتحاديين

وهــؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني: إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل، ويقولون من أراد التحقيق– يعني تحقيقهم –فليترك العقل والشرع.

وقــد قلــت لمن خاطبته منهم: ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم وأتم من كشف غيــرهم، وخبــرهم أصــدق مــن خبر غيرهم، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، يخبــرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته، لا بما يعرف الناس بعقولهم أنه ممتنع، فيخبرون بمحارات العقول، لا بمحالات العقول، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ما يــناقض صــريح العقــول، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان، سواء كانا عقليين أو ســمعيين، أو كان أحدهما عقليا والآخر سمعيا، فكيف بمن ادعى كشفا يناقض صريح الشرع والعقل ؟

وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها فــي الخــارج، وأشــياء يرونها تكون موجودة في الخارج، لكن يظنونها من كرامات الصالحين، وتكون من تلبيسات الشياطين.

مجموع الفتاوى ١١ / ٢٤٣ – ٢٤٤

المناظرة التاسعة

مناظرة دجاجلة البطائحية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، رب السموات والأرضين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، خاتم النبيين ﷺ، تسليما دائما إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد كتبت ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الإمارة والميدان، بحضرة الخلق من الأمراء والكتاب والعلماء والفقراء العامة وغيرهم في أمر البطائحية، يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة خمس، لتشوف الهمم إلى معرفة ذلك، وحرص الناس على الاطلاع عليه، فإن من كان غائبا عن ذلك، قد يسمع بعض أطراف الواقعة، ومن شهدها فقد رأى وسمع ما رأى وسمع، ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويره لانتشار هذه الواقعة العظيمة، ولما حصل بها من عز الدين، وظهور كلمته العليا، وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة، وظهور زيف من خرج عن ذلك، من أهل البدع المضلة والأحوال الفاسدة، والتلبيس على المسلمين.

وقد كتبت في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء البطائحية، وطريقهم وطريق الشيخ أحمد بن الرفاعي، وحاله، وما وافقوا فيه المسلمين وما خالفوهم، ليتبين ما دخلوا فيه من دين الإسلام وما خرجوا فيه عن دين الإسلام،، فإن ذلك يطول وصفه في هذا الموضع، وإنما كتبت هنا ما حضرني ذكره من حكاية هذه الواقعة المشهورة في مناظرتهم ومقابلتهم.

وذلك أني كنت أعلم من حالهم بما قد ذكرته في غير هذا الموضع، وهو أنهم وإن كانوا منتسبين إلى الإسلام وطريقة الفقر والسلوك ويوجد في بعضهم التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع، ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة، والكشف والتصرف ونحو ذلك ما يوجد، فيوجد أيضا في بعضهم من الشرك وغيره، من أنواع الكفر، ومن الغلو والبدع في الإسلام والإعراض عن كثير مما جاء به الرسول، والاستخفاف بشريعة الإسلام، والكذب والتلبيس وإظهار المخارق الباطلة، وأكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله ما يوجد.

وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة، بينت فيها لمن خاطبته، منهم ومن غيرهم بعض ما فيهم من حق وباطل، وأحوالهم التي يسمونها الإشارات، وتاب منهم جماعة وأدب منهم جماعة من شيوخهم، وبينت صورة ما يظهرونه من المخاريق، مثل ملابسة النار والحيات وإظهار الدم، واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك، وأن عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة، وأراد غير مرة منهم قوم إظهار ذلك فلما رأوا معارضتي لهم، رجعوا ودخلوا على أن أسترهم، فأجبتهم إلى ذلك بشرط التوبة، حتى قال لي شيخ منهم في مجلس عام فيه جماعة كثيرة ببعض البساتين لما عارضتهم: بأني أدخل معكم النار بعد أن نغتسل بما يذهب الحيلة، ومن احترق كان مغلوبا، فلما رأوا الصدق أمسكوا عن ذلك.

وحكى ذلك الشيخ أنه كان مرة عند بعض أمراء التتر بالمشرق، وكان له صنم يعبده، قال: فقال لي: هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم ويبقى أثر الأكل في الطعام بينا يرى فيه! فأنكرت ذلك، فقال لي: إن كان يأكل أنت تموت؟ فقلت: نعم، قال: فأقمت عنده إلى نصف النهار، ولم يظهر في الطعام أثر فاستعظم ذلك التتري وأقسم بأيمان مغلظة أنه كل يوم يرى فيه أثر الأكل لكن اليوم بحضورك، لم يظهر ذلك فقلت لهذا الشيخ: أنا أبين لك سبب ذلك، ذلك التتري كافر مشرك، ولصنمه شيطان يغويه بما يظهره من الأثر في الطعام، وأنت كان معك من نور الإسلام وتأييد الله تعالى، ما أوجب انصراف الشيطان عن أن يفعل ذلك بحضورك، وأنت وأمثالك بالنسبة إلى أهل الإسلام الخالص كالتتري بالنسبة إلى أمثالك، فالتتري وأمثاله سود، وأهل الإسلام المحض بيض، وأنتم بلق فيكم سواد وبياض، فأعجب هذا المثل من كان حاضرا.

وقلت لهم في مجلس آخر، لما قالوا تريد أن نظهر هذه الإشارات؟ قلت: إن عملتموها بحضور من ليس من أهل الشأن من الأعراب والفلاحين، أو الأتراك أو العامة أو جمهور المتفقهة والمتفقرة والمتصوفة، لم يحسب لكم ذلك، فمن معه ذهب فليأت به إلى سوق الصرف إلى عند الجهابذة الذين يعرفون الذهب الخالص من المغشوش ومن الصفر، لا يذهب إلى عند أهل الجهل بذلك. فقالوا لي: لا نعمل هذا إلا

أن تكــون همتك معنا، فقلت: همتي ليست معكم، بل أنا معارض لكم مانع لكم، لأنكم تقصدون بذلك إبطال شريعة رسول الله ﷺ، فإن كان لكم قدرة على إظهار ذلك، فافعلوا فانقلبوا صاغرين.

فلمـــا كان قبل هذه الواقعة بمدة، كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شيوخ البـــر، مطوقين بأغلال الحديد في أعناقم، وهو وأتباعه معروفون بأمور، وكان يحضر عـــندي مـــرات فأخاطـــبه بالتي هى أحسن، فلما ذكر الناس ما يظهرونه من الشعار المبـــتدع الذي يتميزون به عن المسلمين، ويتخذونه عبادة ودينا يوهمون به الناس أن هـــذا لله ســـر من أسرارهم، وأنه سيماء أهل الموهبة الإلهية السالكين طريقهم -أعني طـــريق ذلـــك الشـــيخ وأتباعه -خاطبته في ذلك بالمسجد الجامع، وقلت: هذا بدعة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله، ولا فعل ذلك أحد من سلف هذه الأمة. ولا من المشايخ الـــذين يقتدى بهم، ولا يجوز التعبد بذلك، ولا التقرب به إلى الله تعالى، لأن عبادة الله بمـــا لـــم يشرعه ضلالة، ولباس الحديد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهه من العلمـــاء، للحديث المروي في ذلك، وهو أن النبي ﷺ رأى على رجل خاتما من حديد، فقـــال: "مالـــي أرى علـــيك حلية أهل النار"، وقد وصف الله تعالى أهل النار بأن في أعـــناقهم الأغـــلال، فالتشبه بأهل النار من المنكرات، وقال بعض الناس: قد ثبت في الصـــحيح عـــن أبي هريرة: عن النبي ﷺ في حديث الرؤيا قال في آخره: "أحب القيد وأكـــره الغـــل، القيد ثبات في الدين، "فإذا كان مكروها في المنام، فكيف في اليقظة؟! فقلت له في ذلك المجلس ما تقدم من الكلام أو نحوا منه مع زيادة، وخوفته من عاقبة الإصرار على البدعة، وأن ذلك يوجب عقوبة فاعله، ونحو ذلك من الكلام الذي نسيت أكثره لبعد عهدي به، وذلك أن الأمور التي ليست مستحبة في الشرع، لا يجوز التعبد بهـــا باتفـــاق المسلمين، ولا التقرب بها إلى الله، ولا اتخاذها طريقا إلى الله وسببا لأن يكـــون الرجل من أولياء الله وأحبائه، ولا اعتقاد أن الله يحبها أو يحب أصحابها كذلك، أو أن اتخاذهـــا يزداد به الرجل خيرا عند الله وقربة إليه، ولا أن يجعل شعارا للتائبين المريدين وجه الله، الذين هم أفضل ممن ليس مثلهم.

فهـذا أصـل عظيم، تجب معرفته والاعتناء به، وهو أن المباحات، إنما تكون مـباحة إذا جعلـت مـباحات، فأما إذا اتخذت واجبات أو مستحبات، كان ذلك دينا لم يشـرعه الله، وجعـل ما ليس من الواجبات والمستحبات منها بمنزلة جعل ما ليس من المحـرمات منها، فلا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، ولهذا عظم ذم الله فـي القرآن لمن شرع دينا لم يأذن الله به، ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه، فإذا كـان هـذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات؟ ولهذا كانت هذه الأمور لا تلزم بالنذر، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله كما يجب علـيه إذا نذر طاعة الله أن يطيعه، بل عليه كفارة يمين إذا لم يفعل عند أحمد وغيره، وعند آخرين لا شيء عليه، فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة طاعة وعبادة.

ونحـو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين، كعهود أهل الفـتوة، ورماة البندق، ونحو ذلك، ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله إلا ما كان دينا وطاعة لله ورسوله في شرع الله، لكن قد يكون عليه كفارة عـند الحنث في ذلك، ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة، أو مشتملة على أنواع من البدع، إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسـوله واتـباع الكتاب والسنة، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل أنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب إلا أن يكـون ممـا أمر الله به ورسوله ﷺ، وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك، وما علم باتفـاق الأمـة أنه ليس بواجب، ولا مستحب، ولا قربة، لم يجز أن يعتقد أو يقال: إنه قربة وطاعة.

فكـذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله، ولا التعبد به ولا اتخـاذه ديـنا ولا عمله من الحسنات، فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول، ولا بإرادة وعمل.

وبإهمـال هـذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء، إذا لم يكن محرما لا ينهى عنه، بل يقال أنه جائز، ولا يفرقون بين اتخاذه دينا وطاعة وبرا، وبـين اسـتعماله كما تستعمل المباحات المحضة، ومعلوم أن اتخاذه دينا بالاعتقاد أو

الاقتصـــاد أو بهمـــا أو بالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم المحرمات وأكبر السيئات، وهـــذا مـــن الـــبدع المنكـــرات التي هي أعظم من المعاصي التي يعلم أنها معاصي وسيئات.

فلمـــا نهيـــتهم عن ذلك أظهروا الموافقة والطاعة ومضت على ذلك مدة والناس يذكـــرون عنهم الإصرار على الابتداع في الدين، وإظهار ما يخالف شرعة المسلمين، ويطلبون الإيقاع بهم، وأنا أسلك مسلك الرفق والأناة، وأنتظر الرجوع والفيئة، وأؤخر الخطـــاب إلى أن يحضر ذلك الشيخ لمسجد الجامع. وكان قد كتب إلي كتابا بعد كتاب فـــيه احتجاج واعتذار وعتب، وآثار، وهو كلام باطل لا تقوم به حجة، بل إما أحاديث موضـــوعة، أو إســـرائيليات غير مشروعة، وحقيقة الأمر: الصد عن سبيل الله وأكل أموال الناس بالباطل.

فقلت لهم: الجواب يكون بالخطاب، فإن جواب مثل هذا الكتاب لا يتم إلا بذلك، وحضر عندنا منهم شخص فنـــزعنا الغل من عنقه.

وهـــؤلاء هم من أهل الأهواء، الذين يتعبدون في كثير من الأمور بأهوائهم، لا بمـــا أمر الله تعالى ورسوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصـــص: ٥٠] ولهـــذا غالب وجدهم هوى مطلق لا يدرون من يعبدون، وفيهم شبه قوي من النصارى، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧] ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع: أهل الأهواء.

فحملهـــم هـــواهم على أن تجمعوا تجمع الأحزاب، ودخلوا إلى المسجد الجامع مســـتعدين للحراب، بالأحوال التي يعدونها للغلاب. فلما قضيت صلاة الجمعة، أرسلت إلى شيخهم لنخاطبه بأمر الله ورسوله ﷺ، ونتفق على اتباع سبيله، فخرجوا من المسجد الجامع في جموعهم إلى قصر الإمارة، وكأنهم اتفقوا مع بعض الأكابر على مطلوبهم، ثـــم رجعوا إلى مسجد الشاغو -على ما ذكر لي -وهم من الصياح والاضطراب على أمر من أعجب العجاب، فأرسلت إليهم مرة ثانية لإقامة الحجة والمعذرة، وطلبا للبيان

والتبصـــرة، ورجـــاء المـــنفعة والتذكرة، فعمدوا إلى القصر مرة ثانية، وذكر لي أنهم قدمـــوا من الناحية الغربية مظهرين الضجيج والعجيج، والإزباد والإرعاد واضطراب الرءوس والأعضاء، والتقلب في نهر بردى وإظهار التوله الذي يخيلوا به على الردى، وإبراز ما يدعونه من الحال والمحال، الذي يسلمه إليهم من أضلوا من الجهال.

فلما رأى الأمير ذلك هاله ذلك المنظر، وسأل عنهم فقيل له: هم مشتكون، فقال: لـــيدخل بعضهم، فدخل شيخهم، وأظهر من الشكوى علي، ودعوى الاعتداء مني عليهم كلامـــا كثيرا لم يبلغني جميعه، لكن حدثني من كان حاضرا: أن الأمير قال لهم: فهذا الـــذي يقـــوله مـــن عـــنده أويقـــوله عـــن الله ورســـوله ﷺ؟ فقالوا: بل يقوله عن الله ورسوله.قال: فأي شيء يقال له ؟قالوا: نحن لنا أحوال وطريق يسلم إلينا، قال: فنسمع كلامـــه، فمـــن كان الحق معه نصرناه، قالوا: نريد أن تشد منا قال: لا، ولكن أشد من الحـــق ســـواء كان معكم أو معه، قالوا: ولا بد من حضوره؟ قال: نعم، فكرروا ذلك، فأمـــر بإخـــراجهم، فأرســـل إلي بعض خواصه من أهل الصدق والدين، ممن يعرف ضلالهم، وعرفني بصورة الحال وأنه يريد كشف أمر هؤلاء.

فلما علمت ذلك، ألقي في قلبي أن ذلك لأمر يريده الله من إظهار الدين، وكشف حـــال أهل النفاق المبتدعين، لانتشارهم في أقطار الأرضين، وما أحببت البغي عليهم والعدوان، ولا أن أسلك معهم إلا أبلغ ما يمكن من الإحسان، فأرسلت إليهم من عرفهم بصـــورة الحال، وأني إذا حضرت كان ذلك عليكم من الوبال، وكثر فيكم القيل والقال، وأن مـــن قعـــد أو قام قدام رماح أهل الإيمان، فهو الذي أوقع نفسه في الهوان، فجاء الرسول وأخبر أنهم اجتمعوا بشيوخهم الكبار، الذين يعرفون حقيقة الأسرار، وأشاروا علـــيهم بمـــوافقة ما أمروا به من اتباع الشريعة، والخروج عما ينكر عليهم من البدع الشـــنيعة، وقـــال شـــيخهم الذي يسيح بأقطار الأرض كبلاد الترك ومصر وغيرهما: أحوالـــنا تظهر عند التتار لا تظهر عند شرع محمد بن عبد الله. وأنهم نزعوا الأغلال من الأعناق، وأجابوا إلى الوفاق.

ثم ذكر لي أنه جاءهم بعض أكابر غلمان المطاع، وذكر أنه لابد من حضورهم لمـــوعد الاجـــتماع فاستخرت، الله تعالى تلك الليلة واستعنته، واستنصرته واستهديته،

وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك، حتى ألقي في قلبي أن أدخل النار عند الحاجة إلى ذلك، وأنها تكون بردا وسلاما على من اتبع ملة الخليل، وأنها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن هذه السبيل.وقد كان بقايا الصابئة أعداء إبراهيم إمام الحنفاء بنواحي البطائح منضمين إلى من يضاهيهم من نصارى الدهماء.

وبين الصابئة ومن ضل من العباد المنتسبين إلى هذا الدين نسب يعرفه من عرف الحق المبين، فالغالية من القرامطة والباطنية كالنصيرية والاسماعيلية يخرجون إلى مشابهة الصابئة الفلاسفة، ثم إلى الإشراك، ثم إلى جحود الحق تعالى، ومن شركهم الغلو في البشر، والابتداع في العبادات، والخروج عن الشريعة له نصيب من ذلك بحسب ما هو به لائق، كالملحدين من أهل الاتحاد، والغالية من أصناف العباد.

فلما أصبحنا ذهبت للميعاد وما أحببت أن أستصحب أحدا للإسعاد، لكن ذهب أيضا بعض من كان حاضرا من الأصحاب، والله هو المسبب لجميع الأسباب. وبلغني بعد ذلك أنهم طافوا على عدد من أكابر الأمراء وقالوا أنواعا مما جرت به عادتهم من التلبيس والافتراء، الذي استحوذوا به على أكثر أهل الأرض من الأكابر والرؤساء، مثل زعمهم أن لهم أحوالا لا يقاومهم فيها أحد من الأولياء، وأن لهم طريقا لا يعرفها أحد من العلماء. وأن شيخهم هو في المشايخ كالخليفة، وأنهم يتقدمون على الخلق بهذه الأخبار المنيفة، وأن المنكر عليهم هو آخذ بالشرع الظاهر، غير واصل إلى الحقائق والسرائر.وأن لهم طريقا وله طريق، وهم الواصلون إلى كنه التحقيق، وأشباه هذه الدعاوى، ذات الزخرف والتزويق.

وكانوا لفرط انتشارهم في البلاد، واستحواذهم على الملوك والأمراء والأجناد، لخفاء نور الإسلام، واستبدال أكثر الناس بالنور الظلام.وطموس آثار الرسول في أكثر الأمصار، ودروس حقيقة الإسلام في دولة التتار، لهم في القلوب موقع هائل، ولهم فيهم من الاعتقاد ما لا يزول بقول قائل.

قال المخبر: فغدا أولئك الأمراء الأكابر، وخاطبوا فيهم نائب السلطان بتعظيم أمرهم الباهر، وذكر لي أنواعا من الخطاب، والله تعالى أعلم بحقيقة الصواب، والأمير مستشعر ظهور الحق عند التحقيق، فأعاد الرسول إلي مرة ثانية، فبلغه أنا في

الطـــريق، وكان كثير من أهل البدع الأضداد، كطوائف من المتفقهة والمتفقرة وأتباع أهل الاتحاد، مجدين في نصرهم بحسب مقدورهم، مجهزين لمن يعينهم في حضورهم، فلمـــا حضـــرت وجـــدت النفوس في غاية الشوق إلى هذا الاجتماع، متطلعين إلى ما ســـيكون طالبين للاطلاع، فذكر لي نائب السلطان وغيره من الأمراء بعض ما ذكروه مـــن الأقـــوال المشتملة على الافتراء.وقال: إنهم قالوا: إنك طلبت منهم الامتحان، وأن يحموا الأطواق نارا ويلبسوها. فقلت: هذا من البهتان.

وهـــا أنا ذا أصف ما كان.قلت للأمير: نحن لا نستحل أن نأمر أحدا بأن يدخل نـــارا، ولا تجـــوز طاعة من يأمر بدخول النار. وفى ذلك الحديث الصحيح، وهؤلاء يكذبـــون في ذلك، وهم كذابون مبتدعون، قد أفسدوا من أمر دين المسلمين ودنياهم ما الله به عليم.

وذكـــرت تلبيسهم على طوائف من الأمراء، وأنهم لبسوا على الأمير المعروف بالأيدمـــري. وعلـــى قفجق نائب السلطنة وعلى غيرهما، وقد لبسوا أيضا على الملك العـــادل كـــتغا فـــي ملكه، وفي حالة ولاية حماه، وعلى أمير السلاح أجل أمير بديار مصـــر، وضـــاق المجلس عن حكاية جميع تلبيسهم فذكرت تلبيسهم. على الأيدمري، وأنهـــم كانـــوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيته الباطنة، ثم يخبرونه بها علـــى طريق المكاشفة، ووعدوه بالملك، وأنهم وعدوه أن يروه رجال الغيب، فصنعوا خشـــبا طوالا وجعلوا عليها من يمشى كهيئة الذي يلعب باكر الزجاج، فجعلوا يمشون علـــى جـــبل المـــزة، وذاك يرى من بعيد قوما يطوفون على الجبل وهم يرتفعون عن الأرض، وأخذوا منه مالا كثيرا ثم انكشف له أمرهم.

قلـــت للأمير: وولده هو الذي في حلقة الجيش يعلم ذلك، وهو ممن حدثني بهذه القصـــة.وأما قفجق فإنهم أدخلوا رجلا في القبر يتكلم وأوهموه أن الموتى تتكلم، وأتوا بـــه في مقابر باب الصغير إلى رجل زعموا أنه الرجل الشعراني الذي بجبل لبنان ولم يقـــربوه منه بل من بعيد لتعود عليه بركته، وقالوا إنه طلب منه جملة من المال، فقال قفجـــق: الشـــيخ يكاشـــف وهو يعلم أن خزائني ليس فيها هذا كله، وتقرب قفجق منه وجذب الشعر، فانقلع الجلد الذي ألصقوه على جلده من جلد الماعز.

فذكرت للأمير هذا، ولهذا قيل له إنه لما انقضى المجلس، وانكشف حالهم للناس كتب أصحاب ققجق إليه كتابا وهو نائب السلطنة بحماه يخبره بصورة ما جرى.

وذكــرت للأميــر أنهم مبتدعون بأنواع من البدع، مثل الأغلال ونحوها، وأنا نهيــناهم عــن البدع الخارجة عن الشريعة، فذكر الأمير حديث البدعة، وسألني عنه، فذكــرت حديث العرباض بن سارية، وحديث جابر بن عبد الله، وقد ذكرتهما بعد ذلك بالمجلس العام كما سأذكره.

قلت للأمير: أنا ما امتحنت هؤلاء، لكن هم يزعمون أن لهم أحوالا يدخلون بها الــنار، وأن أهــل الشريعة لا يقدرون على ذلك، ويقولون لنا هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع، ليس لهم أن يعترضوا علينا، بل يسلم إلينا ما نحن عليه، سواء وافق الشرع أو خالفه، وأنا قد استخرت الله سبحانه، أنهم إن دخلوا النار أدخل أنا وهم، ومن احتــرق منا ومنهم فعليه لعنة الله، وكان مغلوبا، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخل والمــاء الحار.فقال الأمير: ولم ذاك؟ قلت: لأنهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع، وباطن قشر النارنج، وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم، وأنا لا أطلي جلدي بشيء فإذا اغتسلت أنا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق، فاستعظم الأمير هجومي على النار.وقال: أتفعل ذلك؟ فقلت له: نعم قد استخرت الله فــي ذلــك وألقى في قلبي أن أفعله، ونحن لا نرى هذا وأمثاله ابتداء، فإن خوارق العــادات إنمــا تكون لأمة محمد ﷺ المتبعين له باطنا وظاهرا لحجة أو حاجة، فالحجة لإقامــة ديــن الله، والحاجــة لما لا بد منه من النصر والرزق الذي به يقوم دين الله، وهــؤلاء إذا أظهروا ما يسمونه إشاراتهم وبراهينهم التي يزعمون أنها تبطل دين الله وشــرعه وجب علينا أن ننصر الله ورسوله ﷺ ونقوم في نصر دين الله وشريعته، بما نقــدر عليه من أرواحنا وجسومنا وأموالنا. فلنا حينئذ أن نعارض ما يظهرونه من هذه المخاريق. بما يؤيدنا الله به من الآيات.

وليعلم أن هذا مثل معارضة موسى للسحرة لما أظهروا سحرهم، أيد الله موسى بالعصــا التــي ابــتلعت سحرهم، فجعل الأمير يخاطب من حضره من الأمراء على الســماط بــذلك، وفرح بذلك، وكأنهم كانوا قد أوهموه أن هؤلاء لهم حال لا يقدر أحد

علـــى رده وسمعته يخاطب الأمير الكبير الذي قدم من مصر الحاج بهادر وأنا جالس بيـــنهما على رأس السماط بالتركي ما فهمته منه إلا أنه: قال اليوم ترى حربا عظيما، ولعل ذاك كان جوابا لمن كان خاطبه فيهم على ما قيل.

وحضـــر شـــيوخهم الأكابـــر فجعلوا يطلبون من الأمير الإصلاح وإطفاء هذه القضـــية، ويترفقون، فقال الأمير: إنما يكون الصلح بعد ظهور الحق، وقمنا إلى مقعد الأمير بزاوية القصر أنا وهو وبهادر فسمعته يذكر له أيوب الحمال بمصر والمولهين، ونحـــو ذلك، فدل ذلك على أنه كان عند هذا الأمير لهم صورة معظمة، وأن لهم فيهم ظنا حسنا، والله أعلم بحقيقة الحال، فإنه ذكر لي ذلك.

وكـــان الأميـــر أحب أن يشهد بهادر هذه الواقعة ليتبين له الحق، فإنه من أكابر الأمـــراء وأقدمهم وأعظمهم حرمة عنده، وقد قدم الآن وهو يحب تأليفه وإكرامه، فأمر ببساط يبسط في الميدان، وقد قدم البطائحية وهم جماعة كثيرون، وقد أظهروا أحوالهم الشـــيطانية من الإزباد والإرغاء وحركة الرؤوس والأعضاء، والطفر والحبو والتقلب، ونحو ذلك من الأصوات المنكرات، والحركات الخارجة عن العادات، المخالفة لما أمر به لقمان لابنه في قوله: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ [لقمان: ١٩].

فلما جلسنا وقد حضر خلق عظيم من الأمراء والكتاب والعلماء والفقراء والعامة وغيـــرهم، وحضـــر شيخهم الأول المشتكي، وشيخ آخريسمي نفسه خليفة سيده أحمد، ويـــركب بعلمين، وهم يسمونه: عبد الله الكذاب، ولم أكن أعرف ذلك.وكان من مدة قد قـــدم علـــي منهم شيخ بصورة لطيفة، وأظهر ما جرت به عادتهم من المسألة فأعطيته طلبـــته ولم أتفطن لكذبه حتى فارقني، فبقي في نفسي أن هذا خفي علي تلبيسه إلى أن غاب، وما يكاد يخفى علي تلبيس أحد، بل أدركه في أول الأمر، فبقي ذلك في نفسي، ولم أره قط إلى حين ناظرته، ذكر لي أنه ذاك الذي كان اجتمع بي قديما، فتعجبت من حسن صنع الله أنه هتكه في أعظم مشهد يكون حيث كتم تلبيسه بيني وبينه.

فلما حضروا، تكلم منهم شيخ يقال له حاتم بكلام مضمونه طلب الصلح والعفو عـــن الماضي والتوبة، وأنا مجيبون إلى ما طلب من ترك هذه الأغلال وغيرها من البدع، ومتـــبعون للشـــريعة. فقلت: أما التوبة فمقبولة. قال الله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ

شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]هذه إلى جنب هذه، وقال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

فأخذ شيخهم المشتكي ينتصر للبسهم الإطواق وذكر أن وهب بن منبه روى أنه كان في بني إسرائيل عابد وأنه جعل في عنقه طوقا في حكاية من حكايات بني إسرائيل لا تثبت.

فقلت لهم: ليس لنا أن نتعبد في ديننا بشيء من الإسرائيليات المخالفة لشرعنا، قد روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة، فقال: "أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موس حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم". وفى مراسيل أبي داود أن النبي ﷺ رأى مع بعض أصحابه شيئا من كتب أهل الكتاب فقال: "كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم أنزل إلى نبي غير نبيهم". وأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٥١].

فنحن لا يجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله إذا خالف شرعنا، وإنما علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا ونتبع الشرعة والمنهاج الذي بعث الله به إلينا رسولنا كما قال تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾.[المائدة: ٤٨] فكيف يجوز لنا أن نتبع عباد بني إسرائيل في حكاية لا تعلم صحتها؟! وما علينا من عباد بني إسرائيل: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] هات ما في القرآن وما في الأحاديث الصحاح كالبخاري ومسلم وذكرت هذا وشبهه بكيفية قوية.

فقال هذا الشيخ: منهم يخاطب الأمير: نحن نريد أن تجمع لنا القضاة الأربعة والفقهاء ونحن قوم شافعية.

فقلـت له: هذا غير مستحب ولا مشروع عند أحد من علماء المسلمين، بل كلهم ينهـى عن التعبد به ويعده بدعة، وهذا الشيخ كمال الدين بن الزملكاني مفتي الشافعية ودعـوته وقلـت: يا كمال الدين! ما تقول في هذا ؟! فقال: هذا بدعة غير مستحبة بل مكـروهة أو كمـا قال: وكان مع بعض الجماعة فتوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك.

وقلت ليس لأحد الخروج عن شريعة محمد ﷺ ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسـوله ﷺ، وأشـك هل تكلمت هنا في قصة موسى والخضر؟ فإني تكلمت بكلام بعد عهدي به.

فانتدب ذلك الشيخ عبد الله ورفع صوته، وقال: نحن لنا أحوال وأمور باطنة لا يوقـف علـيها، وذكر كلاما لم أضبط لفظه مثل المجالس والمدارس والباطن والظاهر ومضـمونه أن لنا الباطن ولغيرنا الظاهر، وأن لنا أمرا لا يقف عليه أهل الظاهر فلا ينكـرونه عليـنا، فقلـت له -ورفعت صوتي وغضبت-: الباطن والظاهر والمجالس والمـدارس والشـريعة والحقائق كل هذا مردود إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ليس لأحـد الخـروج عن كتاب الله وسنة رسوله لا من المشايخ والفقراء، ولا من الملوك والأمراء، ولا من العلماء والقضاة وغيرهم، بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله، وذكرت هذا ونحوه.

فقـال -ورفـع صوته-: نحن لنا الأحوال وكذا وكذا. وادعى الأحوال الخارقة كالـنار وغيرها، واختصاصهم بها، وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها، فقلت: -ورفعت صوتي وغضبت -أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغاربها أي شـيء فعلـوه في النار، فأنا أصنع مثل ما تصنعون ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلـت: فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار، فسألني الأمراء والناس عن ذلك، فقلت: لأن لهم حيلا في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضـفادع، وقشـر النارنج، وحجر الطلق، فضج الناس بذلك، فأخذ يظهر القدرة على ذلك، فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت فقلت: فقم.

وأخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك، فمد يده يظهر خلع القميص، فقلت: لا حتى تغتسل في الماء الحار والخل، فأظهر الوهم على عادتهم، فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشبا أو قال حزمة حطب، فقلت: هذا تطويل وتفريق للجمع ولا يحصل به مقصود، بل قنديل يوقد وأدخل أصبعي وأصبعك فيه بعد الغسل ومن احترقت أصبعه فعليه لعنه الله، أو قلت: فهو مغلوب.فلما قلت ذلك: تغير وذل، وذكر لي أن وجهه اصفر.

ثم قلت لهم: ومع هذا، فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة، ولو طرتم في الهواء، ومشيتم على الماء، ولو فعلتم ما فعلتم، لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدعونه من مخالفة الشرع.ولا على إبطال الشرع، فإن الدجال الأكبر يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه، ويقتل رجلا ثم يمشي بين شقيه، ثم يقول له: قم فيقوم، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون، لعنه الله، ورفعت صوتي بذلك، فكان لذلك وقع عظيم في القلوب.

وذكرت قول أبي يزيد البسطامي: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي، وذكرت عن يونس بن عبد الأعلى أنه قال للشافعي: أتدري ما قال صاحبنا يعني الليث بن سعد؟ قال: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء، فلا تغتر به، فقال الشافعي: لقد قصر الليث، لو رأيت صاحب هوى يطير في الهواء فلا تغتر به، وتكلمت في هذا ونحوه بكلام بعد عهدي به، ومشايخهم الكبار يتضرعون عند الأمير في طلب الصلح، وجعلت ألح عليه في إظهار ما ادعوه من النار مرة بعد مرة وهم لا يجيبون، وقد اجتمع عامة مشايخهم الذين في البلد والفقراء المولهون منهم، وهم عدد كثير، والناس يضجون في الميدان، ويتكلمون بأشياء لا أضبطها.

فذكر بعض الحاضرين أن الناس قالوا ما مضمونه: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف: ١١٨-١١٩] [وذكروا أيضا أن هذا الشيخ يسمى عبد الله الكذاب. وأنه الذي قصدك مرة فأعطيته ثلاثين درهما، فقلت: ظهر لي حين أخذ الدراهم وذهب أنه ملبس، وكان قد حكى حكاية عن نفسه

مضـــمونها، أنه أدخل النار في لحيته قدام صاحب حماة، ولما فارقني وقع في قلبي أن لحيته مدهونة. وأنه دخل إلى الروم واستحوذ عليهم.

فلمـــا ظهـــر للحاضـــرين عجزهم وكذبهم وتلبيسهم وتبين للأمراء الذين كانوا يشـــدون مـــنهم أنهم مبطلون رجعوا، وتخاطب الحاج بهادر ونائب السلطان وغيرهما بصـــورة الحال، وعرفوا حقيقة المحال. وقمنا إلى داخل ودخلنا، وقد طلبوا التوبة عما مضى، وسألني الأمير عما تطلب منهم، فقلت: متابعة الكتاب والسنة، مثل أن لا يعتقد أنـــه لا يجب عليه اتباعهما، أو أنه يسوغ لأحد الخروج من حكمهما ونحو ذلك، أو أنه يجـــوز اتـــباع طريقة تخالف بعض حكمهما ونحو ذلك من وجوه الخروج عن الكتاب والســـنة التـــي تـــوجب الكفـــر وقد توجب القتل دون الكفر، وقد توجب قتال الطائفة الممتنعة، دون قتل الواحد المقدور عليه.

فقالـــوا نحـــن ملتزمون الكتاب والسنة أتنكر علينا غير الأطواق؟ نحن نخلعها. فقلـــت: الأطـــواق، وغير الإطواق ليس المقصود شيئا معينا، وإنما المقصود أن يكون جمـــيع المســـلمين تحت طاعة الله ورسولهﷺ فقال الأمير: فأي شيء الذي يلزمهم من الكـــتاب والسنة ؟فقلت: حكم الكتاب والسنة كثير لا يمكن ذكره في هذا المجلس، لكن المقصـــود أن يلتـــزموا هـــذا التزاما عاما، ومن خرج عنه ضربت عنقه، وكرر ذلك وأشـــار بيده إلى ناحية الميدان، وكان المقصود أن يكون هذا حكما عاما في حق جميع الـــناس فـــإن هذا مشهد عام مشهور قد توفرت الهمم عليه، فيتقرر عند المقاتلة وأهل الديوان والعلماء والعباد وهؤلاء وولاة الأمور أنه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه.

قلـــت: ومن ذلك الصلوات الخمس في مواقيتها، كما أمر الله ورسوله، فإن من هـــؤلاء مـــن لا يصلي، ومنهم من يتكلم في صلاته، حتى إنهم بالأمس بعد أن اشتكوا علـــي فـــي عصر الجمعة، جعل أحدهم يقول في صلب الصلاة: يا سيدى أحمد شيء لله.وهذا مع أنه مبطل للصلاة، فهو شرك بالله ودعاء لغيره في حال مناجاته التي أمرنا أن نقول فيها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وهذا قد فعل بالأمس بحضـــرة شـــيخهم فأمر قائل ذلك لما أنكر عليه المسلمون بالاستغفار على عادتهم في

صغير الذنوب، ولم يأمره بإعادة الصلاة. وكذلك يصيحون في الصلاة صياحا عظيما، وهذا منكر يبطل الصلاة.

فقال: هذا يغلب على أحدهم كما يغلب العطاس.

فقلت: العطاس من الله، والله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، ولا يملك أحدهم دفعه، وأما هذا الصياح فهو من الشيطان، وهو باختيارهم وتكلفهم، ويقدرون على دفعه، ولقد حدثني بعض الخبيرين بهم بعد المجلس، أنهم يفعلون في الصلاة ما لا تفعله اليهود والنصارى، مثل قول أحدهم: أنا على بطن امرأة الإمام، وقول الآخر: كذا وكذا من الإمام، ونحو ذلك من الأقوال الخبيثة، وأنهم إذا أنكر عليهم المنكر ترك الصلاة يصلون بالنوبة، وأنا أعلم أنهم متولون للشياطين، ليسوا مغلوبين على ذلك، كما يغلب الرجل في بعض الأوقات على صيحة أو بكاء في الصلاة، أو غيرها.

فلما أظهروا التزام الكتاب والسنة وجموعهم بالميدان بأصواتهم وحركاتهم الشيطانية يظهرون أحوالهم، قلت له: أهذا موافق للكتاب والسنة؟ فقال هذا من الله حال يرد عليهم، فقلت: هذا من الشيطان الرجيم لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ، ولا أحبه الله ولا رسوله، فقال: ما في السموات والأرض حركة وا كذا ولا كذا إلا بمشيئته وإرادته، فقلت له: هذا من باب القضاء والقدر، وهكذا كل ما في العالم من كفر وفسوق وعصيان هو بمشيئته وإرادته، وليس ذلك بحجة لأحد في فعله، بل ذلك مما زينه الشيطان، وسخطه الرحمن.

فقال: فبأي شيء تبطل هذه الأحوال؟ فقلت: بهذه السياط الشرعية، فأعجب الأمير وضحك، وقال: أي والله! بالسياط الشرعية تبطل هذه الأحوال الشيطانية، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد، ومن لم يجب إلى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية. وأمسكت سيف الأمير وقلت: هذا نائب رسول الله ﷺ وغلامه، وهذا السيف سيف رسول الله ﷺ، فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله، ضربناه بسيف الله، وأعاد الأمير هذا الكلام، وأخذ بعضهم يقول: فاليهود والنصارى يقرون ولا نقر نحن؟ فقلت: اليهود والنصارى يقرون بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم، والمبتدع لا يقر على بدعته. فأفحموا لذلك.

و حقيقة الأمر أن من أظهر منكرا في دار الإسلام، لم يقر على ذلك، فمن دعا إلى بدعة وأظهرها لم يقر، ولا يقر من أظهر الفجور، وكذلك أهل الذمة لا يقرون على إظهار منكرات دينهم، ومن سواهم فإن كان مسلما أخذ بواجبات الإسلام وترك محرماته، وإن لم يكن مسلما ولا ذميا فهو إما مرتد، وإما مشرك، وإما زنديق ظاهر الزندقة.

وذكرت ذم المبتدعة فقلت: روى مسلم في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله كان يقول في خطبته: " إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"، وفي السنن عن العرباض ابن سارية قال: "خطبنا رسول الله خطبة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بالسمع والطاعة، فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"، وفي رواية: "وكل ضلالة في النار".

فقال لي البدعة مثل الزنا، وروى حديثا في ذم الزنا، فقلت: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، والزنا معصية، والبدعة شر من المعصية، كما قال سفيان الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها. وكان قد قال بعضهم: نحن نتوب الناس، فقلت: مماذا تتوبونهم؟ قال: من قطع الطريق والسرقة، ونحو ذلك، فقلت: حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم، فإنهم كانوا فساقا يعتقدون تحريم ما هم عليه ويرجون رحمة الله ويتوبون إليه أو ينوون التوبة، فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الإسلام، يحبون ما يبغضه الله ويبغضون ما يحبه الله، وبينت أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي.

قلت مخاطبا للأمير والحاضرين: أما المعاصي فمثل ما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب أن رجلا كان يدعى حمارا، وكان يشرب الخمر، وكان

يضـحك النبي ﷺ وكان كلما أتى به النبي ﷺ جلده الحد فلعنه رجل مرة، وقال لعنه الله، مـا أكثـر مـا يؤتـى به إلى النبي ﷺ؟ فقال النبي ﷺ: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسـوله، قلـت: فهذا رجل كثير الشرب للخمر، ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي ﷺ بذلك ونهى عن لعنه.

وامـا المبتدع فمثل ما أخرجا في الصحيحين عن علي بن أبي طالب، وعن أبي سـعيد الخدري، وغيرهما -دخل حديث بعضهم-: في بعض أن النبي ﷺ كان يقسم، فجاءه رجل ناتىء الجبين، كث اللحية، محلوق الرأس، بين عينيه أثر السجود، وقال ما قـال، فقـال النبي ﷺ يخرج من ضئضىء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصـيامه مـع صـيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمـرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتم لأقتلنهم قتل عاد. وفي روايـة: "لـو يعلـم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل". وفي رواية: "شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه".

قلـت: فهـؤلاء مـع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وماهم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي ﷺ بقتلهم، وقتلهم علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي ﷺ.

وذلـك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته، وأظن أني ذكرت قول الشافعي: لأن يبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بشيء من هذه الأهواء. فلما ظهـر قـبح الـبدع فـي الإسلام، وإنها أظلم من الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنهم مبتدعون بدعا منكرة فيكون حالهم أسوأ من حال الزاني والسارق وشارب الخمر، أخذ شيخهم عبد الله يقول: يا مولانا لا تتعرض لهذا الجناب العزيز، -يعني أتباع أحمد ابن الرفاعـي- فقلت منكرا بكلام غليظ: ويحك أي شيء هو الجناب العزيز، وجناب من خالفـه أولى بالعز ياذو الزرجنة، تريدون أن تبطلوا دين الله ورسوله، فقال: يا مولانا يحـرقك الفقـراء بقلـوبهم، فقلت: مثل ما أحرقني الرافضة لما قصدت الصعود إليهم وصار جميع الناس يخوفوني منهم ومن شرهم، ويقول أصحابهم: أن لهم سرا مع الله،

فنصـــر الله وأعـــان عليهم. وكان الأمراء الحاضرون قد عرفوا بركة ما يسره الله في أمر غزو الرافضة بالجبل.

وقلـــت لهـــم: يـــا شـــبه الرافضة، يا بيت الكذب، فإن فيهم من الغلو والشرك والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم، وفيهم من الكذب ما قـــد يقاربـــون به الرافضة في ذلك، أو يساوونهم، أو يزيدون عليهم، فإنهم من أكذب الطوائـــف، حتى قيل فيهم: لا تقولوا أكذب من اليهود على الله، ولكن قولوا أكذب من الأحمديـــة علـــى شـــيخهم، وقلت لهم: أنا كافر بكم وبأحوالكم: (فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) [هود: ٥٥].

ولما رددت عليهم الأحاديث المكذوبة، أخذوا يطلبون مني كتبا صحيحة ليهتدوا بها فبذلت لهم ذلك، وأعيد الكلام أنه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه، وأعاد الأمير هذا الكلام، واستقر الكلام على ذلك. والحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

مجموع الفتاوى ١١ / ٤٤٥ - ٤٧٥

وانظر هذه المناظرة: ابن عبد الهادي، العقود الدرية ص ١٩٤

المناظرة العاشرة

مناظرة مقدم المغول بولاي

وأمـــا جـــواز الـــدعاء للرجل وعليه، فبسط هذه المسألة في الجنائز، فإن موتى المســـلمين يصلى عليهم برهم وفاجرهم، وإن لعن الفاجر مع ذلك بعينه أو بنوعه لكن الحال الأول أوسط وأعدل، وبذلك أجبت مقدم المغل بولاي، لما قدموا دمشق في الفتنة الكبيـــرة، وجرت بيني وبينه وبين غيره مخاطبات، فسألني فيما سألني: ما تقولون في يـــزيد ؟فقلت: لا نسبه ولا نحبه، فإنه لم يكن رجلا صالحا فنحبه، ونحن لا نسب أحدا من المسلمين بعينه، فقال: أفلا تلعنونه ؟أما كان ظالما ؟أما قتل الحسين؟

فقلت له: نحن إذا ذكر الظالمون كالحجاج بن يوسف وأمثاله، نقول: كما قال الله فـــي القـــرآن: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨] ولا نحب أن نلعن أحدا

بعينه، وقد لعنه قوم من العلماء، وهذا مذهب يسوغ فيه الاجتهاد، لكن ذلك القول أحب إلينا وأحسن.

وأمـا مـن قـتل الحسـين أو أعان على قتله، أو رضي بذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا.

قال: فما تحبون أهل البيت؟ قلت: محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه، فإنه قـد ثـبت عـندنا في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول الله ﷺ بغدير يدعى خما، بين مكة والمدينة، فقال: "أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله." فذكر كـتاب الله وحض عليه، ثم قال: "وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله فـي أهل بيتي". قلت لمقدم: ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركـت علـى آل ابـراهيم إنك حميد مجيد" قال مقدم: فمن يبغض أهل البيت؟ قلت: من أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا.

ثـم قلت للوزير المغولي: لأي شيء قال عن يزيد وهذا تتري؟ قال: قد قالوا له إن أهـل دمشق نواصب، قلت بصوت عال: يكذب الذي قال هذا، ومن قال هذا فعلية لعنة الله، والله مـا في أهل دمشق نواصب، وماعلمت فيهم ناصبيا، ولو تنقص أحد عليا بدمشق لقام المسـلمون علـيه، لكـن كان قديما- لما كان بنو أمية ولاة البلاد- بعض بنو أمية ينصب العداوة لعلي ويسبه، وأما اليوم فما بقي من أولئك أحد.

مجموع الفتاوى ٤/٤٨٧-٤٨٨

المناظرة الحادية عشرة

مناظرة الشيخ الملقب بحسام الدين القادم

فابن عربي بزعمه، إنما تجلي الذات عنده شهود مطلق، هو وجود الموجودات، مجـردا مطلقا، لا اسم له ولا نعت، ومعلوم أن من تصور هذا لم يمكن أن يحصل له عـنه خطـاب، فلهـذا زعـم أن عند تجلي الذات لا يحصل خطاب، وأما أبو حفص السـهروردي فكان أعلم بالسنة، وأتبع للسنة من هذا وخير منه، وقد رأى أن ما جاءت

بـــه الأحاديث من أن الله يتجلى لعباده ويخاطبهم حين تجليه لهم فآمن بذلك، لكن ابن عربي في فلسفته أشهر من هذا في سنته.

ولهذا كان أتباعهما يعظمون ابن عربي عليه، مع إقرارهم بأن السهروردي أتبع للســـنة، كمـــا حدثني الشيخ الملقب بحسام الدين القادم، السالك طريق ابن حمويه الذي يلقـــبه أصـــحابه ســـلطان الأقطاب، وكان عنده من التعظيم لابن عربي وابن حمويه، والغلو فيهما أمر عظيم، فبينت له كثيرا مما يشتمل عليه كلامهما من الفساد والإلحاد، والأحاديـــث المكذوبـــة علـــى النبي ﷺ. وجرى في ذلك فصول، لما كان عنده من التعظيم مع عدم فهم حقيقة أقوالهما وما تضمنته من الضلالات.

وكـــان ممن حدثني عن شيخه الطاووسي، الذي كان بهمدان عن سعد الدين ابن حمويه أنه قال: محيي الدين ابن عربي بحر لا تكدره الدلاء، لكن نور المتابعة النبوية علـــى وجـــه الشيخ شهاب الدين السهروردي شيء آخر، فقلت له: هذا كما يقال: كان هـــؤلاء أوتـــوا مـــن ملك الكفار ملكا عظيا لكن نور الإسلام الذي على شهاب غازي صـــاحب مـــيافا رقـــين شيء آخر، فإنهم كانوا يعظمون ابن عربي، وذلك لأن الشيخ شـــهاب الدين لم يكن متمكنا من معرفة السنة ومتابعتها، وتحقيق ما جاءت به الرسل، كتمكن ابن عربى في طريقه التي سلكها وجمع فيها بين الفلسفة والتصوف.

وهـــؤلاء إنما يقطع دابرهم المباينة بين الخالق والمخلوق، وإثبات تعينه منفصلا عـــن المخلـــوق تـــرفع إليه الأيدي بالدعاء، وإليه كان معراج خاتم الأنبياء، وقد ذكر الســـهروردي في عقيدته المشهورة قوله بلا إشارة ولا تعيين، وهذه هي التي استطال بها عليه هؤلاء، فإنه متى نفيت الإشارة والتعيين لم يبق إلا العدم المحض والتعطيل أو الإلحاد والوحدة والحلول.

مجموع الفتاوى ٧ / ٥٩٤ – ٥٩٥

المناظرة الثانية عشرة
مناظرة بعض مثبتة الصفات ونفاتها

ولهـذا لما اجتمعنا في المجلس المعقود، وكنت قد قلت: أمهلت كل من خالفني ثلاث سنين، غن جاء بحرف واحد عن السلف يخالف شيئا مما ذكرته كانت له الحجة، وفعلت وفعلت، وجعل المعارضون يفتشون الكتب، فظفروا بما ذكره البيهقي في كتاب الاسـماء والصـفات، في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقـرة: ١١٥]. فإنه ذكر عن مجاهد والشافعي، أن المراد قبلة الله، فقال أحد كبرائهم في المجلس الثاني: قد أحضرت نقلا عن السلف بالتأويل، فوقع في قلبي ما أعد، فقلت: لعلـك قـد ذكـرت ما روي في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقـرة: ١١٥]. قـال: نعـم قلـت: المراد بها قبلة الله، فقال: قد تأولها مجاهد والشـافعي، وهمـا من السلف، ولم يكن هذا السؤال يرد علي، فإنه لم يكن شيء مما ناظروني فيه صفة الوجه، ولا أثبتها، لكن طلبوها من حيث الجملة، وكلامي كان مقيدا كمـا فـي الأجوبة، فلم أر إحقاقهم في هذا المقام، بل قلت: هذه الآية ليست من آيات الصفات أصلا، ولا تندرج في عموم قول من يقول: لا تؤول آيات الصفات.

قـال أليس فيها ذكر الوجه؟ فلما قلت: المراد بها قبلة الله. قال: أليست هذه من آيـات الصفات؟ قلت: لا، ليست من موارد النـزاع، فإني إنما أسلم أن المراد بالوجه هنا القبلة فإن الوجه هو الجهة في لغة العرب، يقال: قصدت هذا الوجه، وسافرت إلى هـذا الوجه، أي: إلى هذه الجهة، وهذا كثير مشهور، فالوجه هو الجهة. وهو الوجه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ﴾ [البقرة: ١٤٨] أي متوليها، فقوله تعالى: ﴿وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ﴾ كقـوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾[البقرة: ١١٥]كلا الآيتين في اللفظ والمعنى متقاربتان، وكلاهما في شأن القبلة، والوجه والجهة هو الذي ذكر في الآيتين: أنا نوليه نستقبله.

قلــت والسياق يدل عليه، لأنه قال: أينما تولوا، وأين من الظروف، وتولوا أي تستقبلوا، فالمعنى أي موضع استقبلتموه فهنالك وجه الله، فقد جعل وجه الله في المكان الــذي يستقبله هذا، بعد قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وهي الجهات كلها، كما في الآية الأخرى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢].

فأخبــر أن الجهــات له، فدل على ان الإضافة إضافة تخصيص وتشريف، كأنه قــال جهة الله وقبلة الله، ولكن من الناس من يسلم أن المراد بذلك جهة الله أي قبلة الله، ولكــن يقــول: هــذه الآية تدل على الصفة وعلى أن العبد يستقبل ربه، كما جاء في الحــديث: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه". وكما في قوله: " لا يزال الله مقــبلا على عبده بوجهه ما دام مقبلا عليه، فإذا انصرف، صرف وجهه عنه ".ويقول إن الآية دلت على المعنيين، فهذا شيء آخر ليس هذا موضعه.

والغــرض أنه إذا قيل: فثم قبلة الله، لم يكن هذا من التأويل المتنازع فيه، الذي ينكــره منكــرو تأويــل آيات الصفات، ولا هو مما يستدل به عليهم المثبتة، فإن هذا المعنى صحيح في نفسه، والآية دالة عليه، وإن كانت دالة على ثبوت صفة فذاك شيء آخــر، ويبقى دلالة قولهم: فثم وجه الله على فثم قبلة الله، هل هو من باب تسمية القبلة وجهــا باعتبار أن الوجه والجهة واحد؟ أو باعتبار أن من استقبل وجه الله فقد استقبل قبلة الله؟ فهذا فيه بحوث ليس هذا موضعها.

مجموع الفتاوى ٦ / ١٥ – ١٧

المناظرة الثالثة عشرة

مناظرة شيخ معظم من أصحاب ابن حمويه يسميه أصحابه سلطان الأقطاب في كتاب الفصوص لابن عربي

ومــا يروى في هذا الباب[1] من الأحاديث، هو من هذا الجنس، مثل كونه كان نــورا يسبح حول العرش، أو كوكبا يطلع في السماء ونحو ذلك، كما ذكره ابن حمويه

(١) وهو ادعاء وزعم أن نبينا محمد ﷺ موجود بحقيقته حين خلق آدم.

-صـــاحب ابـــن عربـــي-، وذكر بعضه عمر الملا في وسيلة المتعبدين، وابن سبعين وأمثالهم، ممن يروى الموضوعات المكذوبات، باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

فـــإن هـــذا المعنى رووا فيه أحاديث كلها كذب، حتى إنه اجتمع بي قديما شيخ معظـــم من أصحاب ابن حمويه، يسميه أصحابه سلطان الأقطاب، وتفاوضنا في كتاب الفصـــوص، وكان معظما له ولصاحبه، حتى أبديت له بعض ما فيه، فهاله ذلك، وأخذ يذكر مثل هذه الأحاديث، فبينت له أن هذا كله كذب.

الحادي عشر قوله: وخاتم الأولياء كان وليا وآدم بين الماء والطين -إلى قوله- فخـــاتم الرسل من حيث ولايته، نسبته مع الختم للولاية، كنسبة الأولياء والرسل معه - *إلى آخر الكلام*- ذكر فيه ما تقدم من كون رسول الله ﷺ مع هذا الختم المدعى كسائر الأنبـــياء والرســـل معـــه يأخذ من مشكاته العلم بالله، الذي هو أعلا العلم، وهو وحدة الوجـــود، إنـــه مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة. فعين حالا خاصا ما عمم، إلى قوله ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص.

فكذب على رسول الله ﷺ في قوله: إنه قال أنا سيد ولد آدم في الشفاعة خاصة، وألحـــد وافترى من حيث زعم أنه سيد في الشفاعة فقط، لا في بقية المراتب، بخلاف الخـــتم المفترى، فإنه سيد في العلم بالله، وغير ذلك من المقامات، ولقد كنت أقول: لو كـــان المخاطـــب لنا من يفضل إبراهيم، أو موسى، أو عيسى على محمد ﷺ، لكانت مصـــيبة عظـــيمة لا يحـــتملها المسلمون، فكيف بمن يفضل رجلا من أمة محمد على محمـــد، وعلى جميع الأنبياء والرسل في أفضل العلوم؟! ويدعي أنهم يأخذون ذلك من مشكاته؟ وهذا العلم هو غاية الإلحاد والزندقة.

وهـــذا المفضـــل من أضل بني آدم وأبعدهم عن الصراط المستقيم، وإن كان له كـــلام كثيـــر، ومصـــنفات متعددة، وله معرفة بأشياء كثيرة وله استحواذ على قلوب طوائـــف مـــن أصناف المتفلسفة، والمتصوفة، والمتكلمة، والمتفقهة، والعامة، فإن هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالاً، عند أهل العلم والإيمان، والله أعلم.

مجموع الفتاوى ٢ / ٢٣٨-٢٣٩

المناظرة الرابعة عشرة
مناظرة في الجهة والتحيز بقلعة الجبل

صــورة ما طلب من الشيخ ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه حين جيء به من دمشــق علــى البريد، واعتقل بالجب بقلعة الجبل، بعد عقد المجلس بدار النيابة، وكان وصــوله يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان، وعقد المجلس يوم الجمعة السابع والعشرين منه بعد صلاة الجمعة، وفيه اعتقل رحمة الله عليه.

وصــورة ما طلب منه أن يعتقد نفي الجهة عن الله، والتحيز، وأن لا يقول: إن كلام الله حرف وصوت قائم به، بل هو معنى قائم بذاته، وأنه سبحانه وتعالى لا يشار إليه بالأصابع إشارة حسية، ويطلب منه أن لا يتعرض لأحاديث الصفات، وآياتها عند العوام، ولا يكتب بها إلى البلاد، ولا في الفتاوى المتعلقة بها.

فأجــاب عــن ذلــك: أمــا قول القائل: يطلب منه أن يعتقد نفي الجهة عن الله والتحيز، فليس في كلامي إثبات هذا اللفظ، لأن إطلاق هذا اللفظ نفيا بدعة، وأنا لم أقل إلا ما جاء به الكتاب والسنة واتفقت عليه الأمة.

فــإن أراد قائل هذا القول أنه ليس فوق السموات رب ولا فوق العرش إله، وأن محمــدا لــم يعــرج به إلى ربه، وما فوق العالم إلا العدم المحض، فهذا باطل مخالف لإجماع سلف الأمة.

وإن أراد بــذلك أن الله لا تحيط به مخلوقاته، ولا يكون في جوف الموجودات، فهذا مذكور مصرح به في كلامي، فإني قائله فما الفائدة في تجديده ؟

وأما قول القائل: لا يقول إن كلام الله حرف وصوت قائم به، بل هو معنى قائم بذاتــه، فلــيس فــي كلامي هذا أيضا، ولا قلته قط، بل قول القائل: إن القرآن حرف وصوت قائم به بدعة، وقوله: معنى قائم بذاته بدعة، لم يقل أحد من السلف لا هذا ولا هــذا، وأنــا لــيس في كلامي شيء من البدع، بل في كلامي ما أجمع عليه السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وأما قول القائل لا يشار إليه بالأصابع إشارة حسية، فليس هذا اللفظ في كلامي، بل في كلامي إنكار ما ابتدعه المبتدعون من الألفاظ النافية، مثل قوله أنه لا يشار إليه، فإن هذا النفي أيضا بدعة.

فإن أراد القائل: أنه لا يشار إليه من أن الله ليس محصورا في المخلوقات وغير ذلك من المعاني الصحيحة، فهذا حق، وإن أراد أن من دعا الله لا يرفع إليه يديه، فهذا خلاف ما تواترت به السنن عن النبي ﷺ وما فطر الله عليه عباده من رفع الأيدي إلى الله في الدعاء.

وقال النبي: ﷺ "إن الله يستحي من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفرا ".

وإذا سمى المسمى ذلك إشارة حسية، وقال: إنه لا يجوز، لم يقبل ذلك منه.

وأما قول القائل: لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام، فأنا ما فاتحت عاميا في شيء من ذلك قط.

وأما الجواب بما بعث الله به رسوله للمسترشد المستهدي، فقد قال النبي: " من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار". وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩] ولا يؤمر العالم بما يوجب لعنة الله عليه.

والله أعلم.والحمد لله رب العالمين.

مجموع الفتاوى ٥/٢٦٤-٢٦٦

وانظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية ص ١٩٧.

المناظرة الخامسة عشرة

مناظرة ابن تيمية بسبب تاليفه العقيدة الواسطية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ظهير له، ولا معين، وأشهد أن

محمـــدا عــبده ورســـوله، الذي أرسله إلى الخلق أجمعين، ﷺ، وعلى سائر عباد الله الصالحين. أما بعد.

فقد سئلت غير مرة أن أكتب ما حضرني ذكره، مما جرى في المجالس الثلاثة، المعقـــودة للمناظـــرة فـــي أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد به كتاب السلطان من الديار المصــــرية، إلى نائبه أمير البلاد، لما سعى إليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة، وغيرهم من ذوي الأحقاد.

فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة، قضاة المذاهب الأربعة، وغيرهم من نوابهم والمفتين والمشائخ، ممن له حرمة وبه اعتداد، وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد، وذلك يوم الإثنين ثامن رجب المبارك، عام خمس وسبعمائة.

فقـــال لـــي: هـــذا المجلس عقد لك، فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك عن اعـــتقادك، وعمـــا كتبت به إلى الديار المصرية، من الكتب التي تدعو بها الناس إلى الاعتقاد، وأظنه قال: وأن أجمع القضاة والفقهاء وتتباحثون في ذلك.

فقلـــت: أمـــا الاعتقاد فلا يؤخذ عني، ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورســـوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، مثل صحيح البخاري ومسلم.

وأمـــا الكتب، فما كتبت إلى أحد كتابا ابتداء أدعوه به إلى شيء من ذلك، ولكني كتـــبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية، وغيرهم، وكان قد بلغني أنـــه زور علـــى كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير، أستاذ دار السلطان، يتضمن ذكر عقيدة محرفة، ولم أعلم بحقيقته، لكن علمت أنه مكذوب.

وكـــان يرد علي من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد وغيره، فأجيبه بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة.

فقـــال: نـــريد أن تكـــتب لنا عقيدتك، فقلت: اكتبوا. فأمر الشيخ كمال الدين أن يكـــتب، فكـــتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات والقدر، ومسائل الإيمان والوعيد، والإمامة والتفضيل.

وهـــو أن اعـــتقاد أهـــل السنة والجماعة: الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أمر بالطاعة، وأحبها ورضيها، ونهى عن المعصية وكرهها. والعبد فاعل حقيقة، والله خالق فعله، وأن الإيمان والدين قـــول وعمـــل، يزيد وينقص، وأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بالذنوب، ولا نخلد في الـــنار من أهل الإيمان أحدا، وأن الخلفاء بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علـــي، وأن مـــرتبتهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ومن قدم عليا على عثمان، فقد أزرى بالمهاجـــرين والإنصـــار، وذكرت هذا أو نحوه، فإني الآن قد بعد عهدي، ولم أحفظ لفظ ما أمليته، لكنه كتب إذ ذاك.

ثم قلت للأمير والحاضرين: أنا أعلم أن أقواما يكذبون علي، كما قد كذبوا علي غيـــر مرة، وإن أمليت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون كتم بعضه، أو داهن ودارى، فأنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل مجيء التتر إلى الشام.

وقلت قبل حضورها كلاما قد بعد عهدي به، وغضبت غضبا شديدا، لكني أذكر أنـــي قلت: أنا أعلم أن أقواما كذبوا علي، وقالوا للسلطان أشياء وتكلمت بكلام احتجت إلـــيه، مـــثل أن قلت: من قام بالإسلام أوقات الحاجة غيري؟ ومن الذي أوضح دلائله وبيـــنه؟ وجاهد أعداءه، وأقامه لما مال؟ حين تخلى عنه كل أحد، ولا أحد ينطق بحجته ولا أحد يجاهد عنه، وقمت مظهرا لحجته مجاهدا عنه، مرغبا فيه.

فإذا كان هؤلاء يطمعون في الكلام في فكيف يصنعون بغيري؟! ولو أن يهوديا طلـــب مـــن السلطان الإنصاف لوجب عليه أن ينصفه، وأنا قد أعفو عن حقي وقد لا أعفـــو، بـــل قد أطلب الإنصاف منه، وأن يحضر هؤلاء الذين يكذبون، ليوافقوا على افتـــرائهم، وقلـــت كلاما أطول من هذا الجنس، لكن بعد عهدي به، فأشار الأمير إلى كاتب الدرج محيي الدين بأن يكتب ذلك.

وقلـــت أيضـــا: كل من خالفني في شيء مما كتبته، فأنا أعلم بمذهبه منه، وما أدري هـــل قلت هذا قبل حضورها أو بعده، لكنني قلت أيضا بعد حضورها وقراءتها:

مـــا ذكرت فيها فصلا إلا وفيه مخالف من المنتسبين إلى القبلة، وكل جملة فيها خلاف لطائفـــة مـــن الطوائـــف، ثم أرسلت من أحضرها، ومعها كراريس بخطي من المنزل فحضرت العقيدة الواسطية.

وقلـــت لهـــم: هذه كان سبب كتابتها أنه قدم على من أرض واسط بعض قضاة نواحيها- شيخ يقال له: رضي الدين الواسطي، من أصحاب الشافعي- قدم علينا حاجا، وكـــان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد، وفى دولة التتر من غلبة الجهل والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيـــته، فاســـتعفيت من ذلك، وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة، فخذ بعض عقائد أئمة الســـنة. فـــألح في السؤال، وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرهما.

فأشـــار الأمير بأن لا أقرأها أنا لرفع الريبة، وأعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين، فقـــرأها علـــى الحاضرين حرفا حرفا والجماعة الحاضرون يسمعونها، ويورد المورد منهم ما شاء ويعارض فيما شاء، والأمير أيضا يسأل عن مواضع فيها، وقد علم الناس مـــا كان في نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف والهوى، ما قد علم الناس بعضه، وبعضه بسبب الاعتقاد، وبعضه بغير ذلك.

ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام، والمناظرات، في هذه المجالس، فإنه كثيرلا ينضـــبط، لكـــن أكتب ملخص ما حضرني من ذلك، مع بعد العهد بذلك، ومع أنه كان يجري رفع أصوات ولغط لا ينضبط.

فكـــان مما اعترض علي بعضهم لما ذكر في أولها، ومن الإيمان بالله، الإيمان بمـــا وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فقال: ما المراد بالتحريف والتعطيل؟ ومقصوده أن هذا ينفي التأويل الذي أثبته أهل التأويل، الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، إما وجوبا وإما جوازا.

فقلـــت: تحـــريف الكلم عن مواضعه، كما ذمه الله تعالى في كتابه، وهو إزالة اللفـــظ عمـــا دل عليه من المعنى، مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النســـاء: ١٦٤] أي جـــرحه بأظافيـــر الحكمة تجريحا، ومثل

تـــأويلات القـــرامطة والباطنية، وغيرهم من الجهمية، والرافضة، والقدرية، وغيرهم. فسكت وفي نفسه ما فيها.

وذكـــرت في غير هذا المجلس أني عدلت عن لفظ التأويل، إلى لفظ التحريف، لأن التحـــريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة، فنفيت ما ذمه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات، لأنه لفظ له عدة معان كما بينته في موضعه من القواعد.

فـــإن معنـــى لفـــظ التأويل في كتاب الله، غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخـــرين، من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهـــل التفسير والسلف، لأن من المعاني التي قد تسمى تأويلا ما هو صحيح منقول عن بعـــض السلف، فلم أنف ما تقوم الحجة على صحته فإذا ما قامت الحجة على صحته، وهو منقول عن السلف فليس من التحريف.

وقلـــت له ايضاً: ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه، لأن التمثيل نفاه الله بـــنص كتابه حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وكان أحب إلي من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، وإن كان قد يعنى بنفيه معنى صحيح، كما قد يعنى به معنى فاسد.

ولمـــا ذكـــرت أنهـــم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، جعل بعض الحاضرين يتمعض من ذلك، لاستشـــعاره مـــا في ذلك من الرد الظاهر عليه، ولكن لم يتوجه له ما يقوله، وأراد أن يدور بالأسئلة التي أعلمها، فلم يتمكن لعلمه بالجواب.

ولمـــا ذكـــرت آيـــة الكرسي، أظنه سأل الأمير عن قولنا لا يقربه شيطان حتى يصـــبح، فذكـــرت حـــديث أبي هريرة في الذي كان يسرق صدقة الفطر، وذكرت أن البخاري رواه في صحيحه، وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم، ويطنبون في هذا، ويعرضون لما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك.

فقلـــت: قولـــي من غير تكييف ولا تمثيل: ينفي كل باطل، وإنما اخترت هذين الاســـمين لأن التكيـــيف مأثـــور نفـــيه عن السلف، كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة

وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فاتفق هؤلاء السلف على أن التكييف غير معلوم لنا، فنفيت ذلك اتباعا لسلف الأمة، وهو أيضا منفي بالنص، فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف، وحقيقة صفاته. وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة، ذكرتها في التأويل والمعنى، والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله.

وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم، مع دلالة العقل على نفيه ونفي التكييف، إذ كنه الباري غير معلوم للبشر، وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل أنه مذهب السلف، وهو إجراء آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه، ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف.

فقال أحد كبار المخالفين: فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالأجسام: فقلت له: أنا وبعض الفضلاء الحاضرين: إنما قيل أنه يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ وليس في الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا السؤال؟

وأخذ بعض القضاة الحاضرين والمعروفين بالديانة يريد إظهار أن ينفي عنا ما يقول وينسبه البعض إلينا، فجعل يزيد في المبالغة في نفي التشبيه والتجسيم، فقلت: ذكرت فيها في غير موضع من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وقلت في صدرها: ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ثم قلت: وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح، التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيمان بها كذلك، إلى أن قلت: إلى أمثال هذه الأحاديث الصحاح التي يخبر فيها رسول الله ﷺ، بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه من غير تحريف ولا

تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وبين أهل التمثيل المشبهة.

ولما رأى هذا الحاكم العدل ممالأتهم وتعصبهم، ورأى قلة العارف الناصر، وخافهم، قال: أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد فتقول: هذا اعتقاد أحمد، يعني والرجل يصنف على مذهبه فلا يعترض عليه، فإن هذا مذهب متبوع، وغرضه بذلك قطع مخاصمة الخصوم.

فقلت: ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به الرسول لم نقبله، وهذه عقيدة محمد ﷺ.

وقلت مرات: قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة، التي أثنى عليها النبي ﷺ حيث قال: " خير القرون القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك، وعلي أن آتي بنقول جميع الطوائف، عن القرون الثلاثة توافق ماذكرته، من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم.

وقلت أيضا: في غير هذا المجلس: الإمام أحمد رحمه الله لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره، وابتلى بالمحنة، والرد على أهل البدع أكثر من غيره، كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره، فصار إماما في السنة أظهر من غيره، وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء، قال: المذهب لمالك والشافعي، والظهور لأحمد بن حنبل، يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان، وإظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض.

ولما جاء فيها وما وصف به النبي ﷺ ربه في الأحاديث الصحاح، التي تلقاها أهل العلم بالقبول، ولما جاء حديث أبي سعيد المتفق عليه في الصحيحين عن النبي ﷺ:

" يقول الله يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تـبعث بعثا إلى النار". الحديث. سألهم الأمير هل هذا الحديث صحيح؟ فقلت: نعم، هو في الصحيحين، ولم يخالف في ذلك أحد، واحتاج المنازع إلى الاقرار به، ووافق الجماعة على ذلك.

وطلب الأمير الكلام في مسألة الحرف والصوت لأن ذلك طلب منه.

فقلت: هذا الذي يحكيه كثير من الناس عن الإمام أحمد وأصحابه، أن صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلى كما نقله مجد الدين ابن الخطيب وغيره كذب مفترى، لم يقل ذلك أحمد، ولا أحد من علماء المسلمين، لا من أصحاب أحمد ولا غيرهم.

وأخرجت كراسا قد أحضرته مع العقيدة فيه ألفاظ أحمد، مما ذكره الشيخ أبو بكر الخلال، في كتاب السنة عن الإمام أحمد، وما جمعه صاحبه أبو بكر المروذي من كلام الإمام أحمد، وكلام أئمة زمانه وسائر أصحابه: أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي. ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع.

قلت: وهذا هو الذي نقله الأشعري في كتاب المقالات عن أهل السنة وأصحاب الحديث، وقال: إنه يقول به. قلت: فكيف بمن يقول: لفظي قديم ؟فكيف بمن يقول: صوتي غير مخلوق؟ فكيف بمن يقول: صوتي قديم؟ ونصوص الإمام أحمد في الفرق بين تكلم الله بصوت، وبين صوت العبد، كما نقله البخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد وغيره من أئمة السنة.

وأحضرت جواب مسألة كنت سئلت عنها قديما، فيمن حلف بالطلاق، في مسألة الحرف والصوت، ومسألة الظاهر في العرش، فذكرت من الجواب القديم في هذه المسألة، وتفصيل القول فيها، وأن إطلاق القول أن القرآن هو الحرف والصوت، أو ليس بحرف ولا صوت كلاهما بدعة، حدثت بعد المائة الثالثة.

وقلت: هذا جوابي.

وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة، ممن كان بعضهم حاضرا في المجلس، فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم، وكانوا قد ظنوا أني إن

أجـــبت بما في ظنهم أن أهل السنة تقوله حصل مقصودهم من الشناعة، وإن أجبت بما يقولـــونه هم حصل مقصودهم من الموافقة، فلما أجيبوا بالفرقان الذي عليه أهل السنة ولـــيس هـــو مـــا يقولونه هم، ولا ما ينقلونه عن أهل السنة، إذ قد يقوله بعض الجهال بهـــتوا لـــذلك، وفيه أن القرآن كله كلام الله حروفه ومعانيه، ليس القرآن اسما لمجرد الحروف ولا لمجرد المعاني.

وقلـــت فـــي ضمن الكلام لصدر الدين ابن الوكيل لبيان كثرة تناقضه، وأنه لا يســـتقر على مقالة واحدة، وإنما يسعى في الفتن والتفريق بين المسلمين: عندي عقيدة للشيخ أبي البيان فيها، أن من قال: إن حرفا من القرآن مخلوق فقد كفر.

وقـــد كتبت عليها بخطك، أن هذا مذهب الشافعي وأئمة أصحابه، وأنك تدين الله بها فاعترف بذلك، فأنكر عليه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ذلك.

فقـــال ابن الوكيل: هذا نص الشافعي، وراجعه في ذلك مرارا، فلما اجتمعنا في المجلـــس الثاني ذكر لابن الوكيل أن ابن درباس نقل في كتاب الانتصار عن الشافعي مثل ما نقلت، فلما كان في المجلس الثالث أعاد ابن الوكيل الكلام في ذلك.

فقال الشيخ كمال الدين لصدر الدين ابن الوكيل: قد قلت في ذلك المجلس للشيخ تقـــي الدين: إنه من قال: إن حرفا من القرآن مخلوق فهو كافر، فأعاده مرارا فغضب هـــنا الشيخ كمال الدين غضبا شديدا، ورفع صوته. وقال: هذا يكفر أصحابنا المتكلمين الأشـــعرية الـــذين يقولون: إن حروف القرآن مخلوقة، مثل إمام الحرمين وغيره، وما نصبر على تكفير أصحابنا.

فأنكر ابن الوكيل أنه قال ذلك، وقال: ما قلت ذلك، وإنما قلت أن من أنكر حرفا من القرآن فقد كفر. فرد ذلك عليه الحاضرون وقالوا: ما قلت إلا كذا وكذا، وقالوا: ما ينبغـــي لك أن تقول قولا وترجع عنه، وقال بعضهم: ما قال هذا.فلما حرفوا، قال: ما ســـمعناه قـــال هذا، حتى قال نائب السلطان: واحد يكذب، وآخر يشهد، والشيخ كمال الدين مغضب! فالتفت إلى قاضي القضاة نجم الدين الشافعي يستصرخه للانتصار على ابـــن الوكـــيل، حـــيث كفر أصحابه. فقال القاضي نجم الدين: ما سمعت هذا. فغضب

الشـيخ كمـال الدين، وقال كلاما لم أضبط لفظه، إلا أن معناه أن هذا غضاضة على الشافعي، وعار عليهم أن أئمتهم يكفرون، ولا ينتصر لهم.

ولـم أسمع من الشيخ كمال الدين ما قال في حق القاضي نجم الدين، واستثبت غيـرى ممـن حضـر هل سمع منه في حقه شيئا؟ فقالوا: لا، لكن القاضي اعتقد أن التعبيـر لأجله، ولكونه قاضي المذهب، ولم ينتصر لأصحابه، وأن الشيخ كمال الدين قصـده بذلك، فغضب قاضي القضاة نجم الدين، وقال: اشهدوا علي أني عزلت نفسي. وأخـذ يذكر ما يستحق به التقديم والاستحقاق، وعفته عن التكلم في أعراض الجماعة، ويستشـهد بنائب السلطان في ذلك، وقلت له كلاما مضمونه تعظيمه، واستحقاقه لدوام المباشرة في هذه الحال، ولما جاءت مسألة القرآن: ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن كـلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، نازع بعضهم في كونه منه بدأ واليه يعود وطلبوا تفسير ذلك.

فقلت: أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق: وما سواه مخلوق، إلا القرآن فإنـه كـلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثـارعن النبي ﷺوالصحابة والتابعين، كالحافظ أبي الفضل بن ناصر، والحافظ أبي عـبد الله المقدسي، وأما معناه: فإن قولهم: منه بدأ، أي هو المتكلم به، وهو الذي أنزله مـن لدنـه، ليس هو كما تقول الجهمية: أنه خلق في الهوى أو غيره، أو بدأ من عند غيره.

وأمـا إلـيه يعود: فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقـى فـي الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، ووافق على ذلك غالب الحاضرين وسكت المنازعون.

وخاطـبت بعضـهم في غير هذا المجلس، بأن أريته العقيدة التي جمعها الإمام القادري التي فيها أن القرآن كلام الله، خرج منه، فتوقف في هذا اللفظ.فقلت: هكذا قال النبـي ﷺ: "ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه" .يعني القرآن. وقال خباب بن الأرت: يا هنتاه!تقرب إلى الله بما استطعت، فلن يتقرب إليه بشيء أحب اليه مما خرج

منه، وقال أبو بكر الصديق- لما قرأ قرآن مسيلمة الكذاب -إن هذا الكلام لم يخرج من إل يعني رب.

وجاء فيها: ومن الإيمان به: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدأ، لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، فتمعض بعضهم من إثبات كونه كلام الله حقيقة، بعد تسليمه أن الله تعالى تكلم به حقيقة.

ثم إنه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه، وهذا لا يصح نفيه، ولما بين له أن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم، وشعر الشعراء المضاف إليهم، هو كلامهم حقيقة، فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك.

فوافق الجماعة كلهم على ما ذكر في مسألة القرآن، وأن الله تكلم حقيقة، وأن القرآن كلام الله حقيقة لا كلام غيره.

ولما ذكر فيها أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا، لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، استحسنوا هذا الكلام وعظموه، وأخذ أكبر الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام، كابن الوكيل وغيره، وأظهر الفرح بهذا التلخيص، وقال: إنك قد أزلت عنا هذه الشبهة، وشفيت الصدور، ويذكر أشياء من هذا النمط.

ولما جاء ما ذكر من الإيمان باليوم الآخروتفصيله ونظمه استحسنوا ذلك وعظموه.

وكذلك لما جاء ذكر الإيمان بالقدر، وأنه على درجتين، إلى غير ذلك مما فيها من القواعد الجليلة.

وكذا لما جاء ذكر الكلام في الفاسق الملي، وفي الإيمان، لكن اعترضه ذلك بما سأذكره.

وكان مجموع ما اعترض به المنازعون المعاندون، بعد انقضاء قراءة جميعها، والبحث فيها عن أربعة أسئلة:

الأول: قولـــنا: ومـــن أصول الفرقة الناجية أن الإيمان والدين قول وعمل، يزيد وينقص، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

قالوا: فإذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك، مثل أصحابنا المتكلمين، الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق، ومن يقول الإيمان هو التصديق والاقرار، وإذا لم يكونوا من الناجين، لزم أن يكونوا هالكين.

وأمـــا الأســـئلة الثلاثة: وهي التي كانت عمدتهم فأوردوها على قولنا، وقد دخل فـــيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله في كتابه، وتواتر عن رسول الله، وأجمـــع علـــيه سلف الأمة، من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، علي على خلقه، وهـــومعهم أيـــنما كانوا، يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤] وليس معنى قوله: (وهو معكم)أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجـــبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بـــل القمـــر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر أينما كان، وغير المسافر، وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه مهيمن علـــيهم، مطلع اليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله - تعالـــى من أنه فوق العرش، وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان على[1] الظنون الكاذبة.

الســـؤال الثانـــي: قـــال بعضهم: نقر باللفظ الوارد، مثل حديث العباس حديث الأوعـــال، والله فوق العرش، ولا نقول فوق السموات، ولا نقول على العرش، وقالوا أيضـــا: نقـــول: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ولا نقول الله على العرش

---

(١) كذا في المطبوع، ولعلها: عن

استوى، ولا نقول مستو، وأعادوا هذا المعنى مرارا، أى أن اللفظ الذي ورد يقال اللفظ بعينه، ولا يبدل بلفظ يرادفه، ولايفهم له معنى أصلا. ولايقال: إنه يدل على صفة الله أصلا، ونبسط الكلام في هذا في المجلس الثاني كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

السؤال الثالث: قالوا: التشبيه بالقمر فيه تشبيه كون الله في السماء بكون القمر في السماء.

السؤال الرابع: قالوا: قولك حق على حقيقته، الحقيقة هى المعنى اللغوي، ولايفهم من الحقيقة اللغوية إلا استواء الأجسام وفوقيتها، ولم تضع العرب ذلك إلا لها، فإثبات الحقيقة هو محض التجسيم، ونفي التجسيم مع هذا تناقض أو مصانعة.

فأجبتهم عن الأسئلة، بأن قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي ﷺ بالنجاة، حيث قال: " تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي". فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية، فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة، أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، وكل ما ذكرته في ذلك فإنه مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه، وإذا خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك.

ثم قلت لهم: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا، فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لايجب أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك، فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام، أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا، وقد لا يكون ناجيا، كما يقال من صمت نجا.

وأما السؤال الثاني: فأجبتهم أولا بأن كل لفظ، قلته فهو مأثور عن النبي ﷺ، مثل لفظ فوق السموات، ولفظ على العرش، وفوق العرش، وقلت: اكتبوا الجواب،

فأخذ الكاتب في كتابته، ثم قال بعض الجماعة: قد طال المجلس اليوم، فيؤخر هذا إلى مجلس آخر، وتكتبون أنتم الجواب وتحضرونه في ذلك المجلس.

فأشار بعض الموافقين، بأن يتمم الكلام بكتابة الجواب، لئلا تنتشر أسئلتهم واعتراضهم، وكان الخصوم لهم غرض في تأخير كتابة الجواب، ليستعدوا لأنفسهم، ويطالعوا، ويحضروا من غاب من أصحابهم، ويتأملوا العقيدة فيما بينهم، ليتمكنوا من الطعن والاعتراض، فحصل الاتفاق على أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة، وقمنا على ذلك.

وقد أظهر الله من قيام الحجة وبيان المحجة، ما أعز الله به السنة والجماعة، وأرغم به أهل البدعة والضلالة، وفى نفوس كثير من الناس أمور لما يحدث في المجلس الثاني، وأخذوا في تلك الايام يتأملونها، ويتأملون ما أجبت به في مسائل تتعلق بالاعتقاد، مثل المسألة الحموية في الاستواء، والصفات الخبرية وغيرها.

فصل. فلما كان المجلس الثاني يوم الجمعة، في اثنى عشر رجب، وقد أحضروا أكثر شيوخهم ممن لم يكن حاضرا ذلك المجلس، وأحضروا معهم زيادة صفيّ الدين الهندي، وقالوا: هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكلام، وبحثوا فيما بينهم، واتفقوا وتواطئوا، وحضروا بقوة واستعداد غير ما كانوا عليه، لأن المجلس الأول أتاهم بغتة، وإن كان أيضا بغتة للمخاطب، الذي هو المسؤول والمجيب والمناظر.

فلما اجتمعنا، وقد أحضرت ما كتبته من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة، الذي طلبوا تأخيره إلى اليوم، حمدت الله بخطبة الحاجة، خطبة ابن مسعود رضي الله عنه، ثم قلت: إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف.

وقال لنا: في القرآن: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وربنا واحد وكتابنا واحد، ونبينا واحد، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين، وهو متفق عليه بين السلف، فإن وافق الجماعة فالحمد لله، وإلا فمن خالفني بعد ذلك، كشفت له الأسرار، وهتكت الأستار،

وبيـــنت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول، وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البـــريد، وأعـــرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس، فإن للسلم كلاما وللحرب كلاما.

وقلت: لا شك أن الناس يتنازعون، يقول هذا أنا حنبلي، ويقول هذا أنا أشعري، ويجري بينهم تفرق وفتن، واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها.

وأنا قد أحضرت ما يبين اتفاق المذاهب فيما ذكرته، وأحضرت كتاب "تبيين كـــذب المفتـــري فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري "رحمه الله، تأليف الحافظ أبي القاسم أبن عساكر رحمه الله.

وقلـــت: لم يصنف في أخبار الأشعري المحمودة كتاب مثل هذا، وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في كتابه الإبانة فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة، سأل الأمير عن معنى المعتزلة.

فقلـــت: كـــان الـــناس فـــي قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي، وهو أول اخـــتلاف حـــدث في الملة، هل هو كافر أو مؤمن، فقالت: الخوارج إنه كافر، وقالت الجماعـــة: إنه مؤمن. وقالت طائفة نقول هو فاسق، لا مؤمن ولا كافر، ننزله منـــزلة بـــين المنزلتين، وخلدوه في النار، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه رحمه الله تعالى، فسموا معتزلة.

وقـــال الشيخ الكبير بجبته وردائه: ليس كما قلت، ولكن أول مسألة اختلف فيها المســـلمون مسألة الكلام، وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد، ثم خلفه بعد موته عطاء بن واصل، هكذا قال وذكر نحوا من هذا.

فغضـــبت عليه، وقلت: أخطأت، وهذا كذب مخالف للإجماع. وقلت له: لا أدب ولا فضيلة، لا تأدبت معي في الخطاب ولا أصبت في الجواب.

ثـــم قلت: الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون، وبعدها في أواخر المائـــة الثانـــية، وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير، في زمن عمرو بن عبيد بعد مـــوت الحســـن البصري، في أوائل المائة الثانية، ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة

الكلام، ولا تنازعوا فيها، وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الاسماء والأحكام والوعيد.

فقال: هذا ذكره الشهرستاني في كتاب الملل والنحل. فقلت: الشهرستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين. لم سموا متكلمين؟ لم يذكره في اسم المعتزلة، والأمير إنما سأل عن اسم المعتزلة، وأنكر الحاضرون عليه، وقالوا: غلطت. وقلت في ضمن كلامي: أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام، وأول من ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها.

وأيضا فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين، فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء أنه متكلم، ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام.

وقلت: أنا وغيري إنما هو واصل بن عطاء، أي: لا عطاء بن واصل، كما ذكره المعترض، قلت: وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد وإنما كان قرينه.

وقد روي أن واصلا تكلم مرة بكلام، فقال عمرو بن عبيد: لو بعث نبي ما كان يتكلم بأحسن من هذا، وفصاحته مشهورة، حتى قيل: إنه كان ألثغ، وكان يحترز عن الراء، حتى قيل له أمر الأمير أن يحفر بئر، فقال: أوعز القائد أن يقلب قليب في الجادة.

ولما انتهى الكلام إلى ما قاله الأشعري، قال الشيخ المقدم فيهم: لا ريب أن الإمام أحمد إمام عظيم القدر، ومن أكبر أئمة الإسلام لكن قد انتسب إليه أناس ابتدعوا أشياء.

فقلت: أما هذا فحق، وليس هذا من خصائص أحمد، بل ما من إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام هو منهم بريء، قد انتسب إلى مالك أناس مالك بريء منهم، وانتسب إلى الشافعي أناس هو بريء منهم، وانتسب إلى أبي حنيفة أناس هو بريء منهم، وقد انتسب إلى موسى عليه السلام أناس هو منهم بريء، وانتسب إلى عيسى عليه السلام أناس هو منهم بريء، وقد انتسب إلى علي بن أبي طالب أناس هو بريء منهم، ونبينا قد انتسب إليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين من هو بريء منهم.

وذكـــر فـــي كلامه أنه انتسب إلى أحمد ناس من الحشوية والمشبهة، ونحو هذا الكلام.

فقلت: المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم، هؤلاء أصـــناف الأكراد كلهم شافعية، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد في صنف آخر، وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية.

قلت: وأما الحنبلية المحضة، فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم.

وكـــان مـــن تمام الجواب أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية، وتكلمت على لفظ الحشـــوية مـــا أدري جوابا عن سؤال الأمير أو غيره أو عن غير جواب، فقلت: هذا اللفـــظ أول مـــن ابتدعه المعتزلة، فإنهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم الحشو، كما تســـميهم الرافضـــة الجمهـــور، وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم، وهم غير الأعيان المتميزين، يقولون: هذا من حشو الناس، كما يقال هذا من جمهورهم.

وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد، وقال: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشويا، فالمعتزلة سموا الجماعة حشوا كما تسميهم الرافضة الجمهور.

وقلـــت: -لا أدرى في المجلس الأول أو الثانى -أول من قال إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضي.

وقلـــت لهذا الشيخ: من في أصحاب الإمام أحمد رحمه الله حشوي بالمعنى الذي تـــريده؟ الأثرم، أبو داود، المروذي، الخلال، أبو بكر عبدالعزيز، أبو الحسن التميمى، ابن حامد، القاضي أبو يعلى، أبو الخطاب، ابن عقيل؟ ورفعت صوتي وقلت: سمهم قل لي منهم من هم؟

أبكـــذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة، وتندرس معـــالم الـــدين؟ كمـــا نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون: إن القرآن القديم هو أصوات القارئين، ومداد الكاتبين، وأن الصوت والمداد قديم أزلي؟ من قال هذا ؟وفي أي كتاب وجد هذا عنهم ؟قل لي؟ وكما نقل عنهم أن الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه، والمقدمـــة التـــي نقلها عنهم، وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ من أنه كبير الجماعة وشـــيخهم، وأن فـــيه مـــن العقل والدين ما يستحق أن يعامل بموجبه، وأمرت بقراءة

العقيدة جميعها عليه، فإنه لم يكن حاضرا في المجلس الأول، وإنما أحضروه في الثاني انتصارا به.

وحدثني الثقة عنه بعد خروجه من المجلس، أنه اجتمع به وقال له: أخبرني عن هذا المجلس، فقال: ما لفلان ذنب ولا لي، فإن الأمير سأل عن شيء فأجابه عنه، فظننته سأل عن شيء آخر.

وقال: قلت لهم: أنتم ما لكم على الرجل اعتراض، فإنه نصر ترك التأويل، وأنتم تنصرون قول التأويل، وهما قولان للأشعري.

وقال: أنا أختار قول ترك التأويل، وأخرج وصيته التي أوصى بها، وفيها قول ترك التأويل.

قال الحاكي لي: فقلت له: بلغني عنك أنك قلت في آخر المجلس -لما أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة -لا تكتبوا عني نفيا، ولا إثباتا، فلم ذاك؟ فقال: لوجهين:

أحدهما: أني لم أحضر قراءة جميع العقيدة في المجلس الأول.

والثاني: لأن أصحابي طلبوني لينتصروا بي، فما كان يليق أن أظهر مخالفتهم فسكت عن الطائفتين.

وأمرت غير مرة أن يعاد قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ فرأى بعض الجماعة أن ذلك تطويل، وأنه لا يقرأ عليه إلا الموضع الذي لهم عليه سؤال، وأعظمه لفظ الحقيقة، فقرءوه عليه، فذكر هو بحثا حسنا يتعلق بدلالة اللفظ، فحسنته ومدحته عليه، وقلت: لا ريب أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، وهذا متفق عليه بين أهل السنة والصفاتية من جميع الطوائف، ولو نازع بعض أهل البدع في بعض ذلك، فلا ريب أن الله موجود والمخلوق موجود، ولفظ الوجود سواء كان مقولا عليهما بطريق الاشتراك اللفظي فقط، أو بطريق التواطؤ المتضمن للاشتراك لفظا ومعنى، أو بالتشكيك الذي هو نوع من التواطؤ.

فعلى كل قول، فالله موجود حقيقة، والمخلوق موجود حقيقة، ولا يلزم من إطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور، ولم أرجح في ذلك المقام قولا من هذه الثلاثة على الآخرف لأن غرضي تحصل على كل مقصودي.

وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف، وأن أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرت، وأن أعيان المذاهب الأربعة، والأشعري وأكابر أصحابه، على ما ذكرته، فإنه قبل المجلس الثاني اجتمع بي من أكابر علماء الشافعية، والمنتسبين إلى الأشعرية والحنفية وغيرهم ممن عظم خوفهم من هذا المجلس، وخافوا انتصار الخصوم فيه، وخافوا على نفوسهم أيضا من تفرق الكلمة، فلو أظهرت الحجة التي ينتصر بها ما ذكرته أو لم يكن من أئمة أصحابهم من يوافقها لصارت فرقة، ولصعب عليهم أن يظهروا في المجالس العامة الخروج عن أقوال طوائفهم، بما في ذلك من تمكن أعدائهم من أغراضهم، فإذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك، وقامت عليه الحجة، وبان أنه مذهب السلف، أمكنهم إظهار القول به مع ما يعتقدونه في الباطن، من أنه الحق، حتى قال لي بعض الأكابر من الحنفية -وقد اجتمع بي-: لو قلت هذا مذهب أحمد، وثبت على ذلك لانقطع النزاع.

ومقصوده أنه يحصل دفع الخصوم عنك بأنه مذهب متبوع ويستريح المنتصر والمنازع من إظهار الموافقة.

فقلت: لا والله، ليس لأحمد بن حنبل في هذا اختصاص، وإنما هذا اعتقاد سلف الأمة وأئمة أهل الحديث، وقلت أيضا: هذا اعتقاد رسول الله ﷺ، وكل لفظ ذكرته فأنا أذكر به آية، أو حديثا، أو إجماعا سلفيا، وأذكر من ينقل الإجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين، والفقهاء الأربعة، والمتكلمين، وأهل الحديث، والصوفية.

وقلت لمن خاطبني من أكابر الشافعية -لأبين أن ما ذكرته هو قول السلف، وقول أئمة أصحاب الشافعي، وأذكر قول الأشعري وأئمة أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم، ولينتصرن كل شافعي، وكل من قال بقول الأشعري الموافق لمذهب السلف، وأبين أن القول المحكي عنه في تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له في كلامه، وإنما هو قول طائفة من أصحابه -فللأشعرية قولان ليس للأشعري قولان.

فلما ذكرت في المجلس أن جميع أسماء الله التي سمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن، على الأقوال الثلاثة، تنازع كبيران، هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطؤ؟

فقال أحدهما: هو متواطىء وقال الآخر هو مشترك، لئلا يلزم التركيب.

وقال هذا: قد ذكر فخر الدين أن هذا النزاع مبني على أن وجوده هل هو عين ماهيته أم لا؟ فمن قال إن وجود كل شيء عين ماهيته، قال: إنه مقول بالاشتراك، ومن قال إن وجوده قدر زائد على ماهيته، قال: أنه مقول بالتواطؤ.

فأخذ الأول يرجح قول من يقول: إن الوجود زائد على الماهية، لينصر أنه مقول بالتواطؤ.

فقال الثاني: ليس مذهب الأشعري وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته، فأنكر الأول ذلك.

فقلت: أما متكلمو أهل السنة فعندهم أن وجود كل شيء عين ماهيته.

وأما القول الآخرفهو قول المعتزلة: أن وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته، وكل منهما أصاب من وجه، فإن الصواب أن هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هذا الموضع، وأجبت عن شبهة التركيب بالجوابين المعروفين.

وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته، أو ليس عينه، فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب، فإنا وإن قلنا أن وجود الشيء عين ماهيته، لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط، كما في جميع أسماء الأجناس فإن اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد إذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلي لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الإطلاق إلا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج فإنه على ذلك تنتفى الاسماء المتواطئة وهى جمهور الاسماء الموجودة في الغالب وهى أسماء الأجناس اللغوية وهو الاسم المطلق على الشيء وعلى كل ما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامدا أو مشتقا، وسواء كان جنسا منطقيا أو فقهيا أو لم يكن، بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الأجناس، والأصناف، والأنواع، ونحو ذلك.وكلها أسماء متواطئة، وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة.

وطلب بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة في العقيدة، ليطعن في بعضها، فعرفت مقصوده، فقلت: كأنك قد استعددت للطعن في حديث الأوعال حديث العباس بن عبد المطلب -وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين عبد العظيم، من قول البخاري، في تأريخه: عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف- فقلت: هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر.

فقال: أليس مداره على ابن عميرة، وقد قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف ؟.

فقلت: قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد، الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل، موصولا إلى النبي ﷺ قلت: والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، لم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن- خزيمة ما ثبت به الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدما على نفي غيره وعدم معرفته.

ووافق الجماعة على ذلك، وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح ما لا يليق أن أحكيه، وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة، ولكن لها تعلق بما أجبت به في مسائل، ولها تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة فأحضر بعض أكابرهم كتاب الاسماء والصفات للبيهقي رحمه الله تعالى، فقال: هذا فيه تأويل الوجه عن السلف، فقلت: لعلك تعني قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١١٥]. فقال: نعم.قد قال مجاهد والشافعي يعني قبلة الله. فقلت: نعم، هذا صحيح عن مجاهد والشافعي وغيرهما، وهذا حق، وليست هذه الآية من آيات الصفات.

ومن عدها في الصفات فقد غلط، كما فعل طائفة، فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾والمشرق والمغرب الجهات.

والـــوجه هو الجهة، يقال أي وجه تريده؟ أي أي جهة، وأنا أريد هذا الوجه أي هـــذه الجهـــة، كمـــا قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] ولهذا قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾أي تستقبلوا وتتوجهوا والله أعلم وصلى الله على محمد.

مجموع الفتاوى ٣ / ١٦٠ – ١٩٣

نقل الشيخ علم الدين[١]، أن الشيخ قدس الله روحه، قال في مجلس نائب السلطنة الأفـــرم لما سأله عن اعتقاده، وكان الشيخ أحضر عقيدته الواسطية قال: هذه كتبتها من نحو سبع سنين، قبل مجيء التتار إلى الشام فقرئت في المجلس.

ثـــم نقل علم الدين عن الشيخ أنه قال: كان سبب كتابتها أن بعض قضاة واسط مـــن أهل الخير والدين شكى ما الناس فيه -ببلادهم في دولة التتر-، من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة، فقلت له: قد كتب الناس عقائد أئمة السنة فألح في السؤال، وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت.

فكتـــبت لـــه هذه العقيدة -وأنا قاعد بعد العصر-، فأشار الأمير لكاتبه فقرأها علـــى الحاضـــرين حـــرفا حرفا، فاعترض بعضهم على قولي فيها: ومن الإيمان بالله الإيمـــان بمـــا وصـــف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيـــيف، ولا تمثيل. ومقصوده أن هذا ينفي التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إما وجوبا وإما جوازا.

فقلـــت: إنـــي عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف، لأن التحريف اسم جاء القـــرآن بذمه، وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة، فنفيت ما ذمه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل، لأنه لفظ له عدة معان، كما بينته في موضعه من القواعد.

(١) هذه حكاية الشيخ علم الدين للمناظرة في الواسطية، وهي معنى المناظرة الأولى، لكن باختصار. وانظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية ص ١٩٨.

فـــإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين مـــن أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف.

وقلت لهم: ذكرت في النفي التمثيل، ولم أذكر التشبيه، لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم، ويطنبون في هذا، ويعرضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك.

فقلت: قولي من غير تكييف ولا تمثيل، ينفي كل باطل، وإنما اخترت هذين الاســـمين لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف، كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة، وغيـــرهم المقالة -التي تلقاها العلماء بالقبول-: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمـــان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا، فنفيت ذلك اتباعا لسلف الأمة.

وهـــو أيضـــا منفـــي بالـــنص، فـــإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف، وحقيقة صفاته غير معلومة، وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، كما قـــررت ذلك، في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والمعنى، والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله.

وكـــذلك التمثـــيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه، ونفي التكييف، إذ كنه الباري غير معلوم للبشر.

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل أنه مذهب السلف: وهو إجراء آيـــات الصـــفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذ الكلام في الصـــفات فـــرع الكلام في الذات، يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف.

فقـــال أحد كبراء المخالفين فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالأجسام. فقلت له أنـــا وبعـــض الفضـــلاء: إنما قيل إنه يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به

رسـوله، ولـيس في الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا. وأول من قال إن الله جسم هشام ابن الحكم الرافضي.

وأمـا قولـنا فهم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم. فهم وسـط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة. فقيل لي: أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد، وأرادوا قطع النزاع لكونه مذهبا متبوعا.

فقلت: ما خرجت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهـذا. وقلـت: قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإن جاء بحرف واحد عـن القـرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك، وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائـف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشـعرية، وأهـل الحـديث وغيـرهم. ثم طلب المنازع الكلام في مسألة الحرف والصوت.

فقلـت: هـذا الـذي يحكـى عـن أحمد وأصحابه أن صوت القارئين، ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفترى، لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين.

وأخـرجت كراسا، وفيه ما ذكره أبو بكر الخلال في (كتاب السنة)، عن الإمام أحمـد، وما وجمعه صاحبه أبو بكر المروذي من كلام أحمد، وكلام أئمة زمانه في أن مـن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع، قلت: فكيف بمن يقول لفظي أزلي فكيف بمن يقول صوتي قديم؟!

فقـال المـنازع: إنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية، والمشبهة، ونحو هذا الكلام. فقلت: المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم، فهؤلاء أصـناف الأكراد كلهم شافعية، وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا يوجد في صنف آخر، وأهـل جـيلان فيهم شافعية وحنبلية، وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم، والكرامية المجسمة كلهم حنفية.

وقلـت لـه مـن فـي أصحابنا حشوي بالمعنى الذي تريده؟ الأثرم، أبوداود، المـروذي، الخـلال، أبو بكر عبدالعزيز، أبو الحسن التميمي، ابن حامد، القاضي أبو يعلى، أبو الخطاب، ابن عقيل، ورفعت صوتي، وقلت: سمهم قل لي من منهم ؟

أبكـذب ابـن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معـالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم الخطيب أنهم يقولون: القرآن القديم هو أصوات القارئين، ومداد الكاتبين، وأن الصوت والمداد قديم أزلي. من قال هذا؟ وفي أي كتاب وجد عنهم هذا؟ قل: لي. وكما نقل عنهم أن الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه، والمقدمة التي نقلها عنهم.

ولما جاءت مسألة القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، نازع بعضـهم فـي كونه منه بدأ وإليه يعود، وطلبوا تفسير ذلك. فقلت: أما هذا القول فهو المأثـور، والـثابت عـن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار، قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق مـنه بدأ وإليه يعود.ومعنى منه بدأ أي هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقوله الجهمية: إنه خلق في الهواء أو غيره، وبدأ من غيره.

وأمـا إلـيه يعود فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف، والصدور فلا يبقـى فـي الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، ووافق على ذلك غالب الحاضـرين. فقلـت: هكـذا قـال النبي ﷺ: "ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج مـنه".يعني القرآن، وقال خباب بن الأرت: "يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت، فلن يتقرب إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه".

وقلـت: وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ، هـو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عـبارة، بل إذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة. فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا، لا إلى من قاله مـبلغا مؤديا، فامتعض بعضهم من إثبات كونه كلام الله حقيقة، بعد تسليمه أن الله تكلم بـه حقـيقة، ثم إنه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه، وأن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم، وشعر الشعراء المضاف إليهم هو كلامهم حقيقة.

ولما ذكرت فيها أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مـبلغا استحسـنوا هـذا الكلام وعظموه. وذكرت ما أجمع عليه سلف الأمة من أنه

سبحانه فوق العرش، وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله، من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان.

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التي يسمى بها المخلوق كلفظ الوجود، الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن تنازع كبيران هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطؤ فقال أحدهما: هو متواطيء، وقال آخر: هو مشترك، لئلا يلزم التركيب. وقال هذا: قد ذكر فخر الدين أن هذا النزاع مبني على أن جوده هل هو عين ماهيته أم لا؟ فمن قال: إن وجود كل شيء عين ماهيته، قال: إنه مقول بالاشتراك، ومن قال: إن وجوده قدر زائد على ماهيته قال: إنه مقول بالتواطؤ. فأخذ الأول يرجح قول من يقول: إن الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ، فقال الثاني: مذهب الأشعري وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته، فأنكر الأول ذلك.

فقلت: أما متكلمو أهل السنة فعندهم أن وجود كل شيء عين ماهيته، وأما القول الآخرفهو قول المعتزلة، أن وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته. وكل منهما أصاب من وجه، فإن الصواب: أن هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هذا الموضع.

وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته، أو ليس عين وجود ماهيته فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب، فإنا وإن قلنا إن وجود الشيء عين ماهيته لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى غيره بالاشتراك اللفظي فقط، كما في جميع أسماء الأجناس، فإن اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ، وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد، إذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما، وهو المطلق الكلي، لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الإطلاق إلا في الذهن.

ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج، فإنه على ذلك تنتفي الاسماء المتواطئة، وهى جمهور الاسماء الموجودة في اللغات، وهي

أسـماء الأجـناس اللغوية، وهو الاسم المعلق على الشيء وما أشبهه، سواء كان اسم عين أو اسم صفة، جامدا أو مشتقا، وسواء كان جنسا منطقيا، أو فقهيا، أو لم يكن. بل اسم الجنس في اللغة تدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع، ونحو ذلك، وكلها أسماء متواطـئة، وأعيان مسمياتها. في الخارج متميزة، قال الذهبي: ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد.

مجموع الفتاوى ٣ / ١٩٤ - ٢٠١

وكـتب عبد الله بن تيمية[١] لأخيه زين الدين: بسم الله الرحمن الرحيم، من أخيه عـبد الله بـن تيمية إلى الشيخ الإمام العالم الفاضل الصدر الكبير زين الدين، زينه الله تعالـى بحلـية أوليائه، وأكرمه في الدنيا والآخرة بكرامة أصفيائه، وجعل له البشرى بالنصـر الأكبر على أعدائه، وأوزعه شكر النعماء خصوصا أفضل نعمائه بما من الله به سبحانه من النصر العزيز للإسلام، وللسنة وأهلها على حزب الشيطان وأوليائه. أما بعد:

فإنـي أحمـد إلـيك الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وأصلي على نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وأعـرفه بمـا مـن الله سبحانه علينا وعلى المسلمين أجمعين، بالنصر الأكبر، والفـتح المبـين. وهو وإن كانت العقول تعجز عن دركه على التفصيل، والألسن عن وصفه عن التكميل، لكن نذكر منه ما يسر الله سبحانه ملخصا خاليا عن التطويل.

وهـو أنـه لمـا كان يوم الإثنين، ثامن من رجب، جمع نائب السلطان القضاة الأربعـة ونـوابهم، والمفتين والمشايخ: نجم الدين، وشمس الدين، وتقي الدين، وجمال الـدين، وجـلال الدين نائب نجم الدين، وشمس الدين بن العز نائب شمس الدين، وعز الدين نائب تقي الدين، ونجم الدين نائب جمال الدين، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني، والشـيخ كمـال الدين بن الشرشي، وابن الوكيل من الشافعية، والشيخ برهان الدين بن

---

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن تيمية لأخيه زين الدين، وهو حاصل مناظرة الواسطية في المجلس الثاني منها، وهو معنى ما تقدم أيضا.

عــبدالحق من الحنفية، والشيخ شمس الدين الحريري من المالكية، والشيخ شهاب الدين المجد من الشافعية، والشيخ محمد بن قوام، والشيخ محمد بن إبراهيم الأرموي.

ثــم ســأل نائب السلطان عن الاعتقاد. فقال: ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر منــي، بــل الاعتقاد يؤخذ عن الله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمــة. يؤخذ من كتاب الله تعالى ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة وما ثبت عن سلف الأمة.

فقــال الأميــر: نريد أن تكتب لنا صورة الاعتقاد، فقال الشيخ: إذا قلت الساعة شــيئا من حفظي قد يقول الكذابون قد كتم بعضه أو داهن، بل أنا أحضر ما كتبته قبل هذا المجلس بسنين متعددة قبل مجيء التتار، فأحضرت الواسطية وسبب تسميتها بذلك أن الــذي طلبها من الشيخ رجل من قضاة واسط، من أصحاب الشافعي، قدم حاجا من نحو عشر سنين، وكان فيه صلاح كبير، وديانة كبيرة، فالتمس من الشيخ أن يكتب له عقــيدة فقال له الشيخ: الناس قد كتبوا في هذا الباب شيئا كثيرا، فخذ بعض عقائد أهل الســنة، فقــال: أحب أن تكتب لي أنت.فكتب له وهو قاعد في مجلسه بعد العصر هذه العقيدة.

ذكــر الشــيخ للأمير معنى هذا الكلام، ثم قرئت على الحاضرين من أولها إلى آخــرها، كلمه كلمة، وبحث في مواضع منها.وفيهم من في قلبه من الشيخ ما لا يعلمه إلا الله، وكــان ظــنهم أنهم إذا تكلموا معه في هذا الكتاب أظهروا أنه يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة.

وأوردوا ثلاثــة أســئلة فــي ثلاث[1] مواضع وهي تسميتها باعتقاد أهل الفرقة الناجــية، وقــول: استوى حقيقة، وقول: فوق السموات. فقال الشيخ للكاتب الذي أقعده نائــب السلطان وهو الشيخ كمال الدين بن الزملكاني: اكتب جوابها، وكان المجلس قد طــال مــن الضحى إلى قريب العصر، فأشاروا بتأخير ذلك إلى مجلس ثان، وهو يوم الجمعــة ثانــي عشر رجب، فاجتمعوا هم وحضر معهم الصفي الهندي، وحضرت أنا

(١) كذا في المطبوع، والصواب: ثلاثة.

المجلس الثاني، وما علمت بالمجلس الأول حين حضروا، وقد كانوا بحثوا في تلك الأيام بالفصوص وطالعوه، واتفقوا على أنهم لا يبقون ممكنا.

فلما حضرت بعد صلاة الجمعة واستقر المجلس، أثنى الناس على الصفي الهندي، وقال جماعة منهم هو شيخ الجماعة وكبيرهم في هذا، وعليه اشتغل الناس في هذا الفن، واتفقوا على أنه يتكلم مع الشيخ وحده، فإذا فرغ تكلم واحد بعد واحد.

فخطب الشيخ فحمد الله وأثنى عليه بخطبة ابن مسعود رضي الله عنه، ثم قال: إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، وربنا واحد، ورسولنا واحد، وكتابنا واحد، وديننا واحد، وأصول الدين ليس بين السلف وأئمة الإسلام فيها خلاف، ولا يحل فيها الافتراق، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٢]ويقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وهذا الباب قد تنازع الناس فيه، ويقول هذا: أنا حنبلي، ويقول هذا: أنا أشعري، وقد أحضرت كتب الأشعري، وكتب أكابر أصحابه مثل كتب أبي بكر بن الباقلاني، وأحضرت أيضا من نقل مذاهب السلف من المالكية والشافعية والحنبلية وأهل الحديث وشيوخ الصوفية، وأنهم كلهم متفقون على اعتقاد واحد.

وكذلك أحضر نقل شيوخ أصحاب أبي حنيفة، مثل: محمد بن الحسن والطحاوي، وما ذكروه من الصفات وغيرها في أصول الدين، وقرأ فصلا مما ذكره الحافظ ابن عساكر في كتابه "الإبانة"، وأنه يقول بقول الإمام أحمد، وأحضر كتاب التمهيد للقاضي أبي بكر بن الباقلاني، أحضر النقول عن مالك وأكابر أصحابه مثل ابن أبي زيد، والقاضي عبد الوهاب، وغيرهما من كبار أصحاب مالك بتصريحهم أن الله مستو بذاته على العرش.

وقال: أما الذي أذكره فهو مذهب السلف، وأحضر ألفاظهم وألفاظ من نقل مذاهبهم من الطوائفالأربعة، وأهل الحديث، والمتكلمين، والصوفية، وأذكر موافقة ذلك من الكتاب والسنة، وأنه ليس في ذلك ما ينفيه العقل، وإن كان الله تعالى يجمع قلوب الجماعة على ذلك، فالحمد لله رب العالمين، وإن خالف مخالف لذلك كان في كلام

الآخـــر ما أقوله، وأكشف الأسرار، وأهتك الأستار، وأبين ما يحتاج إليه بيانه، وأجتمع بالسلطان، وأقول له كلاما آخر.

وكـــان يـــوما عظيما مشهودا بين فيه للحاضرين من البحث والنقل أمر عظيم، وبحـــث عـــن أشـــياء خارجـــة عن العقيدة الواسطية، لما أحضر لهم جوابه في مسألة القرآن، ومسألة الاستواء، لما سئل عنها قديما من نحو اثني عشر سنة، وقرأ عليهم من ذلك الجواب، وسألوه عن ألفاظ في المسألة الحموية، وأوردوا عليه جميع ما في أنفسهم من الأجوبة، وقالوا: هذا سؤالنا وما بقي في أنفسنا شيء، فلما أجاب الشيخ عن أسئلتهم وافقوه وانفصل المجلس على ذلك، وكان قال لهم: كل من خالف شيئا مما قلته فليكتب بخطـــه خلافـــه، وليـــنقل فيما خالف في ذلك عن السلف، أو يكتب كل شخص عقيدة، وتعـــرض هـــذه العقائد على ولاة الأمور، ويعرف أيها الموافق للكتاب والسنة، وقال أيضا: من جاء بحرف واحد عن السلف بخلاف ما ذكرت فأنا أصير إليه، وأنا أحضر نقل جميع الطوائف أنهم ذكروا مذهب السلف كما وضعته، وأنا موافق السلف، ومناظر علـــى ذلك، وجميع أئمة الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث والصوفية موافقون ما أقوله.

وسألوه عن الظاهر هل هو موافق أم لا؟ فقال: هذا ليس في العقيدة، وأنا أتبرع بالجـــواب عن أكثر من حكى مذهب السلف، كالخطابي، وأبي بكر الخطيب، والبغوي، وأبـــي بكر، وأبي القاسم التيمي، وأبي الحسن الأشعري، وابن الباقلاني، وأبي عثمان الصابوني، وأبي عمر بن عبد البر، والقاضي أبي يعلي، والسيف الآمدي، وغيرهم في نفي الكيفية، والتشبيه عنها، وأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذى فـــيه حذوه، ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية.

وقد نقل طائفة أن مذهب السلف أن الظاهر غير مراد.قال: والجمع بين النقلين أن الظاهـــر لفظ مشترك، فالظاهر الذي لا يليق إلا بالمخلوق غير مراد، وأما الظاهر اللائـــق بجـــلال الله تعالـــى وعظمـــته فهو مراد، أنه هو المراد في أسماء الله تعالى

وصـــفاته، مثل الحى والعليم والقدير والسميع والبصير، وجرت بحوث دقيقة لا يفهمها إلا قليل من الناس.

وبـــين أن الله تعالـــى فوق عرشه على الوجه الذي يليق بجلاله، ولا أقول فوقه كالمخلـــوق علـــى المخلوق كما تقوله المشبهة، ولا يقال إنه لا فوق السموات ولا على العـــرش، رب كما تقوله المعطلة الجهمية، بل يقال: إنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه.

وتكلم على لفظ الجهة، وأنه معنى مشترك، وعلى لفظ الحقيقة.

وســـئل عـــن مســـألة القرآن والصوت فأجاب بالتفصيل، وكان أجاب به قديما فقـــال: من قال: إن صوت العبد بالقرآن ومداد المصحف قديم فهو مخطيء ضال، ولم يقل بهذا أحد من علماء أصحاب الإمام أحمد ولا غيرهم.

ومـــا نقـــل عـــنهم أنهم يقولون ليس القرآن إلا الصوت المسموع من القارىء والمـــداد الـــذي فـــي المصـــحف وهو مع ذلك قديم فهذا كذب مفترى. ما قاله أحمد، وأحضـــر نصـــوص الإمـــام أحمـــد وأصـــحابه وأصحاب مالك والشافعي والإشعرى وغيـــرهم: أن من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، فكيف بمن يقول صوتي بـــه غير مخلوق، أو يقول صوتي به قديم، وحرر الكلام فيها، وأن إطلاق القول بنفي الحرف بدعة لم يتكلم به الإمام أحمد ولا غيره من الأئمة المتبوعين.

بـــل مـــذهب السلف أن القرآن كلام الله: حروفه ومعانيه، والكلام يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، وأن الله تكلم بصوت، وذكر حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي في الصحيحين. فأخذ نائب المالكى يقول. أنت تقول: إن الله ينادي بصوت، فقال له الشيخ: هكذا قال نبيك، إن كنت مؤمنا به، وهكذا قال محمد بن عبدالله إن كان رسولا عندك.

وجعل نائب السلطان كلما ذكر حديثا وعزاه إلى الصحيحين يقول لهم هكذا قاله النبي ﷺ يقولون: نعم.فيقول: فمن قال بقول النبي ﷺ أي شيء يقال له ؟وقال له: كل شـــيء قلته من عندك قلته؟ فقال: بل أنقله جميعا عن نبى الأمة ﷺ، وأبين أن طوائف

الإسلام تنقله عن السلف كما نقلته، وأن أئمة الإسلام عليه، وأنا أناظر عليه، وأعلم كل من يخالفني بمذهبه.

وانــزعج الشيخ انزعاجا عظيما على نائب المالكي، والصفي الهندي، وأسكتهما سكوتا لم يتكلما بعده بما يذكر.وجزئيات الأمور لا يتسع لها هذا الورق.

وبعد المجلس حمل بعض الشافعية النقل من تفسير القرطبي بأن السلف لم ينكر أحــد مــنهم أن الله تعالى استوى على العرش حقيقة، وأنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا يــنطقون إلا بما أخبرت به رسله، وخص العرش بذلك، لأنه أعظم المخلوقات، وإنما جهلــوا كيفــية الاستواء، وأنه لا تعلم حقيقته كما قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم -يعنــى فــي اللغــة- والكــيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال نه بدعة، فقال المالكي: ما كنا نعرف هذا.

وبعد المجلس حصل من ابن الوكيل وغيره من الكذب والاختلاق والتناقض بما عليه الحال ما لا يوصف.

فجمــيع مــا يــرد إليك مما يناقض ما ذكرت من الأكاذيب والاختلاقات فتعلم ذلك.ولم ندر إلى الآن كيف وقع الأمر في مصر، إلا ما في كتاب السلطان أنه بلغنا أن الشــيخ فلانــا كتب عقيدة يدعو إليها، وأن بعض الناس أنكرها فليعقد له مجلس لذلك، ولتطالع ما يقع، وتكشف أنت ذلك كشفا شافيا، وتعرفنا به.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى الشيخ الإمام الكبير العالم الفاضل قرة العــين عــز الــدين أفضــل السلام، وكذلك كل فرد من الأهل والأصحاب والمعارف والسلام.

مجموع الفتاوى ٣ / ٢٠٢ - ٢١٠

جواب ورقة أرسلت إلى ابن تيمية وهو في السجن في العقدية ومناظرته

قــال الإمــام أبو العباس أحمد بن تيمية في جواب ورقة أرسلت إليه في السجن فــي رمضان سنة ست وسبعمائة: الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من

شــرور أنفســنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشــهد أن لا إلــه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهــدى وديــن الحــق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

أما بعد: قد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناسكين القدوتــين أيــدهما الله وسائر الإخوان بروح منه، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأدخلهم مدخل صدق، وأخرجهم مخرج صدق، وجعلهم ممن ينصر به السلطان: سلطان العلم، والحجــة والبــيان والبرهان، وسلطان القدرة، والنصر بالسنان والأعوان. وجعلهم من أوليائه المتقين، وجنده الغالبين، لمن ناوأهم من الأقران، ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بــين الصــبروالإيقان، والله محقــق ذلك ومنجز وعده في السر والإعلان، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن.

لكــن بما اقتضته حكمته ومضت به سنته، من الابتلاء والامتحان، الذي يخلص الله بــه أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان، إذ قد دل كتابه على أنه لابد من الفتــنة لكــل من الداعي إلى الإيمان والعقوبة لذوي السيئات والطغيان، قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤﴾ [العنكبوت: ١-٤] فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السـيئات يفوتــون الطالــب وأن مدعــي الإيمان يتركون بلا فتنة تميز بين الصادق والكــاذب، وأخبر في كتابه أن الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله، فقال تعالــى: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾إلــى قــوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات: ١٤-١٥].

وأخبر في كتابه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة الذي يعبد الله فيها على حــرف، وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه بل لا يثبت الإيمان إلا عند

وجود ما يهواه من خير الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] الآية وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٢)﴾ [آل عمران: ١٤٢] وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ (٣١)﴾ [محمد: ٣١]وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين، فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين، فقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية وهؤلاء هم الشاكرون لنعمة الإيمان، الصابرون على الامتحان كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٥) وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٤٧) فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٤٨)﴾ [آل عمران: ١٤٤-١٤٨].

فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر، كان جميع ما يقضي الله له من القضاء خيرا له، كما قال النبي ﷺ: "لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر، كان خيرا له". والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه.

ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال، وكل واحد من السراء والضراء في حقه يفضي إلى قبيح المآل، فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين، وفيها تثبيت أصول الدين، وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد، والبهتان.

فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله.

والله هو المسئول أن يثبتكم، وسائر المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويتم عليكم نعمه الباطنة والظاهرة، وينصر دينه وكتابه وعباده المؤمنين، على الكافرين والمنافقين، الذي أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم في كتابه المبين.

وأنـــتم فأبشروا من أنواع الخير والسرور بما لم يخطر في الصدور، وشأن هذه القضـــية ومـــا يتعلق بها أكبر مما يظنه من لا يراعي إلا جزئيات الأمور، ولهذا كان فـــيما خاطبت به أمين الرسول علاء الدين الطيبرسي، أن قلت: هذه القضية ليس الحق فـــيها لي بل لله ولرسوله وللمؤمنين من شرق الأرض إلى مغربها، وأنا لا يمكنني أن أبدل الدين، ولا أنكس راية المسلمين، ولا أرتد عن دين الإسلام لأجل فلان وفلان.

نعـــم يمكنني أن لا أنتصر لنفسي، ولا أجازي من أساء إلي وافترى علي، ولا أطلـــب حظـــي، ولا أقصد إيذاء أحد بحقي، وهذا كله مبذول مني ولله الحمد، ونفسي طيـــبة بذلك، وكنت قد قلت له: الضرر في هذه القضية ليس علي بل عليكم، فإن الذين أثاروهـــا مـــن أعـــداء الإســـلام، الذين يبغضونه ويبغضون أولياءه والمجاهدين عنه، ويختارون انتصار أعدائه من التتار ونحوهم.

وهم دبروا عليكم حيلة يفسدون بها ملتكم ودولتكم، وقد ذهب بعضهم إلى بلدان التـــتار، وبعضهم مقيم بالشام وغيره، ولهذه القضية أسرار لا يمكنني أن أذكرها، ولا أسمي من دخل في ذلك حتى تشاوروا نائب السلطان، فإن أذن في ذلك ذكرت لك ذلك، وإلا فـــلا يقال ذلك له، وما أقوله فاكشفوه أنتم، فاستعجب من ذلك، وقال: يا مولانا ألا تسمي لي أنت أحدا؟.

فقلت: وأنا لا أفعل ذلك فإن هذا لا يصلح.

لكـــن تعرفون من حيث الجملة أنهم قصدوا فساد دينكم ودنياكم، وجعلوني إماما تســـترا لعلمهـــم بأنـــي أواليكم، وأسعى في صلاح دينكم ودنياكم، وسوف إن شاء الله ينكشف الأمر.

قلت له: وإلا فأنا على أي شيء أخاف؟ إن قتلت كنت من أفضل الشهداء، وكان علي الرحمة والرضوان إلى يوم القيامة، وكان على من قتلني اللعنة الدائمة في الدنيا، والعذاب في الآخرة، ليعلم كل من يؤمن بالله ورسوله أني إن قتلت لأجل دين الله، وإن حبست فالحبس في حقي من أعظم نعم الله علي، ووالله ما أطيق أن أشكر نعمة الله علي في هذا الحبس، وليس لي ما أخاف الناس عليه، لا إقطاعي، ولا مدرستي، ولا مالي ولا رياستي، وجاهي، وإنما الخوف عليكم إذا ذهب ما أنتم فيه من الرياسة والمال، وفسد دينكم الذي تنالون به سعادة الدنيا والآخرة، وهذا كان مقصود العدو الذي أثار هذه الفتنة.

وقلت: هؤلاء الذين بمصر من الأمراء والقضاة والمشائخ إخوانى وأصحابي، أنا ما أسأت إلى أحد منهم قط، وما زلت محسنا إليهم، فأي شيء بيني وبينهم ؟ولكن لبس عليهم المنافقون أعداء الإسلام، وأنا أقول لكم: لكن لم يتفق أني قلت هذا له، إن في المؤمنين من يسمع كلام المنافقين ويطيعهم وإن لم يكن منافقا، كما قال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] وقد قال الله لنبيه: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]والنفاق له شعب ودعائم، كما أن للإيمان شعبا ودعائم ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان". وفيهما أيضا. أنه قال: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا أؤتمن خان".

وقلت له: هذه القضية أكبر مما في نفوسكم، فإن طائفة من هؤلاء الأعداء ذهبوا إلى بلاد التتر، فقال إلى بلاد التتر ؟ فقلت: نعم. هم من أحرص الناس على تحريك الشر عليكم إلى أمور أخرى. لا يصلح أن أذكرها لك.

وكان قد قال لي: فأنت تخالف المذاهب الأربعة، وذكر حكم القضاة الأربعة، فقلت له: بل الذي قلته عليه الأئمة، الأربعة المذاهب، وقد أحضرت في الشام أكثر من خمسين كتابا من كتب الحنفية والمالكية والشافعية وأهل الحديث والمتكلمين والصوفية، كلها توافق ما قلته بألفاظه، وفى ذلك نصوص سلف الأمة وأئمتها.

ولــم يستطع المنازعون مع طول تفتيشهم، كتب البلد وخزائنه أن يخرجوا ما يـناقض ذلك عن أحد من أئمة الإسلام، وسلفه. وكان لما أعطاني الدرج فتأملته فقلت لــه: هــذا كلــه كذب، إلا كلمة واحدة، وهي أنه استوى على العرش حقيقة، لكن بلا تكيـيف ولا تشـبيه. قلت: وهذا هو في العقيدة بهذا اللفظ بلا تكييف ولا تمثيل، ولا تحـريف ولا تعطيل، فقال: فاكتب خطك بهذا. قلت: هذا مكتوب قبل ذلك في العقيدة، ولم أقل بما يناقضه، فأي فائدة في تجديد الخط ؟

وقلــت: هــذا اللفـظ قد حكى إجماع أهل السنة والجماعة عليه غير واحد من العلمــاء: المالكـية والشافعية وأهل الحديث وغيرهم، وما في علماء الإسلام من ينكر ذلك إلا هؤلاء الخصوم.

قلــت: فإن هؤلاء يقولون ما فوق العرش رب يدعى، ولا فوق السماء إله يعبد، ومــا هــناك إلا العدم المحض، والنفي الصرف، وأن الرسول ﷺ لم يعرج به إلى الله تعالــى، ولكــن صعد إلى السماء ونزل. وأن الداعي لا يرفع يديه إلى الله. ومنهم من يقــول: إن الله هو هذا الوجود، وأنا الله، وأنت الله، والكلب والخنزير والعذرة، ويقول: إن الله حال في ذلك.

فاســتعظم ذلك وهاله أن أحدا يقول هذا. فقال: هؤلاء يعني ابن مخلوف وذويه، فقلت: هؤلاء ما سمعت كلامهم ولا خاطبوني بشيء، فما يحل لي أن أقول عنهم ما لم أعلمــه، ولكن هذا قول الذين نازعوني بالشام، وناظروني وصرحوا لي بذلك، وصرح أحدهم بأنه لا يقبل من الرسول ﷺ ما يقوله في هذا الباب مما يخالفهم.

وجعــل الــرجل في أثناء الكلام يصغي لما أقوله ويعيه لما رأى غضبي، ولهذا بلغنــي من غير وجه أنه خرج فرحا مسرورا بما سمعه مني. وقال: هذا على الحق، وهــؤلاء قد ضيعوا الله، وإلا فأين هو الله؟ وهكذا يقول كل ذي فطرة سليمة. كما قاله جمــال الــدين الأخــرم للملك الكامل لما خاطبه الملك الكامل في أمر هؤلاء، فقال له الأخرم: هؤلاء قد ضيعوا إلهك فاطلب لك إلها تعبده.

ومن المعلوم باتفاق المسلمين أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقـيقة، بصـير حقـيقة، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته، وإنما ينكر ذلك الفلاسفة

الباطنـية. فـيقولون: نطلـق عليه هذه الاسماء، ولا نقول إنها حقيقة. وغرضهم بذلك جواز نفيها فإنهم يقولون: لا حي حقيقة، ولا ميت حقيقة، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا سميع ولا أصم.

فـإذا قالـوا إن هذه الاسماء مجاز، أمكنهم نفي ذلك، لأن علامة المجاز صحة نفـيه. فكل من أنكر أن يكون اللفظ حقيقة لزمه جواز إطلاق نفيه، فمن أنكر أن يكون اسـتوى على العرش حقيقة، فإنه يقول ليس الرحمن على العرش استوى، كما أن من قـال إن لفظ الاسد للرجل الشجاع، والحمار للبليد، ليس بحقيقة فإنه يلزمه صحة نفيه. فيقول هذا ليس بأسد، ولا بحمار، ولكنه آدمي.

وهـؤلاء يقولون لهم لا يستوي الله على العرش.كقول إخوانهم ليس هو بسميع ولا بصـير ولا متكلم، لأن هذه الألفاظ عندهم مجاز. فيأتون إلى محض ما أخبرت به الرسـل عـن الله سـبحانه يقابلونه بالنفي والرد، كما يقابله المشركون بالتكذيب، لكن هؤلاء لا ينفون اللفظ مطلقا.

وقـال الطلمنكي أحد أئمة المالكية- قبل ابن عبد البر والباجي وطبقتهما - في كـتاب الوصـول إلى معرفة الأصول: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على العرش كيف شاء.

وقال أيضا: قال أهل السنة في قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طـه: ٥] أن الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة، لا على المجاز. وقال ابن عبد البر في التمهيد شرح الموطأ، وهو أشرف كتاب صنف في فنه، لما تكلم على حـديث النـزول، قال: هذا حديث ثابت لا يختلف أهل الحديث في صحته. وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم إنه في كل مكان، وليس على العرش.

قـال والدليل على صحة ما قاله أهل الحق قول الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طـه: ٥] وقـال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

[فاطـــر: ١٠]وقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وقال: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وذكر آيات.

إلـــى أن قـــال: وهـــذا أشـــهر عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا خالفهم فيه مسلم.

وهـــذا مـــثل ما ذكر محمد بن طاهر عن أبي جعفر الهمداني أنه حضر مجلس بعـــض المتكلمـــين فقـــال: كان الله ولا عرش. فقال: يا أستاذ! دعنا من ذكر العرش. أخبـــرنا عـــن هذه الضرورات التي نجدها في قلوبنا ما قال عارف قط يا الله! إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا تلتفت يمنة ولا يسرة. فضرب بيده على رأسه وقال: حيرنـــي الهمداني، حيرني الهمداني، أراد الشيخ أن إقرارالفطر بأن معبودها ومدعوها فوق، هو أمر ضروري، عقلي، فطري، لم تستفده من مجرد السمع، بخلاف الاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض في ستة أيام، فإن هذا علم من جهة السمع.

ولهـــذا لا تعرف أيام الأسبوع إلا من جهة المقرين بالنبوات، فأما من لا يعرف ذلك كالترك المشركين فليس في لغتهم أسماء أيام الأسبوع.وهذا من حكمة اجتماع أهل كـــل ملة في يوم واحد في الأسبوع، كما قال النبي ﷺ: "اليوم لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى." وبسط ابن عبد البر الكلام في ذلك.

إلـــى أن قال: وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلـــة: ٧] فـــلا حجـــة فيه لهم، لأن علماء الصحابة والتابعين، قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.

قـــال أبـــو عمـــر: أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القـــرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقية لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شـــيئا، ولا يحدون فيه صفه محصورة. وأما أهل البدع: الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم

عـند من أقر بها نافون للمعبود، والحق ما نطق به كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهم أئمة الجماعة.

وقـال أيضـا: الـذي علـيه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشـبهها: الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ والتصديق بذلك، وترك التحديد، والكيفية في شيء منه.

وقـال السجزي في الإبانة: وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سلمة وحمـاد بـن زيد وابن المبارك والفضيل وأحمد وإسحق: متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء. فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم برىء، وهم منه برءاء.

وقـال الشـيخ عبد القادر في الغنية: أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد صمد. إلى أن قال: وهو بجهة العلـو، مسـتو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء. قال: ولا يجوز وصـفه بأنـه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش.إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش.قال: وكونه على العرش في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا تكييف.

وذكـر الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة عن ابن أبي حاتم قال: سألت أبي وأبـا زرعـة عن مذاهب أهل السنة؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا ومصر وشاما ويمنا، فكان من مذاهبهم: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله منزل، غير مخلوق، بجميع جهاته، إلى أن قال: وأن الله على عرشه، بـائن مـن خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علما.

وقـال الشيخ نصر في أثناء الكتاب: إن قال قائل: قد ذكرت ما يجب على أهل الإسـلام مـن اتباع كتاب الله وسنة رسول الله وما أجمع عليه الأئمة والعلماء، فاذكر مذهـبهم وما أجمعوا عليه. فالجواب: أن الذي أدركنا عليه أهل العلم ومن بلغني قوله

مــن غيــرهم، فذكر جمل اعتقاد أهل السنة وفيه: وأن الله مستو على عرشه، بائن من خلقه، كما قال في كتابه.

وقال أبو الحسن الكجي الشافعي في قصيدته المشهورة في السنة:

عقيدتهم أن الإله بذاتـــــــــه   على عرشه مع علمه بالغوائب

وقـــال القرطبي صاحب التفسير الكبير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفــرقان: ٥٩] قـــال: هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيها كلام، فذكر قول المتكلمـــين. ثـــم قال: كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله، كما نطق به كتابه، وأخبرت به رسله، قال: ولم ينكر أحد مــن السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء. فإنه لا تعلم حقيقته.

ثـــم قال بعد أن حكى أربعة عشر قولا: وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآي والأخبار والفضلاء الأخيار، أن الله على عرشه، كما أخبر في كتابه، وعلى لسان نبيه بلا كيف، بائن من جميع خلقه، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقله الثقات عنهم.

ولمـــا اجتمعـــنا بدمشق وأحضر فيمن أحضر كتب أبي الحسن الأشعري: مثل المقالات، والإبانة، وأئمة أصحابه كالقاضي أبي بكر، وابن فورك، والبيهقي، وغيرهم، وأحضـــر كتاب الإبانة، وما ذكر ابن عساكر في كتاب: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري. وقد نقله بخطه أبو زكريا النووي.

وقال فيه: فإن قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون.

قـــيل لـــه: قولـــنا: التمســك بكتاب الله وسنة رسوله، وما روي عن الصحابة والتابعـــين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول أحمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضـــل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين.

وذكـــر الاعـــتقاد الذي ذكره في المقالات عن أهل السنة، ثم احتج على أبواب الأصول مثل مسألة القرآن، والرؤية، والصفات، ثم قال: باب ذكر الاستواء: فإن قال قائـــل: مـــا تقولـــون فـــي الاستواء ؟قيل بأن الله مستو على عرشه. كما قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طـــه: ٥]وقـــال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطـــر: ١٠]وقـــال سبحان: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨]: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] كذب موسى في قوله إن الله فوق السموات.

وقـــال: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ [نـــوح: ١٦]لم يرد أن القمر يملأهن جميعا. وأنـــه فيهن جميعا. ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو العرش. قال: وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طـــه: ٥] أي: اســـتولى، وملك وقهر، والله في كل مكان، وجحدوا أن يكـــون الله علـــى عرشه كما قاله أهل الحق. قال: ولو كان كما قالوا، كان لافرق بين العرش وبين الأرض السابعة السفلى، لأن الله قادر على كل شيء وقدر ذلك.

وساق الكلام إلى أن قال: ومما يؤكد لكم أن الله مستو على عرشه دون الأشياء كلهـــا ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ من قوله: " ينزل الله إلى سماء الدنيا كل لـــيلة، فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، حتى يطلع الفجر". ثم ذكر الأحاديث.

وقـــال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [آل عمـــران: ٥٥] قال: وأجمعت الأمة على أن الله رفع عيسى إلى السماء.وذكر دلائل، إلى أن قال: كل ذلك يدل على أن الله ليس في خلقـــه ولا خلقـــه فـــيه، وأنه عز وجل مستو على عرشه، جل وعز وتعالى عما يقول الظالمـــون علـــوا كبيـــرا، جل عما يقول الذين لم يثبتوا له في وصفهم له حقيقة، ولا

أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية، إذ كان كلامهم يؤول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم على النفي في التأويل، يريدون بذلك فيما زعموا التنزيه، ونفي التشبيه.فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل.

وهذا باب واسع لا يحصر فيه كلام العلماء من جميع الطوائف، وما في ذلك من الدلائل العقلية والنقلية، وما يعارض ذلك أيضا من حجج النفاة والجواب عنها.

وقد كتبت في هذا ما يجيء عدة مجلدات وذكرت فيها مقالات الطوائف جميعها، وحججها الشرعية والعقلية، واستوعبت ما ذكره الرازى في كتاب تأسيس التقديس، ونهاية العقول، وغير ذلك، حتى أتيت على مذاهب الفلاسفة المشائين أصحاب أرسطو، وغير المشائين متقدميهم ومتأخيرهم، كأفضل متأخريهم ابن سينا، وأوحدهم في زمانه أبي البركات، وذكرت حججهم. فإني أعلم أن هذا الباب قد كثر فيه الاضطراب، وحار فيه طوائف من الفضلاء الأذكياء، لتعارض الأدلة عندهم.وقررت الأدلة اللفظية الصحيحة وميزت بينها وبين الشبهات الفاسدة مع ما يجيء في ضمن ذلك من أصول عظيمة وقواعد جسيمة -من أولها، وهو من أجل الأمور عند كثير من الناس-، من تقرير استدارة الأفلاك. فإني قررت ذلك، وذكرت كلام من ذكر إجماع المسلمين على ذلك، مثل ابن المنادي وابن حزم وابن الجوزي، وما يتعلق بذلك، من الأمور الحسابية السمعية من الكتاب والسنة، إلى أمثال ذلك مما يطول وصفه.

وأيضا لما كنت في البرج ذكر لي أن بعض الناس علق مؤاخذة على الفتيا الحموية، وأرسلت إلي، وقد كتبت فيما بلغ مجلدات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية، وحشة ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفا لقلوب المسلمين، وطلبا لاتفاق كلمتهم، واتباعا لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله، وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة، وبينت لهم أن الأشعري كان من أجل المتكلمين المنتسبين إلى الإمام أحمد رحمه الله، ونحوه، المنتصرين لطريقه، كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه.

وكما قال أبو إسحق الشيرازي: إنما نفقت الأشعرية عند الناس بانتسابهم إلى الحنابلة، وكان أئمة الحنابلة المتقدمين، كأبي بكر عبد العزيز، وأبي الحسن التميمي،

ونحوهما، يذكرون كلامه في كتبهم، بل كان عند متقدميهم كابن عقيل عند المتأخرين، لكن ابن عقيل له اختصاص بمعرفة الفقة وأصوله، وأما الأشعري فهو أقرب إلى أصول أحمد من ابن عقيل وأتبع لها، فإنه كلما كان عهد الإنسان بالسلف أقرب كان أعلم بالمعقول والمنقول.

وكنت أقرر هذا للحنبلية، وأبين أن الأشعري وإن كان من تلامذة المعتزلة ثم تاب، فإنه تلميذ الجبائي، ومال إلى طريقة ابن كلاب، وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة، ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أمورا أخرى، وذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم.

وكذلك ابن عقيل كان تلميذ ابن الوليد وابن التبان المعتزليين ثم تاب من ذلك. وتوبته مشهورة بحضرة الشريف أبي جعفر.وكما أن في أصحاب أحمد من يبغض ابن عقيل ويذمه، فالذين يذمون الأشعري ليسوا مختصين بأصحاب أحمد، بل في جميع الطوائف من هو كذلك.

ولما أظهرت كلام الأشعري ورآه الحنبلية قالوا: هذا خير من كلام الشيخ الموفق، وفرح المسلمون باتفاق الكلمة.وأظهرت ما ذكره ابن عساكر في مناقبه: أنه لم تزل الحنابلة والأشاعرة متفقين إلى زمن القشيري، فإنه لما جرت تلك الفتنة ببغداد تفرقت الكلمة، ومعلوم أن في جميع الطوائف من هو زائغ ومستقيم.

مع أني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع أحدا قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها. وقد قلت لهم غير مرة: أنا أمهل من يخالفني ثلاث سنين، إن جاء بحرف واحد عن أحد من أئمة القرون الثلاثة يخالف ما قلته فأنا أقر بذلك. وأما ما أذكره فأذكره عن أئمة القرون الثلاثة بألفاظهم، وبألفاظ من نقل إجماعهم من عامة الطوائف.

هذا مع أني دائما ومن جالسني يعلم ذلك مني، أني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية

التـــي من خالفها كان كافرا تارة، وفاسقا أخرى، وعاصيا أخرى، وأني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها.وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية.

ومـــا زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحـــد لا بكفـــر ولا بفسق ولا معصية، كما أنكر شريح قراءة من قرأ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصـــافات: ١٢]، وقـــال: إن الله لا يعجـــب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: إنما شريح شاعر يعجبه علمه. كان عبدالله أعلم منه، وكان يقرأ (بل عجبت).

وكما نازعت عائشة وغيرها من الصحابة في رؤية محمد ﷺ ربه، وقالت: من زعـــم أن محمـــدا رأى ربـــه فقد أعظم على الله الفرية. ومع هذا لا نقول لابن عباس ونحـــوه مـــن المنازعـــين لها: إنه مفتر على الله، وكما نازعت في سماع الميت كلام الحـــي، وفى تعذيب الميت ببكاء أهله، وغير ذلك وقد آل الشر بين السلف الى الاقتتال مـــع اتفـــاق أهل السنة على أن الطائفتين جميعا مؤمنتان، وأن الاقتتال لا يمنع العدالة الثابتة لهم، لأن المقاتل وإن كان باغيا فهو متأول، والتأويل يمنع الفسوق.

وكـــنت أبـــين لهم أنما نقل لهم عن السلف والإئمة من إطلاق القول بتكفير من يقـــول كـــذا وكذا فهو أيضا حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين. وهذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار وهى مسئلة الوعيد، فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١] الآية وكذلك سائر ما ورد من فعل كذا فله كذا، فإن هذه مطلقة عامة.

وهـــي بمنزلة قول من قال من السلف: من قال كذا فهو كذا. ثم الشخص المعين يلتغي حكم الوعيد فيه بتوبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أوشفاعة مقبولة.

والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة. وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئا.

وكنت دائما أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: "إذا أنا مت فاحرقونـــي ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم، فوالله لإن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما

عذبــه أحــدا من العالمين، ففعلوا به ذلك، فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشــيتك فغفــر له ".فهذا رجل شك في قدرة الله وفى إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعــاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا.

فصــل. ما ذكرتم من لين الكلام والمخاطبة بالتي هى أحسن، فأنتم تعلمون أني مــن أكثــر الــناس اســتعمالا لهذا، لكن كل شيء في موضعه حسن، وحيث أمر الله ورســوله بــالإغلاظ على المتكلم لبغيه وعدوانه على الكتاب والسنة، فنحن مأمورون بمقابلته، لم نكن مأمورين أن نخاطبه بالتى هى أحسن.ومن المعلوم أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمــــران: ١٣٩] فمن كان مؤمنا فإنه الأعلى بنص القرآن.وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المــنافقون: ٨] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلــة: ٢٠-٢١]والله محقــق وعده لمن هو كذلك كائنا من كــان.وممــا يجــب أن يعلم أنه لا يسوغ في العقل. ولا الدين طلب رضى المخلوقين لوجهين.

أحــدهما: أن هــذا غير ممكن.كما قال الشافعي رضي الله عنه: الناس غاية لا تدرك.فعليك بالأمر الذي يصلحك، فالزمه ودع ما سواه ولا تعانه.

والثانــي: أنــا مأمــورون بــأن نتحــرى رضى الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وعلينا أن نخــاف الله فــلا نخــاف أحدا إلا الله كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١] و﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة: ٤١] فعلينا أن

نخــاف الله، ونتقيه في الناس، فلا نظلمهم بقلوبنا، ولا جوارحنا، ونؤدي إليهم حقوقهم بقلوبنا وجوارحنا، ولا نخافهم في الله، فنترك ما أمر الله به ورسوله خيفة منهم.

ومــن لزم هذه الطريقة كانت العاقبة له كما كتبت عائشة إلى معاوية: "أما بعد. فإنــه مــن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، وعاد حامــده من الناس ذاما. ومن التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس". فالمؤمن لا تكون فكرته وقصده إلا رضى ربه، واجتناب سخطه والعاقبة له، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هــذا مــع أن المرسل فرح بهذه الأمور جوانيه في الباطن، وكلما يظهره فإنه مــراءاة لقــرينه، وإلا فهمــا في الباطن متباينان. وثم أمور تعرفها خاصتهم، ويكفيك الطيبرسي قد تواتر عنه الفرح والاستبشار بما جرى مع أنه المخاصم، المغلظ عليه.

وهذا سواء كان أو لم يكن. الأصل الذي يجب اتباعه هو الأول وقول النبي ﷺ: "لا تــبدءوهم بقتال وإن أكثبوكم فارموهم بالنبل ".على الرأس والعين، ولم نرم إلا بعد أن قصدوا شرنا وبعد أن أكثبونا، ولهذا نفع الله بذلك.

فصل. ذكرتم من أني أطلب تفويض الحكم إلى شخص معين.فهذا لا يصلح، بل فــيه ضرر على ذلك الشخص وعلي، وفساد عام. وذلك أنكم تعلمون أن القاضي بدر الــدين أنــي كنت من أعظم الناس موالاة له، ومناصرة ومعاونة له، ومدافعة لأعدائه عــنه، فــي أمــور متعددة، بل ما أعلم أحدا أكثر في مخالصة له، ومعاونة. وذلك لله وحده، لا لرغبة ولا لرهبة مني.

وقطعــة قوية مما حصل لي من الأذى -بدمشق وبمصر أيضا- إنما هو بسبب انتصــاري لــه ولــنوابه، مــثل الزرعي والتبريزي، وغيرهما من حاشيته، وتنويهي بمحاسنه في مصر أيضا قد عرفت بذلك فإنه حزب الردى، وغيره يعاودني على ذلك.

والله يعلــم أن منــزلته عندي ومكانته من قلبي ليست قريبة من منــزلة غيره، فضــلا عــن أن تكون مثلها.وحاشا لله أن يشبه بدر الدين بمن فرق الله بينه وبينه من وجــوه كثيرة زائدة. وفى سنن أبي داود عن عائشة قالت: " أمرنا رسول الله أن ننزل الناس منازلهم".

وعـــندي مـــن أظلم الناس من يقرن بينه وبين غيره في مرتبة واحدة بالشام أو بمصـــر، ومـــا زال بدر الدين مظلوما بمثل هذا من الأقران، وأنا أعتقد من أعظم ما أتقرب به إلى الله نصره وموالاته ومعاونته، أنتم تعرفون في هذا خصوصا بهذه الديار فإنـــه ينبغى أن تكون معاونة له ومناصرة له أكثر مما كانت بالشام، لأن في كثير من هؤلاء من النفرة عنه، والكذب والفجور ما ليس في غيرهم.

فأنـــا أحـــب وأختار كل ما فيه علو قدره في الدنيا والدين، ولا أحب أن أجعله غرضا لسهام الأعداء. بل ما عملت معه، ومع غيره، وما أعمل معهم فأجرى فيه على الله الذي يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلـــزلة: ٧-٨] ولهذا لما ذكر الطيبرسي القضاة وأجملهم، قلت له: إنمـــا دخـــل فـــي هذه القضية ابن مخلوف، وذاك رجل كذاب فاجر قليل العلم والدين. فجعل يتبسم لما جعلت أقول هذا كأنه يعرفه، وكأنه مشهور بقبح السيرة.

وقلت: ما لابن مخلوف والدخول في هذا ؟هل ادعى أحد علي دعوى مما يحكم بـــه ؟ أم هـــذا الـــذي تكلمت فيه هو من أمر العلم العام ؟مثل تفسير القرآن، ومعاني الأحاديـــث، والكـــلام في الفقه وأصول الدين.وهذه المرجع فيها إلى من كان من أهل العلـــم بها، والتقوى لله فيها، وإن كان السلطان والحاكم من أهل ذلك تكلم فيها من هذه الجهـــة، وإذا عزل الحاكم لم ينعزل ما يستحقه من ذلك كالإفتاء ونحوه ولم يقيد الكلام في ذلك بالولاية.

وإن كـــان الســـلطان والحاكم ليس من أهل العلم بذلك ولا التقوى فيه لم يحل له الكـــلام فـــيه، فضـــلا عن أن يكون حاكما.وابن مخلوف ليس من أهل العلم بذلك ولا التقوى فيه.

قلـــت: فأما القاضي بدر الدين فحاشا لله، ذاك فيه من الفضيلة والديانة ما يمنعه أن يدخل في هذا الحكم المخالف لإجماع المسلمين من بضعة وعشرين وجها.

قلـــت: ومـــن أصر على أن هذا الحكم الذي حُكم به ابن مخلوف هو حكم شرع محمد ﷺ فهو بعد قيام الحجة عليه كافر.فإن صبيان المسلمين يعلمون بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا الحكم لا يرضى به اليهود ولا النصارى، فضلا عن المسلمين!

وذكـرت لـه بعـض الوجوه الذي يعلم بها فساد هذا الحكم، وهي مكتوبة مع الشـرف محمد.وكذلك نزهت القاضي شمس الدين السروجي عن الدخول في مثل هذا الحكم.

وقلـت له: أنتم ما كان مقصودكم الحكم الشرعي، وإنما كان مقصودكم دفع ما سـمعتوه من تهمة الملك، ولما علمت الحكام أن في القضية أمر الملك أحجموا وخافوا مـن الكلام خوفا يعذرهم الله فيه، أو لا يعذرهم. لكن لولا هذا لتكلموا بأشياء ولو كان هذا الحكم شاذا أو فيه غرض لذي سيف لكان عجائب.

فقالـوا: يـا مـولانا من يتكلم في أمر الملك.نحن ما نتكلم، دعنا من الكلام في الملـك. فقلـت: أيهـا النائم! أخليكم من الملك؟وهذه الفتنة التي قد ملأتم بها الدنيا هل أثارها إلا ذلك؟ ونحن قد سمعنا هذا بدمشق، لكن ما اعتقدنا أن عاقلا يصدق بذلك.

وهـؤلاء القوم بعد أن خرج من أنفسهم تهمة الملك إذا ذكر لهم بعض ما يقوله المـنازعون لي يستعظمونه جدا، ويرون مقابلة قائلها بأعظم العقوبة، فإن الله سبحانه يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾ [الفتح: ٢٨] فيعلم أني لو أطلب هذا ذهبت الطيور بي، وببدر الدين كل مـذهب، وقيل إن بيننا في الباطن اتفاقات فأنا أعمل معه ما أرجو جزاءه من الله، وهو يعمل بموجب دينه.

أيضـا فبدر الدين لا يحتمل من كلام الناس وأذاهم ما يفعله مثل هؤلاء رجل له منصب، وله أعداء وأنا – ولا حول ولا قوة إلا بالله – فقد فعلوا غاية ما قدروا عليه، ومـا بقـي إلا نصر الله الذي وعد به رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

وأيضـا فـيعلم أن هذا إما أن يتعلق بالحاكم أولا، فإن تعلق به لم يكن للخصم المدعي عليه أن يختار حكم حاكم معين، بل يجب إلى من يحكم بالعلم والعدل، وإن لم يتعلق بالحاكم فذاك أبعد.

وأيضا فأنا لم يدع علي دعوى يختص بها الحاكم من الحدود والحقوق، مثل قتل أو قـذف أو مال ونحوه، بل في مسائل العلم الكلية مثل التفسير والحديث والفقه وغير

ذلك. وهذا فيه ما اتفقت عليه الأمة وفيه ما تنازعت فيه. والأمة إذا تنازعت في معنى آيـــة أو حـــديث أو حكم خبري أو طلبي، لم يكن صحة أحد القولين وفساد الآخرثابتا بمجرد حكم حاكم، فإنه إنما ينفذ حكمه في الأمور المعينة دون العامة.

ولـــو جـــاز هذا لجاز أن يحكم حاكم بأن قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] هو الحيض والأطهار ويكون هذا حكما يلزم جميع الناس قوله، أو يحكـــم بـــأن اللمس في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] هو الوطء والمباشرة فيما دونه، أو بأن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج أو الأب والسيد. وهذا لا يقوله أحد.

وكـــذلك الناس اذا تنازعوا في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥] فقـــال هـــو اســـتواؤه بنفسه وذاته فوق العرش، ومعنى الاستواء معلوم، ولكن كيفيته مجهـــولة. وقال قوم: ليس فوق العرش رب ولا هناك شيء أصلا. ولكن معنى الآية: أنه قدر على العرش ونحو ذلك لم يكن حكم الحاكم لصحة أحد القولين وفساد الآخرمما فيه فائدة.

ولـــو كان كذلك لكان من ينصر القول الآخريحكم بصحته إذ يقول: وكذلك باب العبادات: مثل كون مس الذكر ينقض أولا، وكون العصر يستحب تعجيلها أو تأخيرها، والفجر يقنت فيه دائما أولا أو يقنت عند النوازل، ونحو ذلك.

والـــذى علـــى السلطان في مسائل النزاع بين الأمة أحد أمرين: إما ان يحملهم كلهـــم علـــى مـــا جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة، لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النســـاء: ٥٩] وإذا تنازعوا فهم كلامهم، إن كان ممـــن يمكنه فهم الحق فإذا تبين له ما جاء به الكتاب والسنة دعى الناس إليه، وأن يقر الناس على ما هم عليه. كما يقرهم على مذاهبهم العملية.

فأما إذا كانت البدعة ظاهرة تعرف العامة أنها مخالفة للشريعة، كبدعة الخوارج والـــروافض والقدرية والجهمية، فهذه على السلطان إنكارها، لأن علمها عام. كما عليه الإنكار على من يستحل الفواحش والخمر وترك الصلاة ونحو ذلك.

ومـــع هـــذا فقد يكثر أهل هذه الأهواء في بعض الأمكنة والأزمنة، حتى يصير بســـبب كثرة كلامهم مكافئا عند الجهال لكلام أهل العلم والسنة، حتى يشتبه الأمر على من يتولى أمر هؤلاء، فيحتاج حينئذ إلى من يقوم بإظهار حجة الله وتبيينها حتى تكون العقوبة بعد الحجة.

وإلا فالعقوبة قبل الحجة ليست مشروعة قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإســـراء: ١٥] ولهذا قال الفقهاء في البغاة: إن الإمام يراسلهم فإن ذكروا شـــبهة بيـــنها، وإن ذكـــروا مظلمـــة أزالها، كما أرسل علي ابن عباس إلى الخوارج فناظـــرهم حتى رجع منهم أربعة آلاف، وكما طلب عمر بن عبد العزيز دعاة القدرية والخـــوارج فناظرهم حتى ظهر لهم الحق وأقروا به، ثم بعد موته نقض غيلان القدري التوبة فصلب.

وأمـــا إلزام السلطان في مسائل النزاع بالتزام قول بلا حجة من الكتاب والسنة، فهذا لا يجوز باتفاق المسلمين، ولا يفيد حكم حاكم بصحة قول دون قول في مثل ذلك، إلا اذا كـــان معـــه حجة يجب الرجوع إليها، فيكون كلامه قبل الولاية وبعدها سواء، وهذا بمنزلة الكتب التي يصنفها في العلم.

نعـــم الولاية قد تمكنه من قول حق ونشر علم قد كان يعجز عنه بدونها، وباب القدرة والعجز غير باب الاستحقاق وعدمه. نعم للحاكم إثبات ما قاله زيد أو عمرو، ثم بعد ذلك إن كان ذلك القول مختصا به كان مما يحكم فيه الحكام، وإن كان من الأقوال العامة كان من باب مذاهب الناس. فأما كون هذا القول ثابت عند زيد ببينة، أو إقرار، أو خط، فهذا يتعلق بالحكام.

ولا ريـــب أن مـــثل بدر الدين من أعدل الناس وأحبهم في أهل الصدق والعدل، ومن أشد الناس بغضا لشهود الزور، ولو كان متمكنا منهم لعمل أشياء، فهذا لو احتيج فـــيه إلـــى مثل بدر الدين لكان هو الحاكم الذي ينبغي أن يتولاه، دون من هو مشهور بالفجور.

لكن هذه المحاضر التي عندهم ما تساوى مدادها، وهم يعرفون كذبها وبطلانها، وأنا لا أكره المحاقه عليها عنده ليثبت عنده الحق دون الباطل، فإن كان يجيب إلى ذلك

فـيا حبذا لكني أخاف أن يحصل له أذى في بالقدح في بعض الناس. فهو يستخير الله فيما يفعله والله يخير له في جميع الأمور.

بـل أختار أنا وغيري المحاقة على ذلك عند بعض نوابه كالقاضي جمال الدين الزرعـي، فإنه من عدول القضاة وإلا فبدر الدين أجل قدرا من أن يكلف ذلك لو كنت محـتاجا إلـى ذلـك. فأما والأمر ظهر عند الخاصة والعامة فلا يحتاج إليه كما قلت للطيبرسي: الكتاب من السلطان الذي كتب على لسان السلطان، وأخبر عن ذلك بجميع مـا أخبـر من الكذب ومخالفة الشريعة أمور عظيمة بنحو عشرة أوجه والكتاب الذي كـتب على لسان غازان كان أقرب إلى الشريعة من هذا الكتاب الذي كتب على لسان السـلطان. وسواء بأن فعل ذلك أو لم يفعله فإني أعتقد وأدين الله بأن نصره ومعاونته علـى البـر والتقوى، وعلى نفوذ صدقه وعدله، دون كذب الغير وظلمه، وعلى رفع قدره على الغير من أعظم الواجبات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقـد أرسـل إلـي الشيخ نصر يعرض علي إن كنت أختار إحضار المحاضر لأتمكـن من القدح فيها. فقلت له في الجواب: هي أحقر وأقل من أن يحتاج دفعها إلى حضـورها، فإنـي قـد بينت بضعة وعشرين وجها أن هذا الحاكم خارج عن شريعة الإسلام بإجماع المسلمين. أهل المذاهب الأربعة وغيرهم.

فصـل. وما ينبغي أن تعلمه أن القوم مستضعفون عن المحاقة إلى الغاية - ابن مخلـوف وغيـره - وقـد أداروا الـرأي بيـنهم وعلموا أنهم عند المحاقة مقهورون متهوكون.

والطيبرسـي طلب مني غير مرة ترك المحاقة، فقلت له: أنا ما بغيت على أحد ولا قلت لأحد: وافقني على اعتقادي، وإلا فعلت بك، ولا أكرهت أحدا بقول ولا عمل، بـل ما كتبت في ذلك شيئا قط إلا أن يكون جواب استفتاء بعد إلحاح السائل واحتراقه، وكثرة مراجعته، ولا عادتي مخاطبة في هذا ابتداء.

وهـؤلاء هـم الذين دعوا الناس إلى ما دعوهم إليه، وأكرهوهم عليه، فيبينون للـناس ما الذي أمروهم به، وما الذي نهوهم عنه. فإن كانوا أمروهم بما أمرهم الله به ورسـوله، فالسمع والطاعة لله ولرسوله ولمن أمر بما أمر الله به ورسوله. وإن كانوا

أمـــروا بحـــق وباطـــل، ونهـــوا عن حق وباطل، وأمروا ونهوا عن أمور لا يعرفون حقيقـــتها، كانوا بذلك من الجاهلين الظالمين، وكان الحاكم بذلك من القاضيين الذين في النار، ولم تجز طاعتهم في ذلك بل تحرم.

وأنا لو شئت المحاقة كانت أمور عظيمة، لكن من أنكر شيئا مما قلته فليقل إني أنكـــر كـــذا وكذا ويكتب خطه بما أنكره، ويوجه إنكاره له، وأنا أكتب خطي بالجواب ويعـــرض الكلامان على جميع علماء المسلمين، شرقا وغربا، وأنا قائل ذلك. وقد قلت قبل ذلـــك بدمشق: هذه الإنكارات المجملة لا تفيد شيئا بل من أنكر شيئا فليكتب خطه بما أنكره وبحجـــته، وأنـــا أكـــتب خطـــي بجواب ذلك، ويرى أهل العلم والإيمان الكلامين فهذا هو الطريق في الأمور العامة.

وأمـــا الألفاظ التي لا تكتب فيكثر فيها التخليط والزيادة والنقصان، كما قد وقع، وقد قلـــت فـــيما قلـــته للطيبرسي: هذا الأمر الذي عملتموه فساد في ملتكم ودولتكم وشريعتكم، والكـــتاب الســـلطاني الذي كتب على لسان السلطان فيه من الكذب عليكم ومخالفة الشريعة أمور كثيرة تزيد على عشرة أوجه.

وكـــتاب غازان الذي قرئ على منبر الشام أقرب إلى شريعة الإسلام من هذا الذي كـــتب على لسان سلطان المسلمين، وقرئ على منابر الإسلام. فإذا كان بحضورهم يكتب علـــى الكذب عليكم وعلى القضاة ويبدل دين الإسلام فكيف فيما سوى ذلك مما غاب عنكم؟ وكـــذلك أرســـلت مـــع الفتاح إلى نائب السلطان أقول هذا الاعتقاد عندكم وهو الذي بحثه علماء الشام فمن كان منكر منه شيئا فليبينه.

ومما يجب أن يعلم أن الذي يريد أن ينكر على الناس ليس له أن ينكر إلا بحجة وبـــيان، إذ ليس لأحد أن يلزم أحدا بشيء، ولا يحظر على أحد شيئا بلا حجة خاصة، إلا رســـول الله ﷺ المبلغ عن الله. الذي أوجب على الخلق طاعته فيما أدركته عقولهم، ومـــا لـــم تدركـــه، وخبـــره مصدق فيما علمناه، وما لم نعلمه، وأما غيره إذا قال هذا صـــواب أو خطأ، فإن لم يبين ذلك بما يجب به اتباعه، فأول درجات الإنكار أن يكون المنكـــر عالما بما ينكره، وما يقدر الناس عليه، فليس لأحد من خلق الله كائنا من كان أن يـــبطل قـــولا أو يحـــرم فعلا إلا بسلطان الحجة، وإلا كان ممن قال الله فيه: ﴿إِنَّ

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] وقال فيه: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)﴾ [غافر: ٣٥].

هـذا وأنـا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله في بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لاأتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله، وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتما بالكتاب الذي أنزله الله، وجعله هدى للناس حاكما فيما اختلفوا فيه قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٣] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد: ٢٥] وذلك أنك ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه: ﴿إِنَّ (١) ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)﴾ [النحل: ١٢٨] وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)﴾ [آل عمران: ١٢٠] وإن أرادوا أن ينكروا بما شاؤا من حجج عقلية أو سمعية فأنا أجيبهم إلى ذلك كله وأبينه بيانا يفهمه الخاص والعام أن الذي أقوله هو الموافق لضرورة العقل والفطرة، وأنه الموافق للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وأن المخالف لذلك هو المخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول، فلو كنت أنا المبتدىء بالإنكار والتحديث بمثل هذا لكانت الحجة متوجهة عليهم، فكيف إذا كان الغير هو المبتدىء بالإنكار؟ ﴿وَلَمَنِ

(١) في المطبوع: و، وهو خطأ.

ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴿٤١﴾ [الشـورى: ٤١] الآيتين: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴿١٧٣﴾ [الصـافات: ١٧١-١٧٢] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴿٥١﴾ [غافر: ٥١] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى سائر الجماعة، وتخص بدر الدين بأكرم تحية وسلام، وتوقفه على هذه الأوراق إن شئت، فإنه كان يقول في بعض الأمور: ما عن المحبوب سر محجوب، وبشر بكل ما يسر الله به عباده المؤمنين، وينتقم به من الكافرين والمنافقين، فإني أعرف جملا مما يتجرعه هو وذووه من أهل الترؤس بالباطل من ذوي الكذب والمحال.

والله ناصر دينه، وناصر عباده المؤمنين على مناويهم بالباطل لكن ليس هذا موضع الأخبار بتفاصيل سارة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مجموع الفتاوى ٣ / ٢١١ – ٢٤٧

وانظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية ص ٢٠٣

مناظرة ابن تيمية في العقيدة ومحنته في سجنه

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا عبده ورسوله تسليما.

أما بعد: فقد وصلت ورقتك التي ذكرت فيها إخبارك الشيخ باجتماع الرسول بي، وما أخبرته من الكلام، وأن الشيخ قال: أعلم أني والله قد عظم عندي كيف وقعت الصورة على هذا.إلى آخره.

وأنه قال: تجتمع بالشيخ وتتفق معه على ما يراه هو ويختاره. إن يكن كما قلت، أو غيره، فتسلم عليه، وتقول له: أما هذه القضية ليس لي فيها غرض معين أصلا، ولست فيها إلا واحدا من المسلمين لي ما لهم وعلي ما عليهم، وليس لي ولله الحمد

حاجــة إلى شيء معين يطلب من المخلوق، ولا في ضرر يطلب زواله من المخلوق، بل أنا في نعمة من الله سابغة ورحمة عظيمة أعجز عن شكرها.

ولكن علي أن أطيع الله ورسوله، وأطيع أولي الأمر إذا أمروني بطاعة الله، فإذا أمرونــي بمعصــية الله فــلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. هكذا دل عليه الكتاب والســنة واتفــق عليه أئمة الأمة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنــه قال: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله"." إنما الطاعة في المعروف". وأن أصبر علــى جور الأئمة، وأن لا أخرج عليهم في فتنة، لما في الصحيح عن ابن عباس قال قــال رســول الله ﷺ: "مــن رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعــة قــيد شــبر فمات فميتته جاهلية ".ومأمور أيضا مع ذلك أن أقول أو أقوم بالحــق حــيث مــا كنت، لا أخاف في الله لومة لائم، كما أخرجا في الصحيحين عن عــبادة بــن الصامت قال: "بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في يسرنا وعسرنا، ومنشــطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول أو نقوم بالحق حــيث مــا كنا لا نخاف في الله لومة لائم". فبايعهم على هذه الأصول الثلاثة الجامعة وهــي الطاعة في طاعة الله، وإن كان الأمر ظالما، وترك منازعة الأمر أهله، والقيام بالحق بلا مخافة من الخلق.

والله ســبحانه قد أمر في كتابه عند تنازع الأمة بالرد إلى الله ورسوله، لم يأمر عــند التــنازع إلى شيء معين أصلا. وقد قال الأئمة: إن أولي الأمر صنفان: العلماء والأمــراء، وهذا يدخل فيه مشائخ الدين وملوك المسلمين. كل منهم يطاع فيما إليه من الأمــر، كما يطاع هؤلاء بما يؤمرون به من العبادات، ويرجع إليهم في معاني القرآن والحــديث والأخــبار عن الله، وكما يطاع هؤلاء في الجهاد، وإقامة الحد، وغير ذلك، مما يباشرونه من الأفعال التي أمرهم الله بها.

وإذا اتفــق هؤلاء على أمر فإجماعهم حجة قاطعة، فإن أمة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة، وإن تنازعوا فالمرد إلى الكتاب والسنة.

وهذه القضية قد جرى فيها ما جرى مما ليس هذا موضع ذكره. وكنت تبلغني. بخطابك وكتابك عن الشيخ ما تبلغني، وقد رأيت وسمعت موافقتي على كل ما فيه طاعة الله ورسوله، وعدم التفاتي إلى المطالبة بحظوظي، أو مقابلة من يؤذيني، وتيقنت هذا مني، فما الذي يطلب من المسلم فوق هذا!وأشرت بترك المخافة ولين الجانب، وأنا مجيب إلى هذا كله.

فجاء الفتاح أولا فقال: يسلم عليك النائب. وقال: إلى متى يكون المقام في الحبس ؟أما تخرج؟ هل أنت مقيم على تلك الكلمة أم لا؟ وعلمت أن الفتاح ليس في استقلاله بالرسالة مصلحة لأمور لا تخفى فقلت له: سلم على النائب وقل له أنا ما أدري ما هذه الكلمة؟ وإلى الساعة لم أدر على أي شيء حبست، ولا علمت ذنبي، وأن جواب هذه الرسالة لا يكون مع خدمتك، بل يرسل من ثقاته الذين يفهمون ويصدقون أربعة أمراء، ليكون الكلام معهم مضبوطا عن الزيادة والنقصان.فأنا قد علمت ما وقع في هذه القصة من الأكاذيب.

فجاء بعد ذلك الفتاح ومعه شخص ما عرفته، لكن ذكر لي أنه يقال له علاء الدين الطيبرسي، ورأيت الذين عرفوه أثنوا عليه بعد ذلك خيرا، وذكروه بالحسنى، لكنه لم يقل ابتداء من الكلام ما يحتمل الجواب بالحسنى!فلم يقل الكلمة التي أنكرت: كيت وكيت!ولا استفهم هل أنت مجيب إلى كيت وكيت ؟ ولو قال ما قال من الكذب علي والكفر والمجادلة على الوجه الذي يقتضي الجواب بالحسنى لفعلت ذلك، فإن الناس يعلمون أني من أطول الناس روحا، وصبرا على مر الكلام، وأعظم الناس عدلا في المخاطبة لأقل الناس، دع لولاة الأمور.

لكنه جاء مجيء المكره على أن أوافق إلى ما دعا إليه، وأخرج درجا فيه من الكذب والظلم، والدعاء إلى معصية الله، والنهي عن طاعته ما الله به عليم، وجعلت كلما أردت أن أجيبه وأحمله رسالة يبلغها لا يريد أن يسمع شيئا من ذلك ويبلغه، بل لا يريد إلا ما مضمونه الإقرار بما ذكر والتزام عدم العود إليه.

والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فمتى ظلم المخاطب لم نكن مأمورين أن نجيبه بالتي

هـي أحسن، بل قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعروة بن مسعود بحضرة النبي ﷺ لمـا قال: " إني لأرى أوباشا من الناس خليقا أن يفروا، ويدعوك امصص[1] بضر اللات". أنحن نفر عنه وندعه ؟

ومعلـوم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من كانوا.وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمـران: ١٣٩] فمن كان مؤمنا فهو الأعلى كائنا من كان. ومن حاد الله ورسوله فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾وأنـا أو غيـري من أي القسمين كنت فإن الله يعاملني وغيري بما وعده، فإن قوله الحق: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم: ٦] فقلت له في ضمن الكلام الحق في هذه القصة ليس لي، ولكن لله ولرسوله ولسائر المؤمنين من شـرق الأرض إلـى غـربها. وأنا لا أعني تبديل الدين وتغييره وليس لأجلك أو أجل غيـرك أرتـد عـن دين الإسلام، وأقر بالكفر والكذب والبهتان. راجعا عنه أو موافقا عليه.

ولما رأيته يلح في الأمر بذلك أغلظت عليه في الكلام وقلت دع هذا الفشار.وقم رح فـي شـغلك.فأنا ما طلبت منكم أن تخرجوني، وكانوا قد أغلقوا الباب القائم الذي يدخل منه إلى الباب المطبق، فقلت أنا: افتحوا لي الباب حتى أنزل، يعني فرغ الكلام.

وجعـل غير مرة يقول لي: أتخالف المذاهب الأربعة؟ فقلت: أنا ما قلت إلا ما يوافق المذاهب الأربعة.ولم يحكم علي أحد من الحكام إلا ابن مخلوف وأنت كنت ذلك اليوم حاضرا.

وقلـت له: أنت وحدك تحكم!أو أنت وهؤلاء؟ فقال: بل أنا وحدي.فقلت له: أنت خصمي. فكيف تحكم علي؟ فقال: كذا، ومد صوته، وانزوى إلى الزاوية.وقال: قم قم، فأقامونـي، وأمـروا بي إلى الحبس، ثم جعلت أقول: أنا وإخوتي غير مرة: أنا أرجع وأجيب، وإن كنت أنت الحاكم وحدك.فلم يقبل ذلك مني.

---

(١) كذا في المطبوع، والصواب: بظر.

فلما ذهبوا بي إلى الحبس حكم بما حكم به، وأثبت ما أثبت، وأمر في الكتاب السلطاني بما أمر به، فهل يقول أحد من اليهود أو النصارى -دع المسلمين- أن هذا حبس بالشرع، فضلا عن أن يقال شرع محمد بن عبدالله. وهذا مما يعلم الصبيان الصغار بالاضطرار من دين الإسلام أنه مخالف لشرع محمد بن عبدالله.

وهذا الحاكم هو وذووه دائما يقولون فعلنا ما فعلنا بشرع محمد بن عبدالله. وهذا الحكم مخالفا[1] لشرع الله الذي أجمع المسلمون عليه من أكثر من عشرين وجها.

ثم النصارى في حبس حسن يشركون فيه بالله، ويتخذون فيه الكنائس، فياليت حبسنا كان من جنس حبس النصارى، ويا ليتنا سوينا بالمشركين وعباد الأوثان، بل لأولئك الكرامة ولنا الهوان. فهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر إن رسول الله أمر بهذا؟

وبأي ذنب حبس إخوتي في دين الإسلام غير الكذب والبهتان، ومن قال إن ذلك فعل بالشرع فقد كفر بإجماع المسلمين.

وقلت له في ضمن الكلام: أنت لو ادعى عليك رجل بعشرة دراهم، وأنت حاضر في البلد غير ممتنع من حضور مجلس الحاكم لم يكن للحاكم أن يحكم عليك في غيبتك، هذا في الحقوق فكيف بالعقوبات التي يحرم فيها ذلك بإجماع المسلمين.

ثم هذا الرجل قد ظهر كذبه غير مرة. ذلك اليوم كذب علي في أكثر ما قاله، وهذه الورقة التي أمر بكتابتها أكثرها كذب، والكتاب السلطاني الذي كتب بأمره مخالف للشريعة من نحو عشرة أوجه، وفيه من الكذب على المجلس الذي عقد أمور عظيمة قد علمها الخاص والعام.فإذا كان الكتاب الذي كتب على لسان السلطان، وقرىء على منابر الإسلام أخبر فيه عن أهل المجلس، من الأمراء والقضاة بما هو من أظهر الكذب والبهتان، فكيف فيما غاب عنهم.

قلت وهو دائما يقول عني: أني أقول إن الله في زاوية ولد ولدا، وهذا كله كذب.وشهرته بالكذب والفجور يعلمه الخاص والعام.فهل يصلح مثل هذا أن يحكم في

---

(١) كذا في المطبوع، والصواب: مخالف.

أصـــول الـــدين ومعانــــي الكتاب والسنة وهو لا يعرف ذلك؟! ورأيته هنا يتبسم تبسم العارف بصحة ما قلته فكأن سيرة هذا الحاكم مشهورة بالشر بين المسلمين.

وأخــذ يقــول لي: هذه المحاضر ووجدوا بخطك، فقلت: أنت كنت حاضرا ذلك الــيوم. هل أراني أحد ذلك اليوم خطأ أو محضرا؟ أو قيل لي شهد عليك بكذا، أو سمع لـــي كلام، بل حين شرعت أحمد الله وأثني عليه لقول النبي ﷺ: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم". منعوني من حمد الله. وقالوا: لا تحمد الله، بل أجب.

فقلــت لابن مخلوف: ألك أجيب، أو لهذا المدعي؟ وكان كل منهما قد ذكر كلاما أكثــره كـــذب.فقال: أجب المدعي. فقلت: فأنت وحدك تحكم، أو أنت وهؤلاء القضاة، فقـــال: بـــل أنـــا وحدي.فقلت: فأنت خصمي فكيف يصح حكمك علي ؟فلم تطلب مني الإستفســـار عـــن وجه المخاصمة، فإن هذا كان خصما من جوه متعددة معروفة عند جميع المسلمين. ثم قلت: أما ما كان بخطي فأنا مقم[1]عليه.

وأما المحاضر فالشهود فيها فيهم من الأمور القادحة في شهادتهم وجوه متعددة تمـــنع قـــبول شهادتهم بإجماع المسلمين، والذي شهدوا به فقد علم المسلمون خاصتهم وعامتهم بالشام وغيره ضد ما شهدوا به.

وهـــذا القاضــــي شـــرف الدين ابن المقدسي قد سمع منه الناس العدول أنه كان يقـــول: أنا على عقيدة فلان حتى قبل موته بثلاث دخلت عليه فيما يرى مع طائفة فقال قـــدامهم: أنـــا أمـــوت على عقيدتك يا فلان، لست على عقيدة هؤلاء، يعني الخصوم، وكذلك القاضي شهاب الدين الخولي غير مرة يقول في قفاك أنا على عقيدته.

والقاضي إمام الدين قد شهد على العدول أنه قال ما ظهر في كلامه شيء ومن تكلـــم فـــيه عزرته.وقال لي في أثناء كلامه: فقد قال بعض القضاة: إنهم أنزلوك عن الكرسي فقلت هذا من أظهر الكذب الذي يعلمه جميع الناس ما أنزلت من الكرسي قط ولا استتابني أحد قط عن شيء ولا استرجعني.

وقلت قد وصل إليكم المحضر الذي فيه خطوط مشائخ الشام، وسادات الإسلام، والكتاب الذي فيه كلام الحكام، الذين هم خصومي كجمال الدين المالكي، وجلال الدين

---

(١) كذا في المطبوع، ولعلها: مقيم.

الحنفـي، ومـا ذكـروا فيه مما يناقض هذه المحاضر.وقول المالكي ما بلغني قط أنه استتيب، ولا مـنع من فتيا، ولا أنزل ولا كذا ولا كذا.ولا ثبت عليه عندي قط شيء يقدح في دينه، وكذلك قول سائر العلماء والحكام في غيبتي.

وأمـا الشـهادات ففيها أمور عظيمة فتدبروها فكيف وشهود المحضر فيهم من موانع الشهادة أمور تقال عند الحاجة!

فصـل معتـرض.ذكـرت في ورقتك أنك قلت للشيخ: في نفسي أن تطلب لي المحاضـر حتى ينظر هو فيها. فإن كان له دافع وإلا فالجماعة كلهم معذورون، وهذا ممـا لا حاجـة إلـيه أصلا، وهذه المحاضر أقل وأحقر من أن يحتاج الرد عليها إلى حضرتها، فإني قد بينت ببضع وعشرين وجها أن هذا الحكم خارج عن شريعة الإسلام بإجماع المسلمين، المذاهب الأربعة وسائر أئمة الدين.

وقلـت للرسـول: ما لابن مخلوف ونحوه في أن يتعرض إلى علم الدين الذي غيـره أعلم به منه، مثل تفسير القرآن، وأحاديث النبي ﷺ، ومقالات السلف، وأصول الـدين التي لا يعرفها، وهذه الأمور إنما يرجع فيها إلى من يعرفها، فإن كان السلطان أو نائبه الحاكم يعرفها كان في ذلك كسائر العارفين بها، وإلا فلا أمر لهم فيها، كما لا يراجع في الاستفتاء إلا من يحسن الفتيا.

وقلـت له: أنا لم يصدر مني قط إلا جواب مسائل، وإفتاء مستفت، ما كاتبت أحدا أبدا ولا خاطبته في شيء من هذا، بل يجيئني الرجل المسترشد المستفتي بما أنزل الله علـى رسوله، فيسألني مع بعده، وهو محترق على طلب الهدى أفيسعني في ديني أن أكتمه العلم؟ وقد قال النبي ﷺ: "من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجـام من نار". وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩] أفعلـى أمرك أمتنع عن جواب المسترشد لأكون كذلك ؟وهل يأمرني بهذا السلطان أو غيـره مـن المسـلمين ؟ولكن أنتم ما كان مقصودكم إلا دفع أمر الملك لما بلغكم من الأكاذيـب، فقـال: يا مولانا دع أمر الملك.أحد ما يتكلم في الملك.فقلت: إيه الساعة ما

بقي أحد يتكلم في الملك ؟وهل قامت هذه الفتنة إلا لأجل ذلك؟ ونحن سمعنا بهذا ونحن بالشام أن المثير لها تهمة الملك، لكن ما اعتقدنا أن أحدا يصدق هذا.

وذكرت له أن هذه القصة ليس ضررها علي، فإني أنا من أي شيء أخاف ؟إن قتلت كنت من أفضل الشهداء، وكان ذلك سعادة في حقي، يترضى بها علي إلى يوم القيامة، ويلعن الساعي في ذلك إلى يوم القيامة، فإن جميع أمة محمد يعلمون أني أقتل على الحق الذي بعث الله به رسوله. وإن حبست فوالله إن حبسي لمن أعظم نعم الله علي، وليس لي ما أخاف الناس عليه، لا مدرسة، ولا إقطاع، ولا مال، ولا رئاسة، ولا شيء من الأشياء.

ولكن هذه القصة ضررها يعود عليكم، فإن الذين سعوا فيها من الشام أنا أعلم أن قصدهم فيها كيدكم، وفساد ملتكم ودولتكم وقد ذهب بعضهم إلى بلاد التتر، وبعضهم مقيم هناك. فهم الذين قصدوا فساد دينكم ودنياكم وجعلوني إماما بالتستر، لعلمهم بأني أواليكم، وأنصح لكم، وأريد لكم خير الدنيا والآخرة.والقضية لها أسرار كلما جاءت تنكشف. وإلا فأنا لم يكن بيني وبين أحد بمصر عداوة ولا بغض، وما زلت محبا لهم، مواليهم: أمرائهم، ومشائخهم، وقضاتهم.

فقال: لي فما الذي أقوله لنائب السلطان؟ فقلت: سلم عليه وبلغه كل ما سمعت، فقال: هذا كثير.

فقلت: ملخصه أن الذي في هذا الدرج أكثره كذب.وأما هذه الكلمة استوى حقيقة، فهذه قد ذكر غير واحد من علماء الطوائف -المالكية وغير المالكية -أنه أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وما أنكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا أئمتها. بل ما علمت عالما أنكر ذلك.فكيف أترك ما أجمع عليه أهل السنة، ولم ينكره أحد من العلماء.

وأشرت بذلك إلى أمور: منها ما ذكره الإمام أبو عمر الطلمنكي، وهو أحد أئمة المالكية قبل الباجي، وابن عبدالبر، وهذه الطبقة. قال: وأجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء.

وقال أيضا قال أهل السنة في قول الله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] إن الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز.

وقال أبو عبدالله القرطبي صاحب التفسير المشهور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] قال: هذه مسألة الاستواء للعلماء فيها كلام وأجزاء، وقد بينا أقوال العلماء فيها في كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وذكرنا فيها أربعة عشر قولا، إلى أن قال: وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى. كما نطق به كتابه، وأخبرت رسله.قال: ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته.كما قال مالك الاستواء معلوم، يعني في اللغة، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة.وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها.

وقال هذا الشيخ المشهور بمصر وغيرها في كتاب شرح الاسماء، قال: وذكر الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني الذي له الرسالة التي سماها: برسالة الاسماء إلى مسألة الاستواء، لما ذكر اختلاف المتأخرين في الاستواء قول الطبري يعني أبا جعفر صاحب التفسير الكبير، وأبي محمد بن أبي زيد، والقاضي عبدالوهاب، وجماعة من شيوخ الحديث والفقه.

قال: وهو ظاهر بعض كتب القاضي أبي بكر وأبي الحسن يعني الأشعري، وحكاه عنه يعني القاضي أبا بكر القاضي عبدالوهاب أيضا، وهو أنه سبحانه مستو على العرش بذاته. وأطلقوا في بعض الاماكن فوق عرشه. قال الإمام أبو بكر: وهو الصحيح الذي أقول به، من غير تحديد، ولا تمكن في مكان، ولا كون فيه، ولا مماسة.

قال الشيخ أبو عبدالله: هذا قول القاضي أبي بكر في كتاب تمهيد الأوائل له، وقاله الأستاذ أبو بكر بن فورك في شرح أوائل الأدلة له، وهو قول أبي عمر بن عبدالبر والطلمنكي، وغيرهما من الأندلسيين، وقول الخطابي في شعار الدين، ثم قال بعد أن حكى أربعة عشر قولا: وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآي والأخبار،

والفضلاء الأخيار: أن الله على عرشه كما أخبر في كتابه، وعلى لسان نبيه، بلا كيف، بائن من جميع خلقه. هذا مذهب السلف الصالح فيما نقله عنهم الثقات.هذا كله لفظه.

وقال الشيخ أبو نصر السجزي في كتاب الإبانة له: وأئمتنا كسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وعبدالله بن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وإسحق بن راهوية، متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالابصار فوق العرش، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء.

وقال أبو عمر بن عبدالبر في كتاب التمهيد في شرح الموطأ وهو أجل ما صنف فيه فنه، لما تكلم على حديث النزول، قال: هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو حديث منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي ﷺ.

وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة. وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم إن الله بكل مكان وليس على العرش. قال في الدليل على صحة ما قاله أهل الحق قول الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وذكر آيات.

إلى أن قال: وهذا أشهر عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا خالفهم فيه مسلم، وبسط الكلام في ذلك.

إلى أن قال: وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] فلا حجة لهم في ظاهر الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حمل

عـــنهم الـــتأويل قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.

وذكر عن الضحاك بن زاحم أنه قال في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ قـــال: هو على عرشه، وعلمه معهم أينما كانوا وعن سفيان الثوري مثل ذلك.وعن ابن مسعود قال: الله فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

قـــال أبـــو عمر بن عبدالبر: أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكـــيفون شـــيئا مـــن ذلـــك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتـــزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن مـــن أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيها ما قال القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة.

وقـــال أبـــو عمر: الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها: الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه.

وقال الشيخ العارف أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح الكيلاني في كتاب الغنية لـــه: أمـــا معـــرفة الصانع بالآيات والدلالات –على وجه الاختصار –فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد واحد.إلى أن قال: وهو بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملـــك، محيط علمه بالأشياء.قال: ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال إنه في السماء على العرش. كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥] وذكر الآيات والأحاديـــث، إلـــى أن قال: وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الـــذات علـــى العـــرش. قال: وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل، بلا كيف، وذكر كلاما طويلا.

وقـــال الإمام أبو الحسن الكرخي الشافعي في مقدمته المشهورة في اعتقاد أهل السنة وهي منقولة من خط الشيخ أبي عمرو بن الصلاح:

عقيدتهم أن الإله بذاتـــــــــه ... على عرشه مع علمه بالغوائب

وهــذه الآثارلم أذكرها كلها للرسول، لكن هي مما أشرت إليه بقولي إني لم أقل شيئا من نفسي، وإنما قلت ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وهذا الموضـع يضيق بما فــي ذلك من كلام الأمة، فقال لي: نعم هو مستو على العرش حقيقة بذاته، بلا تكييف ولا تشبيه، قلت: نعم.وهذا هو في العقيدة.فقال: فاكتب هذه الساعة أو قال اكتب هذا أو نحــو هذا، فقلت: هذا هو مكتوب بهذا اللفظ في العقيدة التي عندكم التي بحثت بدمشق واتفق عليها المسلمون فأي شيء هو الذي أريده ؟

وقلــت لــه: أنــا قــد أحضرت أكثر من خمسين كتابا من كتب أهل الحديث، والتصــوف، والمتكلمــين، والفقهاء الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، وتوافــق مــا قلت.وقلت: أنا أمهل من خالفني ثلاث سنين أن يجيء بحرف واحد عن أئمة الإسلام يخالف ما قلته فما الذي أصنعه؟

فلمــا خــرج الطيبرسي والفتاح، عاد الفتاح بعد ساعة، فقال: يسلم عليك نائب الســلطان، وقال: فاكتب لنا الآن عقيدة بخطك.فقلت: سلم على نائب السلطان. وقل له: لو كتبت الساعة شيئا لقال القائل: قد زاد ونقص، أو غير الاعتقاد، وهكذا بدمشق لما طلبوا الاعتقاد لم أتهم إلا بشيء قد كتب متقدما.

قلت: وهذا الاعتقاد هو الذي قرىء بالشام في المجالس الثلاثة، وقد أرسله إليكم نائبكم مع البريد، والجميع عندكم، ثم أرسل لكم مع العمري ثانيا لما جاء الكتاب الثاني مــا قالــه القضاة، والعلماء، والمحضر، وكتاب البخاري الذي قرأه المزي، والاعتقاد ليس هو شيئا أبتدئه من عندي حتى يكون كل يوم لي اعتقاد، وهو ذلك الاعتقاد بعينه، والنسخة بعينها.فانظروا فيها، فراح.

ثــم عاد، وطلب أن أكتب بخطي أي شيء كان.فقلت فما: الذي أكتبه؟ قال: مثل العفــو، وإلا تتعرض لأحد. فقلت: نعم هذا أنا مجيب إليه، ليس غرضي في إيذاء أحد، ولا الانــتقام مــنه، ولا مــؤاخذته. وأنا عاف عمن ظلمني. وأردت أن أكتب هذا، ثم قلت: مثل هذا ما جرت العادة بكتابته، فإن عفو الإنسان عن حقه لا يحتاج إلى هذا.

وتعلــم أن الأمر لما جرى على هذا الوجه كاد بعض القلوب يتغير على الشيخ، وظــنوا أن هذا الدرج قد أقر به، وأن ذلك يناقض ما كان يقوله ويرسل به.فجعلت أنا

وأخـــي ندفع ذلك، ونقول: هذا من فعل ابن مخلوف، وقد تحققت أنا أن ذلك من عمل ابن مخلوف.

ويعرف الشيخ أن مثل هذه القضية التي قد اشتهرت وانتشرت لا تندفع على هذا الوجه، فأنا أبذل غاية ما وسعني من الإحسان، وترك الانتقام، وتأليف القلوب، لكن هو يعرف خلقا كثيرا ممن بالديار المصرية، وأن الإنسان لا ينجو من شرهم وظلمهم، إلا بأخذ طريقين: أحدهما مستقر، والآخر متقلب.

الأول: أن يكـــون لـــه من الله تأييد وسلطان، والتجاء إليه، واستعانة به، وتوكل علـــيه، واستغفار له، وطاعة له، يدفع به عنه شر شياطين الإنس والجن وهذه الطريقة هي الثابتة الباقية.

والطـــريق الثانـــي: إن جـــاء من ذي جاه، فإنهم يراعون ذا الجاه ما دام جاهه قائمـــا!فـــإذا انقلـــب جاهه كانوا من أعظم الناس قياما عليه هم بأعيانهم، حتى أنهم قد يضـــربون القاضي بالمقارع ونحو ذلك مما لا يكاد يعرف لغيرهم، أعداءه ومبغضون كثيرون، وقد دخل في إثباتات وأملاك وغير ذلك، متعلقة بالدولة وغير الدولة.

فلـــو حصل من ذوي الجاه من له غرض في نقض أحكامه، ونقل الأملاك كان ذلك من أيسر الأمور عليه، أما أن يكتب ردته، وأحكام المرتد لا تنفذ، لأنه قد علم منه الخاص والعام، أنه جعل ما فعل في هذه القضية شرع محمد بن عبدالله، والإنسان متى حلـــل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه، كـــان كافـــرا مرتدا باتفاق الفقهاء.وفي مثل هذا نزل قوله على أحد القولين: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤] أي هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله.

ولفظ الشرع يقال في عرف الناس على ثلاثة معان:

الشـــرع المنـــزل: وهـــو ما جاء به الرسول ﷺ وهذا يجب اتباعه، ومن خالفه وجبت عقوبته.

والثانــي: الشــرع المــؤول: وهو آراء العلماء المجتهدين فيها كمذهب مالك، ونحوه. فهذا يسوغ اتباعه، ولا يجب، ولا يحرم، وليس لأحد أن يلزم عموم الناس به، ولا يمنع عموم الناس منه.

والثالث: الشرع المبدل: وهو الكذب على الله ورسوله، أو على الناس بشهادات الــزور ونحــوها، والظلم البين، فمن قال إن هذا من شرع الله فقد كفر بلا نزاع.كمن قال: إن الدم والميتة حلال. ولو قال هذا مذهبي ونحو ذلك.

فلــو كان الذي حكم به ابن مخلوف هو مذهب مالك أو الأشعري، لم يكن له أن يلزم جميع الناس به، ويعاقب من لم يوافقه عليه باتفاق الأمة، فكيف والقول الذي يقوله ويلــزم بــه هــو خــلاف نص مالك، وأئمة أصحابه، وخلاف نص الأشعري وأئمة أصــحابه، كالقاضي أبي بكر، وأبي الحسن الطبري، وأبي بكر بن فورك، وأبي القاسم القشــيري، وأبي بكر البيهقي؟ وغير هؤلاء كلهم مصرحون بمثل ما قلناه، وبنقيض ما قاله.

ولهذا اصطلحت الحنبلية والأشعرية، واتفق الناس كلهم، ولما رأى الحنبلية كلام أبي الحسن الأشعري قالوا: هذا خير من كلام الشيخ الموفق، وزال ما كان في القلوب مــن الأضغان، وصار الفقهاء من الشافعية وغيرهم يقولون: الحمد لله على اتفاق كلمة المسلمين.

ثــم لو فرض أن هذا الذي حكم فيه مما يسوغ فيه الاجتهاد لم يكن له أن ينقض حكــم غيــره، فكيف إذا نقض حكم حكام الشام جميعهم بلا شبهة؟ بل بما يخالف دين المسلمين بإجماع المسلمين، ولو زعم زاعم أن حكام الشام مكرهون، ففيهم من يصرح بعــدم الإكراه غير واحد، وهؤلاء بمصر كانوا أظهر إكراها لما اشتهر عند الناس أنه فعل ذلك لأجل غرض الدولة المتعلق بالملك، وأنه لولا ذلك لتكلم الحكام بأشياء، وهذا ثابت عن حكام مصر.

فكــيف وهــذا الحكم الذي حكم به مخالف لشريعة الإسلام من بضعة وعشرين وجها؟ وعامتها بإجماع المسلمين والوجوه مكتوبة مع الشرف محمد فينبغي أن يعرف الشيخ نصر بحقيقة الأمر، وباطن القضية ليطبها بتدبيره.

فأنـــا ليس مرادي إلا في طاعة الله ورسوله، وما يخاف على المصريين إلا من بعضـــهم فـــي بعض، كما جرت به العادة. وقد سمعتم ما جرى بدمشق-مع أن أولئك أقرب إلى الاتفاق- من تجديد القاضي المذكور إسلامه عند القاضي الآخر.

وأنـــا لما كنت هناك كان هذا الإذن يحيى الحنفي، فذهب إلى القاضي تقي الدين الحنبلي وجدد إسلامه، وحكم بحقن دمه، لما قام عليه بعض أصحابهم في أشياء.

وكان من مدة لما كان القاضي حسام الدين الحنفي مباشرا لقضاء الشام، أراد أن يحلـــق لحية هذا الأذرعي، وأحضر الموسى، والحمار ليركبه ويطوف، به فجاء أخوه عرفنـــي ذلـــك، فقمت إليه، ولم أزل به حتى كف عن ذلك. وجرت أمور لم أزل فيها محسنا إليهم.

وهـــذه الأمور ليست من فعلي، ولا فعل أمثالي، نحن إنما ندخل فيما يحبه الله ورسوله والمؤمنون، ليس لنا غرض مع أحد، بل نجزي بالسيئة الحسنة ونعفو ونغفر. وهذه القضية قد انتشرت، وظهر ما فعل فيها، وعلمه الخاص والعام.

فلو تغيرت الأحوال حتى جاء أمير أو وزير له في نقل ملك قد أثبته أو حكم به، لكـــان هذا عند المصريين من أسهل ما يكون. فيثبتون ردته، والمرتد أحكامه مردودة باتفـــاق العلمـــاء، ويعـــود ضرره على الذين أعانوه ونصروه بالباطل من أهل الدولة وغيرهم. وهذا أمر كبير لا ينبغي إهماله فالشيخ خبير يعرف عواقب الأمور.

وأنـــا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها، وإقامة كـــل خير. وابن مخلوف لو عمل مهما عمل، والله ما أقدر على خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط.ولا حول ولا قوة إلا بالله هذه نيتي وعزمي، مع علمي بجميع الأمـــور.فإنـــي أعلـــم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عونا للشيطان على إخواني المسلمين.ولو كنت خارجا لكنت أعلم بماذا أعاونه، لكن هذه مسألة قد فعلوها زورا، والله يختار للمسلمين جميعهم ما فيه الخيرة في دينهم ودنياهم ولن ينقطع الدور، وتزول الحيرة، إلا بالإنابة إلى الله، والاستغفار، والتوبة، وصدق الالتجاء، فإنه سبحانه لا ملجأ منه إلا إليه. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأمـــا مـــا ذكرت عن الشيخ نصر أنه قال: كنت أوثر أن لا يحسوا به إلا وقد خـــرج خشية أن يعلم فلان وفلان فيطلعوا ويتكلموا. فتكثر الغوغاء والكلام افعرفه أن كـــل من قال حقا، فأنا أحق من سمع الحق والتزمه وقبله سواء كان حلوا أو مرا، وأنا أحق أن يتوب من ذنوبه التي صدرت منه، بل وأحق بالعقوبة إذا كنت أضل المسلمين عن دينهم.

وقد قلت فيما مضى: ما ينبغي لأحد أن يحمله تحننه لشخص، وموالاته له على أن يتعصب معه بالباطل، أو يعطل لأجله حدود الله تعالى، بل قد قال النبي ﷺ: "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره".

وهـــذا الذي يخافه من قيام العدو ونحوه في المحضر الذي قدم به من الشام إلى ابن مخلوف، فيما يتعلق بالاستغاثة بالنبي ﷺ إن أظهروه وكان وباله عليهم، ودل على أنهم مشركون لا يفرقون بين دين المسلمين ودين النصارى.

فـــإن المسلمين متفقون على ما علموه بالاضطرار من دين الإسلام أن العبد لا يجـــوز له أن يعبد، ولا يدعو، ولا يستغيث، ولا يتوكل إلا على الله، وأن من عبد ملكا مقـــربا، أو نبـــيا مرســـلا، أو دعاه أو استغاث به فهو مشرك.فلا يجوز عند أحد من المســـلمين أن يقول القائل: يا جبرائيل!أو يا ميكائيل! أو يا إبراهيم! أو يا موسى!أو يا رسول الله! اغفر لي، أو ارحمني، أو ارزقني، أو انصرني، أو أغثني، أو أجرني من عدوي، أو نحو ذلك، بل هذا كله من خصائص الإلهية.

وهذه مسائل شريفة معروفة قد بينها العلماء، وذكروا الفرق بين حقوق الله التي يخـــتص بها الرسل. والحقوق التي له ولرسله كما يميز سبحانه بين ذلك في مثل قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفـــتح: ٩] فالتعزيـــر والتوقيـــر للرسول، والتسبيح بكرة وأصيلا لله.

وكما قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [الـــنور: ٥٢] فالطاعـــة لله ولرســـوله، والخشـــية والـــتقوى لله وحـــده، وكما يقول المرسلونك﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح: ٣] فيجعلون العبادة والتقوى لله

وحـده، ويجعلون لهم الطاعة قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢)﴾ [الجن: ١٨-٢٢] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣)﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقـال تعالـى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣] وقـال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقـرة: ٢٥٥] وقـال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾ [الإسـراء: ٥٦-٥٧]وقـال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ [التوبة: ٣١] وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠)﴾ [آل عمـران: ٧٩-٨٠]فمن اتخذ الملائكة والنبيين أربابا فقد كفر بعد إسلامه باتفاق المسلمين.

ولأجل هذا نهى النبي ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور، وعن أن يجعل لله ندا فـي خصائص الربوبية، ففي الصحيحين عنه أنه ﷺ قال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا ".وفي الصحيح عنه أنه قال: " إن من كان

قــبلكم كانــوا يــتخذون القبور مساجد، إلا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك".وفي السنن عنه أنه قال: " لا تتخذوا قبري عيدا".

وروي عــنه أنه قال: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد". وقال له رجل: "ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله ندا؟ قل ما شاء الله وحده".

ولهــذا قــال العلماء: من زار قبر النبي ﷺ فإنه لا يستلمه ولا يقبله، ولا يشبه بــيت المخلــوق ببــيت الخالــق الذي يستلم، ويقبل منه الركن الأسود، ويستلم الركن اليماني. ولهذا اتفق العلماء على أنه لا يشرع تقبيل شيء من الأحجار ولا استلامه، إلا الركنان اليمانيان، حتى مقام إبراهيم الذي بمكة لا يقبل ولا يتمسح به، فكيف بما سواه من المقامات والمشاهد!

وأنــت لمــا ذكرت في ذلك اليوم هذا قلت لك هذا من أصول الإسلام. فإذا كان القاضــي لا يفــرق بين دين الإسلام ودين النصارى الذين يدعون المسيح وأمه فكيف أصنع أنا؟

ولكن من يتخذ نفيسة ربا، ويقول: إنها تجبر الخائف، وتغيث الملهوف، وأنا في حســبها، ويســجد لهــا، ويتضرع في دعائها مثل ما يتضرع في دعاء رب الأرض والسموات، ويتوكل على حي قد مات، ولا يتوكل على الحق الذي لا يموت، فلا ريب أن إشــراكه بمن هو أفضل منها يكون أقوى.قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ [المؤمنون: ٨٩].

وحــديث معاذ لما رجع من الشام فسجد للنبي ﷺ فقال: " ما هذا يا معاذ؟ فقال: رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم، فقال: "يا معاذ أرأيت لــو مررت بقبري أكنت ساجدا له؟ قال: لا. قال: فلا تسجد لي، فلو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ".

فمن لا ينهى الضالين عن مثل هذا الشرك المحرم بإجماع المسلمين. كيف ينهى عمــا هو أقل منه؟ ومن دعى رجلا أو امرأة من دون الله فهو مضاه لمن اتخذ المسيح

وأمه إلهين من دون الله.وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله ".

بل من سوغ أن يدعى المخلوق ومنع من دعاء الخالق الذي فيه تحقيق صمديته وإلهيته فقد ناقض الإسلام في النفي والإثبات. وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

وأما حقوق رسول الله ﷺ -بأبي هو وأمي- مثل تقديم محبته على النفس والأهل والمال، وتعزيره وتوقيره وإجلاله وطاعته، واتباع سنته، وغير ذلك، فعظيمة جدا.

وكذلك مما يشرع التوسل به في الدعاء كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه أن النبي ﷺ علم شخصا أن يقول: "اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد! يا رسول الله!إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها اللهم فشفعه في ". فهذا التوسل به حسن.

وأما دعاؤه والاستغاثة به فحرام، والفرق بين هذين متفق عليه بين المسلمين المتوسل إنما يدعو الله، ويخاطبه ويطلب منه لا يدعو غيره إلا على سبيل استحضاره، لا على سبيل الطلب منه، وأما الداعي والمستغيث فهو الذي يسأل المدعو ويطلب منه ويستغيثه ويتوكل عليه والله هو رب العالمين ومالك الملك، وخالق كل شيء، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وهو القريب الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وهو سميع الدعاء، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وأنا قد صنفت كتابا كبيرا سميته الصارم المسلول على شاتم الرسول، وذكرت في هذه المسألة ما لم أعرف أحدا سبق إليه، وكذلك هذه القواعد الإيمانية قد كتبت فيها فصولا هي من أنفع الأشياء في أمر الدين.

ومما ينبغي أن يعرف به الشيخ أني أخاف أن القضية تخرج عن أمره بالكلية، ويكون فيها ما فيه ضرر عليه، وعلى ابن مخلوف ونحوهما، فإنه قد طلب مني ما يجعل سببا لذلك ولم أجب إليه فإني إنما أنا لون واحد، والله ما غششتهما قط، ولو غششتهما كتمت ذلك.وأنا مساعد لهما على كل بر وتقوى.

ولا ريـب أن الأصـل الـذي تصلح عليه الأمور رجوع كل شخص إلى الله وتوبته إليه في هذا العشر المبارك.فإذا حسنت السرائر أصلح الله الظواهر. فإن الله مع الـذين اتقـوا والـذين هم محسنون. وهذه قضية كبيرة كلما كانت تزداد ظهورا تزداد انتشارا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما.

مجموع الفتاوى ٣ / ٢٤٨ – ٢٧٧

المناظرة السادسة عشرة

مناظرة رأس من رءوس القائلين بالكيمياء

و أقدم من رأينا ويحكى عنه شيء في الكيمياء خالد بن يزيد بن معاوية، وليس هو ممن يقتدي به المسلمون في دينهم، ولا يرجعون إلى رأيه، فإن ثبت النقل عنه فقد دلس عليه، كما دلس على غيره وأما جابر بن حيان صاحب المصنفات المشهورة عند الكـيماوية، فمجهـول لا يعـرف، ولـيس له ذكر بين أهل العلم، ولا بين أهل الدين، وهـؤلاء لا يعـدون أحـد أمـرين: إما أن يعتقد أن الذهب المصنوع كالمعدني جهلا وضـلالاً كمـا ظنه غيرهم.و إما أن يكون علم أنه ليس مثله، ولكنه لبس ودلس، فما أكثر من يتحلى بصناعة الكيمياء، لما في النفوس من محبة الذهب والفضة، حتى يقول قائلهم: لو غنى بها مغن لرقص الكون، وعامتهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، ويظهرون للطماع أنهم يعملون الكيمياء حتى يأكلوا ماله، ويفسدوا حاله، وحكايـاتهم في هذا الباب عند الناس أشهر من أن تحتاج إلى نقل مستقر تدل على أن أهـل الكيمـياء يعاقـبون بنقيض قصدهم، فتذهب أموالهم حيث طلبوا زيادة المال بما حـرمه الله بـنقص الأموال، كما قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

والكيمـياء أشـد تحـريما من الربا. قال القاضي أبو يوسف: من طلب المال بالكيمـياء أفلـس، ومن طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غرائب الحديث كذب. ويروي هذا الكلام عن مالك والشافعي رضي الله عنهم أجمعين.

وقــد قــال لي رأس من رءوسهم لما نهيته عنها، وبينت له فسادها وتحريمها، ولمــا ظهرت عليه الحجة أخذ يستعفى عن المناظرة، ويذكر أنه منقطع بالجدال، وقال فيما قال: النبي ﷺ كان يعرف الكيمياء، فقلت له: كذب، بل هو مستلزم للكفر، فإن الله قــال في كتابه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢﴾ [التوبة: ٩٢] وهذه الآية نزلت بالإجماع في غزوة تبوك، وكان النبي ﷺ قد حض فيها الناس على الصــدقة، حتى جاء رجل بناقة مخطومة مزمومة، فقال له النبي ﷺ: "لك بها سبعمائة ناقة مخطومة مزمومة ".و جاء أبو عقيل بصاع فطعن فيه بعض المنافقين، وقال فيها: كان الله غنيا عن صاع هذا، وجاء آخر بصرة كادت يده تعجز عن حملها، فقالوا: هذا مرائــي. فأنــزل الله تعالــى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [التوبة: ٧٩] وجــاء عـثمان بن عفان بألف ناقة، فأعوزت خمسين فكملها بخمســين فرس، فقال النبي ﷺ: "ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم". وصارت هذه من مناقبه المشهورة فيقال مجهز جيش العسرة.

وقد قال الله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢﴾ [التوبة: ٩٢] وقد قيل: إنهم طلبوا أن يحملهم على الــنعال. وســواء أريد بالنعال النعال التي تلبس، أو الدواب التي تركب، فقد أخبر الله عن نبــيه أنــه قــال لهم: (لا أجد ما أحملكم عليه) و قد كان هو يحض الناس على الإنفاق غاية الحض فلو كانت الكيمياء حقا مباحا وهو يعلمها، لكان من الواجب أن يعمل منها ما يجهز به الجــيش، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن نسب إلى النبي ﷺ ذلك فقد نسبه إلى ما نزهه الله عنه.

وأيضا فان علماء الأمة لم يوجب أحد منهم في الكيمياء حقا، لا خمسا ولا زكاة ولا غير ذلك، وقد اتفقوا على أن في الركاز الخمس، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، والركاز الذي لا ريب فيه هو دفن الجاهلية، وهي الكنوز المدفونة في الأرض، كالمعادن، فأهل الحجاز لا يجعلونها من الركاز، وهو مذهب أحمد وغيره، وأهل العراق يجعلونها من الركاز، ومن العلماء من يفرق بين أن يوجد المال جملة، وبين أن لا يوجد.و للشافعي فيها أقوال معروفة وجمهور العلماء يوجبون في المعدن حقا إما الزكاة وإما الخمس.

و لو كانت الكيمياء حقا حلالا لكان الواجب فيها أعظم من الخمس وأعظم من الزكاة، فإنها ذهب عظيم بسعي يسير، أيسر من استخراج المعادن والركاز، لكن هي عند علماء الدين من الغش الباطل المحرم الذي لا يحل عمله، ولا اتخاذه مالا، فضلا عن أن يوجبوا فيها ما يجب في المال الحلال.

وقال لي المخاطب فيها: فإن موسى ﷺ كان يعمل الكيمياء. قلت له: هذا كذب، لم ينقل هذا عن موسى أحد من علماء المسلمين، ولا علماء أهل الكتاب، بل قد ذكروا عنهم أن موسى كان له عليهم حق يأكل منه، ولو كان يعمل الكيمياء لكان يأكل منها.

قال: فإن قارون كان يعمل الكيمياء، قلت: وهذا أيضا باطل، فإنه لم يقله عالم معروف، وإنما يذكره مثل الثعلبي في تفسيره عمن لا يسمى. وفي تفسير الثعلبي الغث والسمين، فإنه حاطب ليل، ولو كان مال قارون من الكيمياء لم يكن له بذلك اختصاص، فإن الذين عملوا الكيمياء خلق كثير لا يحصون. والله سبحانه قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] فأخبر أنه آتاه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، والكنوز إما أن يكون هو كنزها، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ﴾ [التوبة: ٣٤] وإما أن يكون اطلع على كنائز مدفونة وهو الركاز، وهذا لا ريب أنه موجود.

ثم إنه مات هذا الرجل وكان خطيبا بجامع، فلم يشهد جنازته من جيرانه وغيرهم من المسلمين إلا أقل من عشرة، وكان يعاني السحر والسيميا، وكان يشتري كتبا كثيرة من كتب العلم فشهدت بيع كتبه لذلك، فقام المنادي ينادي على كتب الصنعة، وكانت

كثيرة يعني كتب الكيمياء، فإنهم يقولون: هي علم الحجر المكرم، وهي علم الحكمة، ويعرفونها بأنواع من العبارات، وكان المتولي لذلك من أهل السيف والديوان شهودا، فقلت لولي الأمر: لا يحل بيع هذه الكتب، فإن الناس يشترونها فيعملون بما فيها، فيقولون: هؤلاء زغلية فيقطعون أيديهم، وإذا بعتم هذه الكتب تكونون قد مكنتموهم من ذلك، وأمرت المنادي فألقاها ببركة كانت هناك، فألقيت حتى أفسدها الماء ولم يبق يعرف ما فيها.

و مما يوضح ذلك أن الكيمياء لم يعملها رجل له في الأمة لسان صدق، لا عالم متبع ولا شيخ يقتدى به، ولا ملك عادل، ولا وزير ناصح، وإنما يفعلها شيخ ضال مبطل، مثل ابن سبعين وأمثاله، أو مثل بني عبيد، أو ملك ظالم، أو رجل فاجر. وإن التبس أمرها على بعض أهل العقل والدين، فغالبهم ينكشف لهم أمرها في الآخر، ولا يستطيعون عملها صيانة من الله لهم لحسن قصدهم، وما أعلم أن رجلا من خيار المسلمين أنفق منها أو أكل منها.

مجموع الفتاوى ٢٩ / ٣٧٤-٣٧٩

المناظرة السابعة عشرة

مناظرة المنجمين بدمشق

وهكذا المنجمون حتى إني خاطبتهم بدمشق، وحضر عندي رؤساؤهم.وبينت فساد صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعترفون بصحتها، قال رئيس منهم: والله إنا نكذب مائة كذبة حتى نصدق في كلمة.

وذلك أن مبنى علمهم على أن الحركات العلوية هى السبب في الحوادث، والعلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب، وهذا إنما يكون إذا علم السبب التام الذي لا يتخلف عنه حكمه، وهؤلاء أكثر ما يعلمون إن علموا جزءا يسيرا من جملة الأسباب الكثيرة، ولا يعلمون بقية الأسباب، ولا الشروط، ولا الموانع، مثل من يعلم أن الشمس في الصيف تعلو الرأس حتى يشتد الحر، فيريد أن يعلم من هذا مثلا أنه حينئذ أن العنب الذي في الأرض الفلانية يصير زبيبا، على أن هناك عنبا، وأنه ينضج وينشره صاحبه في

الشـــمس وقـــت الحر فيتزبب، فهذا وإن كان يقع كثيرا لكن أخذ هذا من مجرد حرارة الشـــمس جهـــل عظيم، إذ قد يكون هناك عنب وقد لا يكون، وقد يثمر ذلك الشجر إن خدم وقد لا يثمر، وقد يؤكل عنبا وقد يعصر، وقد يسرق، وقد يزبب، وأمثال ذلك.

مجموع الفتاوى ٣٥ / ١٧٢ -١٧٣

المناظرة الثامنة عشرة
مناظرة الرافضة في إمامهم المنتظر

وفـــي الجملة فالله تعالى قد علق بولاة الأمور مصالح في الدين والدنيا، سواء كانـــت الإمامة أهم الأمور أو لم تكن والرافضة أبعد الناس عن حصول هذه المصلحة لهـــم، فقـــد فـــاتهم على قولهم الخير المطلوب من أهم مطالب الدين وأشرف مسائل المسلمين.

ولقد طلب مني أكابر شيوخهم الفضلاء أن يخلو بي وأتكلم معه في ذلك فخلوت بـــه وقـــررت له ما يقولونه في هذا الباب. كقولهم: إن الله أمر العباد ونهاهم لينالوا به بعض مقاصدهم، فيجب أن يفعل بهم اللطف الذي يكونون عنده أقرب إلى فعل الواجب وتـــرك القبـــيح، لأن من دعا شخصا ليأكل طعامه، فإذا كان مراده الاكل فعل ما يعين على ذلك من الأسباب، كتلقيه بالبشر وإجلاسه في مجلس يناسبه، وأمثال ذلك. وإن لم يكـــن مراده أن يأكل عبس في وجهه وأغلق الباب، ونحو ذلك.وهذا أخذوه من المعتزلة. ليس هو من أصول شيوخهم القدماء.

ثـــم قالـــوا والإمام لطف، لأن الناس إذا كان لهم إمام يأمرهم بالواجب وينهاهم عن القبـــيح، كانوا أقرب إلى فعل المأمور وترك المحظور، فيجب أن يكون لهم إمام، ولا بد أن يكـــون معصوما، لأنه إذا لم يكن معصوما لم يحصل به المقصود. ولم تدع العصمة لأحد بعـــد النبي ﷺ إلا لعلي، فتعين أن يكون هو إياه للإجماع على انتفاء ما سواه، وبسطت له العبارة في هذه المعاني.

ثم قالوا: وعلي نص على الحسن، والحسن على الحسين، إلى أن انتهت النوبة إلى المنتظر محمد بن الحسن صاحب السرداب الغائب.

فاعترف بأن هذا تقرير مذهبهم على غاية الكمال.

قلت له: فأنا وأنت طالبان للعلم والحق والهدى، وهم يقولون: من لم يؤمن بالمنتظر فهو كافر فهذا المنتظر هل رأيته؟ أو رأيت من رآه؟ أو سمعت له بخبر. أو تعرف شيئا من كلامه الذي قاله هو؟ أو ما أمر به أو ما نهى عنه مأخوذا عنه كما يؤخذ عن الأئمة؟ قال لا.

قلت: فأي فائدة في إيماننا هذا؟ وأي لطف يحصل لنا بهذا ؟ثم كيف يجوز أن يكلفنا الله بطاعة شخص ونحن لا نعلم ما يأمر به ولا ما ينهانا عنه، ولا طريق لنا إلى معرفة ذلك بوجه من الوجوه؟ وهم من أشد الناس إنكارا لتكليف مالا يطاق، فهل يكون في تكليف مالا يطاق أبلغ من هذا؟!

فقال إثبات هذا مبني على تلك المقدمات.

قلت: لكن المقصود لنا من تلك المقدمات هو ما يتعلق بنا نحن، وإلا فما علينا ما مضى إذا لم يتعلق بنا منه أمر ولا نهي. وإذا كان كلامنا في تلك المقدمات لا يحصل لنا فائدة ولا لطفا، ولا يفيدنا إلا تكليف مالا يقدر عليه، علم أن الإيمان بهذا المنتظر من باب الجهل والضلال لا من باب المصلحة واللطف.

والذي عند الإمامية من النقل عن الأئمة الموتى إن كان حقا يحصل به سعادتهم فلا حاجة بهم إلى المنتظر وإن كان باطلا فهم أيضا لم ينتفعوا بالمنتظر في رد هذا الباطل.فلم ينتفعوا بالمنتظر لا في إثبات حق، ولا في نفي باطل، ولا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولم يحصل لواحد منهم به شيء من المصلحة واللطف المطلوب من الإمامة.

والجهال الذين يعلقون أمورهم بالمجهولات كرجال الغيب والقطب والغوث والخضر ونحو ذلك، مع جهلهم وضلالهم وكونهم يثبتون ما لم يحصل لهم به مصلحة ولا لطف ولا منفعة لا في الدين ولا في الدنيا، أقل ضلالاً من الرافضة.

فـإن الخضر كان موجودا، وقد ذكره الله في القرآن، وفي قصته عبرة وفوائد. وقد يرى أحدهم شخصا صالحا يظنه الخضر فينتفع به وبرؤيته وموعظته، وإن كان غالطا في اعـتقاده أنه الخضر، فقد يرى أحدهم بعض الجن فيظن أنه الخضر، ولا يخاطبه الجني إلا بمـا يرى أنه يقبله منه ليربطه على ذلك، فيكون الرجل أتى من نفسه لا من ذلك المخاطب لـه، ومـنهم مـن يقـول: لكل زمان خضر. ومنهم من يقول: لكل ولي خضر. وللكفار كالـيهود مواضـع يقولون إنهم يرون الخضر فيها، وقد يرى الخضر على صور مختلفة وعلـى صـورة هائلة وأمثال ذلك. وذلك لأن هذا الذي يقول إنه الخضر هو جني، بل هو شـيطان يظهـر لمـن يرى أنه يضله. وفي ذلك حكايات كثيرة يضيق هذا الموضع عن ذكرها.

منهاج السنة ١/١٠١-١٠٤

المناظرة التاسعة عشرة

مناظرة بعض أفاضل أهل الوحدة الكبار

وجمـيع العقلاء يعلمون بالفطرة الضرورية استحالة وجود مطلق في الخارج، ويعلمـون أن المطلق بشرط الإطلاق وجوده في الأذهان لا في الأعيان، وهؤلاء أيضا يعلمون ذلك إذا تدبروه ورجعوا إلى ما معهم من العلوم الفطرية الصحيحة العقلية.

ولهـذا لما خاطبت بهذا غير واحد من أفاضل أهل الوحدة الكبار وثبت هذا لهم تبـين الأمر، وعلموا من أين دخل الداخل على من كان عندهم أئمة العالم في التحقيق والعرفان، ومن كان حاذقا في هذه الأمور منهم يقول ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صـرائح العقـول، ولـذلك عبـر هذا بالكشف والذوق والمشاهدة وهذا لا يحصل إلا بالرياضة والمجاهدة والخلوة ونحو ذلك من الطرق العبادية الزهدية الصوفية.

وقلت لبعض أكابرهم لما خاطبني في هذا -وكان مهتما في ذلك- وطلب مني أن لا أخاطـبه بالأدلـة الشرعية من الكتاب والسنة، وقال: أنا لا أقول إنها خبر والخبر محتمل، لكن أمور أخرى، وكنت علمت من حاله ما علمت معه ضعف تلك الأدلة في نفسه، وكان مخاطبته بالأمور العقلية أيسر عليه وأبين له، وإن كان ذلك مما بينه كتاب

الله تعالى الذي ضرب للناس فيه من كل مثل، وجعله حاكما بين الناس فيما اختلفوا فيه وأخبر المؤمنين[1]عند التنازع ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ﴾[البقرة: ١٧] وفي قول مختلف ﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨-٩] وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦] ونحو ذلك مما يبين أن القول المختلف باطل، وذم من لا يعقل مثل ذلك ويعمى عن الحق المعقول.

فقلت له: لا نزاع في أنه قد يحصل من العلم بالكشف والمشاهدة مالا يحصل بمجرد العقل، سواء كان للأنبياء فقط، أو للأنبياء والأولياء، أو لهم ولغيرهم، لكن يجب الفرق بين ما يقصر العقل عن دركه وما يعلم العقل استحالته، بين مالا يعلم العقل ثبوته وبين ما يعلم العقل انتفاءه، بين محارات العقول ومحالات العقول، فإن الرسل صلوات الله عليهم وسلامه قد يخبرون بمحارات العقول -وهو ما تعجز العقول عن معرفته- ولا يخبرون بمحالات العقول- وهو ما يعلم العقل استحالته-.

قلت: وهذا بين واضح، فلو قال قائل: إنه يعلم بالكشف والذوق والمشاهدة أو بالإخبار عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو غير ذلك أن الواحد ليس نصف الاثنين، وأن الواجب لذاته يكون ممتنعا لذاته، وأن المخلوق يماثل الخالق في الحقيقة، وأن الوجود كله ممكن الوجود ليس في الوجود وجود واجب، ولا وجود قديم، ونحو ذلك من القضايا التي يعلم العقل وجوبها وامتناعها وإمكانها، فمن ادعى أنه يعلم بالكشف والبصر أو بالسماع والخبر عن الأنبياء عليهم السلام ما ينافي هذا كانت هذه الدعوى باطلة.

فلما بينت له ذلك اعترف بهذا الأصل.وبه يتبين زيف هؤلاء، فلما تقرر هذا ثبت له أن العقل الصريح يمنع أن يكون في الخارج وجود كلي مطلق بشرط الإطلاق، وأن الكليات بشرط إطلاقها أو عمومها إنما وجودها في الأذهان لا في الخارج، وكان

---

(١) كذا في المطبوع، ولعلها: أن غير المؤمنين.

عارفا بهذه العلوم، وبينت له ما تستلزم أقوالهم الكثيرة من الجمع بين المتناقضات التي هي معلوم استحالتها ببداية العقول.

بيان تلبيس الجهمية ١/٣٣٢-٣٣٤

المناظرة العشرون

مناظرة بعض الأعيان من الفضلاء المتفلسفين

ولهـذا خاطبني بعض الأعيان من الفضلاء المتفلسفين وأخذ يقول: إن الفلاسفة يـوحدون، وأنهم من أعظم الناس توحيدا، ويفضلهم على النصارى في التوحيد، فبينت لـه أن الأمـر لـيس كـذلك، بل النصارى في التوحيد خير منهم، وأنهم مشركون لا مـوحدون، فقلـت: الفلاسفة الذين تذكرهم إما مشركون يوجبون الشرك ويوالون عليه ويعادون، وإما صابئون يسوغون الشرك ويجوزون عبادة ما سوى الله وكتبهم مشحونة بهـذا، ولهـذا كـان أحسن أحوالهم أن يكونوا صابئة أو هم علماء الصابئة.وهل كان نمـرود وقومه وفرعون وقومه وغير هؤلاء إلا منهم؟ وهل عبدت الكواكب وبنيت لها الهـياكل وأصـنامها إلا برأي هؤلاء المتفلسفة ؟بل وهل عبد الصالحون وعكف على قـبورهم ومـثلت صورهم إلا بآرائهم؟ حتى الذين كانوا متظاهرين بالإسلام منهم قد صـنفوا فـي الإشراك بالله وعباده الكواكب والأصنام، وذكروا ما في هذا الشرك من الفوائد وتحصيل المقاصد.

وبالاضـطرار يعلـم من عرف دين الرسل محمد وغيره أنهم إنما بعثوا بالنهي عـن هذا الإشراك، وجميع الرسل بعثوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٥٤] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقد اتفق المسلمون على أن دين أهل الكتاب من اليهود والنصارى خير من دين من لا كتاب له من المشركين والصابئين وغيرهم.

والعلمـــاء علـــى تـــنوع أصـــنافهم من الفقهاء والمفسرين والمتكلمين وأرباب المقالات، وإن اختلفوا في الصابئين فلتنوعهم، ولهذا كان للفقهاء فيهم طريقان:

أحدهما: أن في كونهم من أهل الكتاب قولين للشافعي وأحمد.

والطـريق الثاني: أنهم صنفان. فمن تدين منهم بدين أهل الكتاب كان منهم وإلا فــلا، هــذا هــو المختار عندهم. وأما الشرك الذي في النصارى فإنما ابتدعوه تشبها بأولـــئك، فكان فيهم قليل من شرك أولئك.قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [الــتوبة: ٣٠] كالــذين قالوا: الملائكة أولاد الله. كما يقوله هؤلاء المتفلسفة الصابئون، فإنهم كانوا قبل النصارى.

قلـــت: وأمـــا التوحيد الذي يذكر عن الفلاسفة من نفي الصفات فهو مثل تسمية المعتزلة لما يقولونه توحيدا، وهذا في التحقيق تعطيل مستلزم للتمثيل والإشراك، وأما النصارى فهم لا يقولون إن ثم إلهين متباينين، بل يقولون قولا متناقضا، حيث يجعلون الــثلاثة واحـــدا، ويجعلون الواحد هو المتحد بالمسيح دون غيره، مع عدم إمكان تحيز واحـــد عـــن غيـــره، وهذا الكفر دون كفر الفلاسفة بكثير، وتكلمت في ذلك بكلام بعد عهدي به.

بيان تلبيس الجهمية ١/ ٤٨٠-٤٨٢

المناظرة الحادية والعشرون

مناظرة ابن تيمية وهو صغير المشغوفين بالفلاسفة والمتكلمين

وأذكـــر أني قلت مرة لبعض من كان ينتصر لهم من المشغوفين بهم (١)-وأنا إذ ذاك صـــغير قريب العهد من احتلام-: كل ما يقوله هؤلاء ففيه باطل، إما في الدلائل وإما في المسائل، إما أن يقولوا مسألة تكون حقا لكن يقيمون عليها أدلة ضعيفة، وإما أن تكـــون المســـألة بـــاطلا. فأخذ ذلك المشغوف بهم يعظم هذا، وذكر مسألة التوحيد،

(١) أي: الفلاسفة وأهل الكلام.

فقلــت: التوحيد حق. لكن اذكر ما شئت من أدلتهم التي تعرفها حتى أذكر لك ما فيه. فذكر بعضها بحروفه حتى فهم الغلط، وذهب إلى ابنه – وكان أيضا من التعصبين لهم – فذكــر ذلك له، قال: فأخذ يعظم ذلك علي، فقلت: أنا لا أشك في التوحيد، ولكن أشك في هذا الدليل المعين.

مجموع الفتاوى ٢٧/٤

الفصل الخامس

رسائله

الفصل الخامس

رسائله

أولاً : رسائله إلى المسلمين والمشايخ والأصحاب ووالدته

الرسالة الأولى

رسالته إلى أبي الفتح نصر المنبجي

من أحمد بن تيمية إلى الشيخ العارف القدوة السالك الناسك أبي الفتح نصر، فتح الله على باطنه وظاهره ما فتح به على قلوب أوليائه، ونصره على شياطين الإنس والجن في جهره وإخفائه، ونهج به الطريقة المحمدية الموافقة لشرعته، وكشف به الحقيقة الدينية المميزة بين خلقه وطاعته، وإرادته ومحبته، حتى يظهر للناس الفرق بين الكلمات الكونية والكلمات الدينية، وبين المؤمنين الصادقين الصالحين ومن تشبه بهم من المنافقين، كما فرق الله بينهما في كتابه وسنته.

أما بعد: فإن الله تعالى قد أنعم على الشيخ وأنعم به نعمة باطنة وظاهرة في الدين والدنيا، وجعل له عند خاصة المسلمين الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، منزلة علية ومودة إلهية لما منحه الله تعالى به...

فالشيخ أحسن الله إليه قد جعل الله فيه من النور والمعرفة الذي هو أصل المحبة والإرادة، ما تتميز به المحبة الإيمانية المحمدية المفصلة عن المجملة المشتركة.......

وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية، وكنت قد كتبت إلى خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن أشرت فيه إشارة لطيفة إلى حال هؤلاء، ولم يكن القصد به والله واحدا بعينه، وإنما الشيخ هومجمع المؤمنين، فعلينا أن نعينه في الدين والدنيا بما هو اللائق به، وأما هؤلاء الاتحادية فقد أرسل إلي الداعي من طلب كشف حقيقة أمرهم.

وقد كتبت في ذلك كتابا ربما يرسل إلى الشيخ، وقد كتب سيدنا الشيخ عماد الدين في ذلك رسائل، والله تعالى يعلم -وكفى به عليما -لولا أني أرى دفع ضرر

هــؤلاء عن أهل طريق الله تعالى، السالكين إليه من أعظم الواجبات، وهو شبيه بدفع التـتار عـن المؤمنـين، لـم يكن للمؤمنين بالله ورسوله حاجة إلى أن تكشف أسرار الطـريق، وتهـتك أستارها، ولكن الشيخ أحسن الله تعالى إليه يعلم أن مقصود الدعوة النـبوية، بل المقصود بخلق الخلق، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل، أن يكون الدين كله لله......وهـؤلاء موهوا على السالكين التوحيد الذي أنزل الله تعالى به الكتب وبعث به الرسل، بالاتحاد الذي سموه توحيدا وحقيقته تعطيل الصانع وجحود الخالق.

وإنمـا كنت قديما ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه، لما رأيت في كتبه من الفـوائد مثل كلامه في كثير من الفتوحات، والكنة، والمحكم المربوط، والدرة الفاخرة، ومطالـع الـنجوم، ونحـو ذلك. ولم نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده، ولم نطالع الفصـوص ونحوه، وكنا نجتمع مع إخواننا في الله نطلب الحق ونتبعه، ونكشف حقيقة الطريق، فلما تبين الأمر عرفنا نحن ما يجب علينا.

فلمـا قـدم من المشرق مشايخ معتبرون وسألوا عن حقيقة الطريقة الإسلامية، والدين الإسلامي وحقيقة حال هؤلاء، وجب البيان.

وكـذلك كتب إلينا من أطراف الشام رجال سالكون أهل صدق، وطلب أن أذكر النكت الجامعة لحقيقة مقصودهم.

والشيخ -أيده الله تعالى بنور قلبه وذكاء نفسه وحقق قصده من نصحه للإسلام وأهله ولإخوانه السالكين -يفعل في ذلك ما يرجو به رضوان الله سبحانه ومغفرته في الدنيا و الآخرة.

وهـؤلاء الـذين تكلموا في هذا الأمر لم يعرف لهم خبر من حين ظهرت دولة التتار....

وكـنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين، وأقول إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع، حتى حدثني بعض عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون نحن على قول فرعون.

وهـذه المعانـي كلهـا هي قول صاحب الفصوص، والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم

والأمـــوات، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]....

وأما ابن سبعين فإنه في البدو والإحاطة يقول أيضا بوحدة الوجود، وأنه ما ثم غيـر، وكـذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك، لكن لم يصرح هل يقول بمثل قول التلمســاني، أو قول الرومي، أو قول ابن عربي، وهو إلى كلام التلمساني أقرب لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ما كفره أحد قط مثل التلمساني.

......وكثيـرا مـا كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار، واندراس شريعة الإسلام، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب، الذي يزعم أنه هو الله.

فـإن هـؤلاء عـندهم كـل شيء هو الله ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم.....

فلمـا رأيـنا حقـيقة قـول هؤلاء الاتحادية، وتدبرنا ما وقعت فيه النصارى والحلولية ظهر سبب دلالة النبي ﷺ لأمته بهذه العلامة، فإنه بعث رحمة للعالمين، فإذا كـان كثيـر مـن الخلـق يجوز ظهور الرب في البشر، أو يقول إنه هو البشر، كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلا على انتفاء الإلهية عنه.

وقـد خاطبنـي قديما شخص من خيار أصحابنا -كان يميل إلى الاتحاد ثم تاب منه -وذكر هذا الحديث فبينت له وجهه.

وجـاء إليـنا شخص كان يقول: إنه خاتم الأولياء، فزعم أن الحلاج لما قال: أنا الحق كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه كما يتكلم الجني على لسان المصروع، وأن الصـحابة لمـا سمعوا كلام الله تعالى من النبي ﷺ كان من هذا الباب، فبينت له فساد هـذا، وأنـه لـو كان كذلك كان الصحابة بمنزلة موسى بن عمران، وكان من خاطبه هـؤلاء أعظم من موسى، لأن موسى سمع الكلام الإلهي من الشجرة وهؤلاء يسمعون من الجن الناطق......

ولهـذا حدثني الثقة: أن ابن سبعين كان يريد الذهاب إلى الهند، وقال إن أرض الإسلام لا تسعه، لأن الهند مشركون يعبدون كل شيء حتى النبات والحيوان.

وهــذا حقــيقة قــول الاتحادية، وأعرف ناسا لهم اشتغال بالفلسفة والكلام وقد تألهوا على طريق هؤلاء الاتحادية، فإذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا ليس بكــذا لــيس بكــذا، ووصفوه بأنه ليس هو رب المخلوقات كما يقوله المسلمون، لكن يجحدون صفات الخالق التي جاءت بها الرسل عليهم السلام.

وإذا صــار لأحــدهم ذوق ووجــد، تأله وسلك طريق الاتحادية، وقال: إنه هو الموجــودات كلها، فإذا قيل له: أين ذلك النفي من هذا الإثبات؟ قال: ذلك وجدي، وهذا ذوقي، فيقال لهذا الضال: كل ذوق ووجد لا يطابق الاعتقاد فأحدهما أو كلاهما باطل، وإنمــا الأذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات فإن علم القلب وحاله متلازمان فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والحال.......

وهــذا الكتاب مع أني قد أطلت فيه الكلام على الشيخ أيد الله تعالى به الإسلام، ونفــع المسلمين ببركة أنفاسه، وحسن مقاصده ونور قلبه، فإن ما فيه نكت مختصرة، فــلا يمكــن شرح هذه الأشياء في كتاب، ولكن ذكرت للشيخ أحسن الله تعالى إليه ما اقتضــى الحــال أن أذكــره، وحامل الكتاب متسوفز عجلان، وأنا أسأل الله العظيم أن يصــلح أمر المسلمين عامتهم وخاصتهم ويهديهم إلى ما يقربهم، وأن يجعل الشيخ من دعــاة الخيــر الــذين قال الله سبحانه فيهم ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]

مجموع الفتاوى ٢ / ٤٥٢- ٤٧٩

الرسالة الثانية

رسالته إلى المنتمين إلى جماعة الشيخ عدي بن مسافر، وتسمى (الوصية الكبرى)

بســم الله الرحمن الرحيم.من أحمد بن تيمية إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة، المنتمين إلى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البــركات عــدي بــن مسافر الأموي رحمه الله، ومن نحى نحوهم، وفقهم الله لسلوك ســبيله، وأعــانهم علــى طاعته وطاعة رسوله ﷺ وجعلهم معتصمين بحبله المتين،

مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين، وجنبهم طريق أهل الضلال والاعوجاج الخارجين عما بعث الله به رسوله من الشرعة والمنهاج، حتى يكونوا ممن أعظم الله عليهم المنة بمتابعة الكتاب والسنة.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهوعلى كل شيء قدير، ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين وسيد ولد آدم وأكرم الخلق على ربه وأقربهم إليه زلفى وأعظمهم عنده درجة محمد عبده ورسوله ﷺ تسليما كثيرا....

وأنتم أصلحكم الله قد من الله عليكم بالانتساب إلى الإسلام الذي هو دين الله، وعافاكم الله مما ابتلى به من خرج عن الإسلام من المشركين وأهل الكتاب. والإسلام أعظم النعم وأجلها، فإن الله لا يقبل من أحد دينا سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] وعافاكم الله بانتسابكم إلى السنة من أكثر البدع المضلة، مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدرية، بحيث جعل عندكم من البغض لمن يكذب بأسماء الله وصفاته، وقضائه وقدره، أو يسب أصحاب رسول الله ما هو من طريقة أهل السنة والجماعة، وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم عليه بذلك فإن هذا من تمام الإيمان وكمال الدين، ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين ما لا يوجد مثله في طوائف المبتدعين، وما زال في عساكر المسلمين المنصورة وجنود الله المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين، ويعز به المؤمنين.

وفي أهل الزهادة والعبادة منكم من له الأحوال الزكية والطريقة المرضية وله المكاشفات والتصرفات.

وفيكم من أولياء الله المتقين من له لسان صدق في العالمين، فإن قدماء المشائخ الذين كانوا فيكم، مثل الملقب بشيخ الإسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكاري، وبعده الشيخ العارف القدوة عدي بن مسافر الأموي، ومن سلك سبيلهما فيهم من الفضل والدين والصلاح والإتباع للسنة ما عظم الله به أقدارهم، ورفع به منارهم.

والشيخ عدي قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشائخ المتبعين، وله من الأحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك وله في الأمة

صيت مشهور ولسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشائخ الذين سلك سبيلهم، كالشيخ الإمام الصالح أبي الفرج عبدالواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي، وكشيخ الإسلام الهكاري ونحوهما.

وهؤلاء المشائخ لم يخرجوا في الأصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة، بل كان لهم من الترغيب في أصول أهل السنة والدعاء إليها والحرص على نشرها ومنابذة من خالفها مع الدين والفضل والصلاح ما رفع الله به أقدارهم، وأعلى منارهم، وغالب ما يقولونه في أصولها الكبار جيد، مع أنه لابد وأن يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة، كأحاديث لا تثبت، ومقاييس لا تطرد، ما يعرفه أهل البصيرة.

وذلك أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ لا سيما المتأخرون من الأمة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة، والفقه فيهما، ويميزوا بين صحيح الأحاديث وسقيمها، وناتج المقاييس وعقيمها، مع ما ينضم إلى ذلك من غلبة الأهواء وكثرة الآراء، وتغلظ الاختلاف والافتراق، وحصول العداوة والشقاق.

فإن هذه الأسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم، اللذين نعت الله بهما الإنسان في قوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢] فإذا من الله على الإنسان بالعلم والعدل أنقذه من هذا الضلال، وقد قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣] وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

وأنتم تعلمون أصلحكم الله أن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقادات، وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يعرف بمعرفة أحاديث النبي ﷺ الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وما تركه من قول وعمل ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان.

مجموع الفتاوى ٣ / ٣٦٣ - ٤٣٠

الرسالة الثالثة

رسالته إلى أصحابه وهو في سجن الإسكندرية

بســم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١] والذى أعــرف بــه الجماعة أحسن الله إليهم في الدنيا وفي الآخرة وأتم عليهم نعمته الظاهرة والباطــنه، فإنــي والله العظــيم الذي لا اله إلا هو في نعم من الله ما رأيت مثلها في عمــري كلــه، وقــد فــتح الله سبحانه وتعالى من أبواب فضله ونعمته وخزائن جوده ورحمــته مــا لــم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال ما يصل الطرف إليها، يسرها الله تعالــى حتى صارت مقاعد، وهذا يعرف بعضها بالذوق من له نصيب من معرفة الله وتوحيده وحقائق الإيمان، وما هو مطلوب الأولين والآخرين من العلم والإيمان.....

وفــي الجملــة ما بين نعم الله التي أنعم بها علي وأنا في هذا المكان أعظم قدرا وأكثر عددا ما لا يمكن حصره، وأكثر ما ينقص على الجماعة، فأنا أحب لهم أن ينالوا مــن اللــذة والســرور والنعيم ما تقرّ به أعينهم، وأن يفتح لهم من معرفة الله وطاعته والجهاد في سبيله ما يصلون به إلى أعلى الدرجات، وأعرف أكثر الناس قدر ذلك فإنه لايعــرف إلا بالــذوق والوجد، لكن ما من مؤمن إلا له نصيب من ذلك، ويستدل منه بالقلــيل على الكثير وإن كان لا يقدر قدره الكبير، وأنا أعرف أحوال الناس والإجناس واللــذات، وأين الدر من البعر، وأين الفالوذج من الدبس، وأين الملائكة من البهيمة أو الــبهائم، لكن أعرف أن حكمة الله وحسن اختياره ولطفه ورحمته يقتضي أن كل واحد يــريد أن يعبد الله ويجاهد في سبيله علما وعملا بحسب طاقته ليكون الدين لله، ويكون مقصوده أن كلمة الله هى العليا، ولا يكون حبه وبغضه ومعاداته ومدحه وذمه إلا لله لا لشخص معين......

والمقصــود إخــبار الجماعة بأن نعم الله علينا فوق ما كانت بكثير كثير، ونحن بحمــد الله في زيادة من نعم الله، وإن لم يمكن خدمة الجماعة باللقاء فأنا داع لهم بالليل والنهار، قياما ببعض الواجب من حقهم، وتقربا إلى الله تعالى في معاملته فيهم، والذى آمــر بــه كل شخص منهم أن يتقي الله ويعمل لله مستعينا بالله، مجاهدا في سبيل الله،

ويقصد بذلك أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، ويكون دعاؤه وغيره بحسب ذلك، كما أمر الله به ورسوله.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وجنبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لهم في أسماعهم وأبصارهم ما أبقيتهم، واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك، قابليها وأتممها عليهم يارب العالمين.اللهم انصر كتابك ودينك وعبادك المؤمنين، وأظهر الهدى ودين الحق الذي بعثت به نبينا محمدا ﷺ على الدين كله. اللهم عذب الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيلك ويبدلون دينك ويعادون المؤمنين اللهم خالف كلمتهم وشتت بين قلوبهم، واجعل تدميرهم في تدبيرهم، وأدر عليهم دائرة السوء اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين. اللهم مجري السحاب، ومنزل الكتاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم.ربنا أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا. ربنا اجعلنا لك شاكرين مطاوعين مخبتين، أواهين منيبين.ربنا تقبل توبتنا واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا، واسلل سخائم صدورنا.

وهذا رواه الترمذي بلفظ إفراد، وصححه، وهو من أجمع الأدعية بخير الدنيا والآخرة، وله شرح عظيم.

والحمد لله ناصر السنة وخاذل أهل البدعة والغرة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

مجموع الفتاوى ٢٨ / ٣٠ – ٤٦

الرسالة الرابعة

رسالته إلى أصحابه وهو في السجن يشكر الله على إخراج خصومه كتبه التي هي حجة عليهم

ونحـــن ولله الحمد والشكر في نعم عظيمة تتزايد كل يوم، ويجدد الله تعالى من نعمه نعما أخرى، وخروج الكتب كان من أعظم النعم، فإني كنت حريصا على خروج شـــئ منها لتقفوا عليه، وهم كرهوا خروج الإخنائية، فاستعملهم الله في إخراج الجميع، وإلـــزام المنازعين بالوقوف عليه، وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسوله من الهدى ودين الحق، فإن هذه المسائل كانت خفية على أكثر الناس، فإذا ظهرت فمن كان قصده الحق هـــداه الله، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله، واستحق أن يذله الله ويخزيه ومـــا كتبت شيئا من هذا ليكتم عن أحد ولو كان مبغضا. والأوراق التي فيها جواباتكم وصـــلت، وأنا طيب، وعيناي طيبتان أطيب ما كانتا. ونحن في نعم عظيمة لا تحصى ولا تعد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

ثـــم ذكر كلاما، وقال: كل ما يقضيه الله تعالى فيه الخير والرحمة والحكمة، إن ربـــي لطيف لما يشاء، إنه هو القوي العزيز العليم الحكيم، ولا يدخل على أحد ضرر إلا من ذنوبه ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩] فالعـــبد علـــيه ان يشـــكر الله ويحمده دائما على كل حال، ويستغفر من ذنوبه، فالشكر يـــوجب المزيد من النعم، والاستغفار يدفع النقم، ولا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضرا ء صبر فكان خيرا له.

مجموع الفتاوى ٢٨/٤٧-٤٨

الرسالة الخامسة

رسالة يذكر فيها بعض مؤلفاته وجهاده

بســـم الله الرحمن الرحيم. سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته. ونحن لله الحمد والشـــكر في نعم متزايدة متوافرة، وجميع ما يفعله الله فيه نصر الإسلام، وهو من نعم

الله العظـــام. و﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الفـتح: ٢٨] فإن الشيطان استعمل حزبه في إفساد دين الله، الـذي بعـث به رسله، وأنزل به كتبه، ومن سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

والـذى سـعى فـيه حزب الشيطان لم يكن مخالفة لشرع محمد ﷺ وحده، بل مخالفـة لدين جميع المرسلين إبراهيم وموسى والمسيح ومحمد خاتم النبيين صلى الله علـيهم وسـلم أجمعين. وكانوا قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطـاب ولا كتاب، وجزعوا من ظهور الإخنائية، فاستعملهم الله تعالى حتى أظهروا أضـعاف ذلـك وأعظـم، وألزمهم بتفتيشه ومطالعته، ومقصودهم إظهار عيوبه، وما يحـتجون به، فلم يجدوا فيه إلا ماهو حجة عليهم، وظهر لهم جهلهم وكذبهم وعجزهم، وشاع هذا في الأرض، وأن هذا مما لايقدر عليه إلا الله، ولم يمكنهم أن يظهروا علينا فـيه عيـبا في الشرع والدين، بل غاية ما عندهم أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين، والمخلـوق كائـنا مـن كان إذا خالف أمر الله تعالى ورسوله لم يجب، بل ولا يجوز طاعته في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين.

وقـول القائـل إنـه يظهـر الـبدع، كلام يظهر فساده لكل مستبصر، ويعلم أنالأمربالعكس، فإن الذي يظهر البدعة إما أن يكون لعدم علمه بسنة الرسول، أو لكونه لـه غـرض وهوى يخالف ذلك، وهو أولى بالجهل بسنة الرسول، واتباع هواهم بغير هـدى مـن الله. ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص: ٥٠] ممـن هـو أعلـم بسنة الرسول منهم، وأبعد عن الهوى والغرض في مخالفتها ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثـــية: ١٨-١٩] وهذه قضية كبيرة لها شأن عظيم ولتعلمن نبأه بعد حين. ثم قال بعده:

وكانـوا يطلبون تمام الإخنائية فعندهم ما يطمهم أضعافها، وأقوى فقها منها، وأشد مخالفة لأغراضهم، فإن الزملكانية قد بين فيها من نحو خمسين وجها أن ما حكم

به ورسم مخالف لإجماع المسلمين، وما فعلوه لو كان ممن يعرف ما جاء به الرسول، ويتعمد مخالفته لكان كفرا وردة عن الإسلام، لكنهم جهال دخلوا في شئ ما كانوا يعرفونه، ولا ظنوا أنه ظهر منه أن السلطنة تخالف مرادهم، والأمر أعظم مما ظهر لكم، ونحن ولله الحمد، على عظيم الجهاد في سبيله.

ثم ذكر كلاما وقال:

بل جهادنا في هذا مثل جهادنا يوم قازان، والجبلية، والجهمية، والاتحادية، وأمثال ذلك، وذلك من أعظم نعم الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

مجموع الفتاوى ٢٨/٥٧- ٥٩

الرسالة السادسة

رسالة إلى أحد أصحابه، وتسمى

(حقيقة مذهب الاتحاديين أووحدة الوجود)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. وأشهد أن لا اله إلا الله الأحد الحق المبين. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين ﷺ. تسليما كثيرا، وعلى سائر إخوانه المرسلين.

أما بعد فقد وصل كتابك تلتمس فيه بيان مذهب هؤلاء الاتحادية وبيان بطلانه، وأنك كنت قد سمعت مني بعض البيان لفساد قولهم، وضاق الوقت بك عن استتمام بقية البيان، وأعجلك السفر، حتى رأيت عندكم بعض من ينصر قولهم ممن ينتسب إلى الطريقة والحقيقة، وصادف مني كتابك موقعا ووجدت محلا قابلا.

وقد كتبت بما أرجو أن ينفع الله به المؤمنين ويدفع به بأس هؤلاء الملاحدة المنافقين، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته المخلوقات والمنزلات في كتابه المبين، ويبين الفرق بين ما عليه أهل التحقيق واليقين من أهل العلم والمعرفة المهتدين، وبين ما عليه هؤلاء الزنادقة المتشبهين بالعارفين، كما تشبه بالأنبياء من تشبه من المتنبئين، كما شبهوا بكلام الله ما شبهوه به من الشعر المفتعل وأحاديث المفترين، ليتبين أن هؤلاء من جنس الكفار المنافقين المرتدين، أتباع فرعون والقرامطة الباطنيين،

وأصـــحاب مســـيلمة والعنســـي ونحـــوهما من المفترين، وأن أهل العلم والإيمان من الصـــديقين والشهداء والصالحين سواء كانوا من المقربين السابقين، أو من المقتصدين أصحاب اليمين، هم من أتباع إبراهيم الخليل وموسى الكليم ومحمد المبعوث إلى الناس أجمعين.....

اعلـــم -هـــداك الله وأرشدك- أن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده لا يحـــتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة بل وهم أيضا لا يفهمون حقـــيقة مـــا يقصدونه ويقولونه، ولهذا يتناقضون كثيرا في قولهم، وإنما ينتحلون شيئا ويقولونه أو يتبعونه.

ولهـــذا قـــد افتـــرقوا بينهم على فرق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم، مع استشعارهم انهم مفترقون.

ولهـــذا لمـــا بيـــنت لطوائف من أتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم، وسر مذهبهم، صـــاروا يعظمون ذلك، ولولا ما أقرنه بذلك من الذم والرد لجعلوني من أئمتهم، وبذلوا لـــي من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يجل عن الوصف، كما تبذله النصارى لرؤسائهم، والإسماعيلية لكبرائهم، وكما بذل آل فرعون لفرعون..........

واعلـــم أن هـــذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه، ولكـــن رأيت في بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو أنه حكى عن بعض الفلاسفة قـــوله: إن الوجود واحد ورد ذلك، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين، وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار......

وكـــان جماعة من الفضلاء، حتى بعض من خاطبني فيه وانتصر له، يرى أنه كان يستحل الكذب ويختارون أن يقال كان يتعمد الكذب، وأن ذلك هو أهون من الكفر، ثـــم صرحوا بأن مقالته كفر، وكان ممن يشهد عليه بتعمد الكذب غير واحد من عقلاء الناس وفضلائهم من المشايخ والعلماء.....

وحدثنـــي الثقة عن الفاجر التلمساني أنه كان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد وإنما التوحيد في كلامنا......

ولقـد كـنت أقول لو كان المخاطب لنا من يفضل إبراهيم أو موسى أو عيسى علـى محمـد لكانت مصيبة عظيمة لا يحتملها المسلمون، فكيف بمن يفضل رجلا من أمـة محمـد علـى محمد وعلى جميع الأنبياء والرسل في أفضل العلوم؟ ويدعى أنهم يأخـذون ذلـك مـن مشكاته، وهذا العلم هو غاية الإلحاد والزندقة، وهذا المفضل من أضـل بنـي آدم وأبعـدهم عـن الصراط المستقيم، وإن كان له كلام كثير ومصنفات مـتعددة، ولـه معـرفة بأشـياء كثيرة، وله استحواذ على قلوب طوائف من أصناف المتفلسـفة والمتصـوفة والمتكلمة والمتفقهة والعامة، فإن هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالاً عند أهل العلم والإيمان، والله أعلم.

وقـد تبـين أن فـي هـذا الكلام من الكفر والتنقيص بالرسل والاستخفاف بهم والغض منهم بل والكفر بهم وبما جاؤا به ما لا يخفى على مؤمن.

وقد حدثني أحد أعيان الفضلاء أنه سمع الشيخ إبراهيم الجعبري رحمة الله عليه يقـول: رأيت ابن عربي وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله الله، ولقد صدق فيما قال، ولكن هذا بعض الأنواع التي ذكرها من الكفر.

وكذلك قول أبي محمد بن عبد السلام هو شيخ سوء مقبوح كذاب.........

وحدثنـي صـاحبنا الفقـيه الصوفي أبو الحسن علي بن قرباص أنه دخل على الشيخ قطب الدين بن القسطلاني فوجده يصنف كتابا، فقال ما هذا؟ فقال: هذا في الرد على ابن سبعين وابن الفارض وأبي الحسن الجزلي والعفيف التلمساني.

وحدثنـي عن جمال الدين بن واصل وشمس الدين الإصبهاني أنهما كانا ينكران كلام ابن عربي ويبطلانه، ويردان عليه، وأن الأصبهاني رأى معه كتابا من كتبه فقال لـه: إن اقتنيت شيئا من كتبه فلا تجيء إلي أو ما هذا معناه، وإن ابن واصل لما ذكر كلامه في التفاحة التي انقلبت عن حوراء فتكلم معها أو جامعها، فقال: والله الذي لا إله إلا هو يكذب، ولقد بر في يمينه.

وحدثني صاحبنا العالم الفاضل أبو بكر بن سالار عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العبد شيخ وقته عن الإمام أبي محمد بن عبد السلام أنهم سألوه عن ابن عربي لما دخل مصـر، فقـال: شيخ سوء كذاب مقبوح، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجا، وكان تقي

الــدين يقــول: هو صاحب خيال واسع، حدثني بذلك غير واحد من الفقهاء المصريين ممــن ســمع كلام ابن دقيق العيد، وحدثني ابن بحير عن رشيد الدين سعيد وغيره أنه قال: كان يستحل الكذب هذا أحسن أحواله.

وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغى شيخ زمانه أنه لما قدم وبلغه كــلام هــؤلاء في التوحيد، قال: قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئا فرأيته مخالفــا للكتاب والسنة، فلما ذكرت ذلك له قال: القرآن ليس فيه توحيد، بل القرآن كله شــرك، ومــن اتــبع القرآن لم يصل إلى التوحيد. قال: فقلت له: ما الفرق عندكم بين الــزوجة والأجنبــية والأخــت، الكل واحد؟ قال: لا فرق بين ذلك عندنا، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما فقلنا هو حرام عليهم عندهم وأما عندنا فما ثم حرام.

وحدثنــي كمال الدين المراغي أنه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذهب قال: وكــنت أقــرأ علــيه في ذلك فإنهم كانوا قد عظموه عندنا، ونحن مشتاقون إلى معرفة فصــوص الحكم، فلما صار يشرحه لي أقول هذا خلاف القرآن والأحاديث، فقال ارم هذا كله خلف الباب، واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد أو كما قال، ثم خاف أن أشيع ذلك عنه فجاء إلى باكيا، وقال: استر عني ما سمعته مني.

وحدثنــي أيضا كمال الدين، أنه اجتمع بالشيخ أبي العباس الشاذلي تلميذ الشيخ أبي الحسن، فقال عن التلمساني: هؤلاء كفار هؤلاء يعتقدون أن الصنعة هي الصانع.

قال: وكنت قد عزمت على أن أدخل الخلوة على يده فقلت: أنا لا آخذ عنه هذا، وإنمــا أتعلم منه أدب الخلوة فقال لي: مثلك مثل من يريد أن يتقرب إلى السلطان على يــد صــاحب الأتون والزبال فإذا كان الزبال هو الذي يقربه إلى السلطان كيف يكون حاله عند السلطان؟

وحدثنا أيضا قال: قال لي قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد: إنما استولت التــتار على بلاد المشرق لظهور الفلسفة فيهم، وضعف الشريعة، فقلت له: ففي بلادكم مــذهب هؤلاء الذين يقولون بالاتحاد، وهو شر من مذهب الفلاسفة؟ فقال: قول هؤلاء لا يقوله عاقل، بل كل عاقل يعلم فساد قول هؤلاء يعني أن فساده ظاهر، فلا يذكر هذا

فـيما يشتبه على العقلاء، بخلاف مقالة الفلاسفة، فإن فيها شيئا من المعقول وإن كانت فاسدة.

وحدثنـــي تـاج الدين الأنباري الفقيه المصرى الفاضل، أنه سمع الشيخ إبراهيم الجعبـري يقول: رأيت ابن عربي شيخا مخضوب اللحية، وهو شيخ نجس، يكفر بكل كتاب أنزله الله، وكل نبي أرسله الله.

وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم أنه قال كنت وأنا شاب بدمشق أسمع الناس يقولون عن ابن عربي، والخسر وشاهي: أن كلاهما زنديق أو كلاما هذا معناه

وحدثنـــي عن الشيخ إبراهيم الجعبري أنه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد:

إن كان منزلتي في الحب عندكم	ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا	واليوم أحسبها أضغاث أحلام

وحدثنـــي الفقـيه الفاضل تاج الدين الأنباري أنه سمع الشيخ إبراهيم الجعبري يقـول: رأيـت فـي منامـي ابن عربي وابن الفارض، وهما شيخان أعميان يمشيان ويتعثران، ويقولان: كيف الطريق! أين الطريق؟

وحدثنـــي شـهاب الدين المزي عن شرف الدين ابن الشيخ نجم الدين بن الحكيم عـن أبـيه أنه قال: قدمت دمشق فصادفت موت ابن عربي، فرأيت جنازته كأنما ذر علـيها الـرماد، فـرأيتها لا تشبه جنائز الأولياء، أو قال: فعلمت أن هذه أو نحو هذا، وعـن أبيه عن الشيخ إسماعيل الكوراني أنه كان يقول: ابن عربي شيطان، وعنه أنه كان يقول عن الحريري: إنه شيطان.

وحدثنـــي شهاب الدين عن القاضي شرف الدين البازيلي أن أباه كان ينهاه عن كلام ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين.

مجموع الفتاوى ٢/١٣٤-٢٨٥

الرسالة السابعة

رسالة من ابن تيمية يحض فيها المسلمين على جهاد التتار سنة تسع وتسعين وستمائة لما قدموا إلى حلب وانصرف عسكر مصر وبقي عسكر الشام

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين -أحسن الله إليهم في الدنيا والآخرة، وأسبغ عليهم نعمه باطنة وظاهرة، ونصرهم نصرا عزيزا، وفتح عليهم فتحا كبيرا، وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا، وجعلهم معتصمين بحبله المتين، مهتدين إلى صراطه المستقيم- سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا اله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، ونسأله أن يصلي على صفوته من خليقته، وخيرته من بريته، محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد: فإن الله عز وجل بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، وجعله خاتم النبيين، وسيد ولد آدم من الناس أجمعين، وجعل كتابه الذي أنزله عليه مهيمنا على ما بين يديه من الكتب ومصدقا لها، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فهم يوفون سبعين فرقة هم خيرها وأكرمها على الله، وقد أكمل لهم دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام دينا. فليس دين أفضل من دينهم الذي جاء به رسولهم، ولا كتاب أفضل من كتابهم، ولا أمة خير من أمتهم. بل كتابنا ونبينا وديننا وأمتنا أفضل من كل كتاب ودين ونبي وأمة.

فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠] واحفظوا هذه التي بها تنالون نعيم الدنيا والآخرة، واحذروا أن تكونوا ممن بدل نعمة الله كفرا، فتعرضون عن حفظ هذه النعمة ورعايتها، فيحيق بكم ما حاق بمن انقلب على عقبيه، واشتغل بما لا ينفعه من أمر الدنيا عما لا بد له منه من مصلحة دينه ودنياه، فخسر الدنيا والآخرة.

فقد سمعتم ما نعت الله به الشاكرين والمنقلبين حيث يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

أنــزل الله سـبحانه هـذه الآية وما قبلها وما بعدها في غزوة أحد، لما انكسر المسـلمون مع النبي ﷺ، وقتل جماعة من خيار الأمة وثبت رسول الله ﷺ مع طائفة يسـيرة حتــى خلص اليه العدو، فكسروا رباعيته، وشجوا وجهه، وهشموا البيضة علــى رأسه، وقتل وجرح دونه طائفة من خيار أصحابه لذبهم عنه، ونعق الشيطان فـيهم: إن محمدا قد قتل. فزلزل ذلك قلوب بعضهم، حتى انهزم طائفة، وثبت الله آخرين حتى ثبتوا.

وكـذلك لما قبض النبي ﷺ فتزلزلت القلوب، واضطرب حبل الدين، وغشيت الذلــة من شاء الله من الناس، حتى خرج عليهم الصديق رضي الله تعالى عنه، فقال: مــن كــان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، وقــرأ قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمـــران: ١٤٤] فكـأن الناس لم يسمعوها حتى تلاها الصديق رضي الله عنه فلا يوجد من الناس إلا من يتلوها.

وارتد بسبب موت الرسول ﷺ ولما حصل لهم من الضعف جماعات من الناس قــوم ارتــدوا عــن الدين بالكلية، وقوم ارتدوا عن بعضه، فقالوا: نصلي ولا نزكي. وقــوم ارتــدوا عــن إخلاص الدين الذي جاء به محمد ﷺ فآمنوا مع محمد بقوم من النبيــين الكذابــين، كمسـيلمة الكـذاب وطليحة الأسدي وغيرهما، فقام إلى جهادهم الشاكرون الذين ثبتوا على الدين أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار والطلقاء والأعــراب ومن اتبعهم بإحسان، الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائـــدة: ٥٤] هــم أولئك الذين جاهدوا المنقلبين على أعقابهم الذين لم يضروا الله شيئا.

ومـــا أنزل الله في القرآن من آية إلا وقد عمل بها قوم، وسيعمل بها آخرون. فمـــن كـــان من الشاكرين الثابتين على الدين الذين يحبهم الله عز وجل ورسوله، فإنه يجاهـــد المنقلبـــين علـــى أعقابهم الذين يخرجون عن الدين ويأخذون بعضه ويدعون بعضـــه، كحـــال هؤلاء القوم المجرمين المفسدين، الذين خرجوا على أهل الإسلام، وتكلـــم بعضـــهم بالشهادتين، وتسمى بالإسلام من غير التزام شريعته، فإن عسكرهم مشتمل على أربع طوائف:

كافرة باقية على كفرها: من الكرج والأرمن والمغول.

وطائفـــة كانـــت مسلمة فارتدت عن الإسلام، وانقلبت على عقبيها من العرب، والفرس، والروم، وغيرهم. وهؤلاء أعظم جرما عند الله وعند رسوله والمؤمنين من الكافـــر الأصـــلي مـــن وجوه كثيرة. فإن هؤلاء يجب قتلهم حتما مالم يرجعوا إلى ما خـــرجوا عنه، لا يجوز أن يعقد لهم ذمة، ولا هدنة، ولا أمان، ولا يطلق أسيرهم، ولا يفـــادى بمال ولا رجال، ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، ولا يسترقون، مع بقائهم علـــى الـــردة بالاتفاق. ويقتل من قاتل منهم. ومن لم يقاتل، كالشيخ الهرم، والأعمى، والزمن، باتفاق العلماء، وكذا نساؤهم عند الجمهور.

والكافـــر الأصلي يجوز أن يعقد له أمان وهدنة، ويجوز المن عليه والمفاداة به إذا كـــان أسيرا عند الجمهور، ويجوز إذا كان كتابيا أن يعقد له ذمة، ويؤكل طعامهم، وتـــنكح نساؤهم، ولا تقتل نساؤهم إلا أن يقاتلن بقول أو عمل باتفاق العلماء. وكذلك لا يقتل منهم إلا من كان من أهل القتال عند جمهور العلماء، كما دلت عليه السنة.

فالكافـــر المـــرتد أســـوأ حالا في الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره، وهؤلاء القوم منهم من المرتدة ما لا يحصي عددهم إلا الله فهذان صنفان.

وفـــيهم أيضـــا من كان كافرا فانتسب إلى الإسلام ولم يلتزم شرائعه، من إقامة الصـــلاة، وإيـــتاء الـــزكاة، وحج البيت، والكف عن دماء المسلمين وأموالهم، والتزام الجهاد في سبيل الله وضرب الجزية على اليهود والنصارى، وغيرذلك.

وهـــؤلاء يجـــب قـــتالهم بإجماع المسلمين، كما قاتل الصديق مانعي الزكاة، بل هـــؤلاء شر منهم من وجوه، وكما قاتل الصحابة أيضا مع أمير المؤمنين علي رضي

الله عنه الخوارج بأمر رسول الله، حيث قال ﷺ في وصفهم: "تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة". وقال: "لو يعلم الذين يقاتلون ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل". وقال: "هم شر الخلق والخليقة، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه". فهؤلاء مع كثرة صيامهم وصلاتهم وقرائتهم أمر النبي ﷺ بقتالهم، وقاتلهم أمير المؤمنين علي وسائر الصحابة الذين معه، ولم يختلف احد في قتالهم، كما اختلفوا في قتال أهل البصرة والشام، لأنهم كانوا يقاتلون المسلمين. فإن هؤلاء شر من أولئك من غير وجه، وإن لم يكونوا مثلهم في الاعتقاد فإن معهم من يوافق رأية في المسلمين رأي الخوارج. فهذه ثلاثة أصناف.

وفيهم صنف رابع شر من هؤلاء، وهم قوم ارتدوا عن شرائع الإسلام وبقوا مستمسكين بالانتساب إليه. فهؤلاء الكفار المرتدون، والداخلون فيه من غير التزام لشرائعه والمرتدون عن شرائعه، لا عن سمته كلهم يجب قتالهم بإجماع المسلمين. حتى يلتزموا شرائع الإسلام، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وحتى تكون كلمة الله -التي هي كتابه وما فيه من أمره ونهيه وخبره- هي العليا. هذا إذا كانوا قاطنين في أرضهم، فكيف إذا استولوا على أراضي الإسلام: من العراق، وخراسان، والجزيرة، والروم، فكيف إذا قصدوكم وصالوا عليكم بغيا وعدوانا: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة ١٣-١٥].

واعلموا أصلحكم الله أن النبي ﷺ قد ثبت عنه من وجوه كثيرة أنه قال: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، إلى قيام الساعة. "وثبت أنهم بالشام.

فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق: الطائفة المنصورة، وهم المجاهدون لهـؤلاء القـوم المفسدين. والطائفة المخالفة، وهم هؤلاء القوم، ومن تحيز إليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام. والطائفة المخذلة، وهم القاعدون عن جهادهم، وإن كانوا صـحيحي الإسلام. فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة؟ فما بقي قسم رابع.

واعلمـوا أن الجهاد فيه خير الدنيا والإخرة، وفى تركه خسارة الدنيا والإخرة، قـال الله تعالى في كتابه: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ يعني: إما النصـر والظفـر، وإما الشهادة والجنة. فمن عاش من المجاهدين كان كريما له ثواب الدنـيا، وحسـن ثـواب الإخرة. ومن مات منهم أو قتل فإلى الجنة. قال النبي ﷺ: "يعطـى الشـهيد سـت خصال، يغفر له بأول قطرة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويكسـى حلـة من الإيمان، ويزوج ثنتين وسبعين من الحور العين، ويوقى فتنة القبر، ويؤمن من الفزع الأكبر". رواه أهل السنن. وقال ﷺ: " إن في الجنة لمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض، أعدها الله سبحانه وتعالى للمجاهدين فـي سـبيله". فهذا ارتفاع خمسين ألف سنة في الجنة لأهل الجهاد. وقال ﷺ: "مثل المجاهـد فـي سبيل الله مثل الصائم القائم القانت، الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام". وقال رجل: أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله. قال: لا تستطيعه. قال: أخبرني بـه. قـال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم لا تفطر، وتقوم لا تفتر؟ قال: لا. قال: فذلك الذي يعدل الجهاد في سبيل الله". وهذه الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

وكـذلك اتفـق العلمـاء - فيما أعلم- على أنه ليس في التطوعات أفضل من الجهـاد، فهـو أفضـل مـن الحج، وأفضل من الصوم التطوع، وأفضل من الصلاة التطوع.

والمرابطة في سبيل الله أفضل من المجاورة بمكة والمدينة وبيت المقدس، حتى قـال أبو هريرة رضي الله عنه: لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود. فقد اختار الرباط ليلة على العبادة في أفضل الليالى عند أفضـل الـبقاع. ولهذا كان النبي ﷺ وأصحابه يقيمون بالمدينة دون مكة، لمعان منها

أنهم كانوا مرابطين بالمدينة. فان الرباط هو المقام بمكان يخيفه العدو، ويخيف العدو، فمن أقام فيه بنية دفع العدو فهو مرابط، والأعمال بالنيات، قال رسول الله ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم سواه فيما من المنازل". رواه أهل السنن وصححوه. وفي صحيح مسلم عن سلمان أن النبي ﷺ قال: "رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطا أجري عليه عمله، وأجري عليه رزقه من الجنة، وأمن الفتان". يعني منكرا ونكيرا. فهذا في الرباط فكيف الجهاد؟ وقال ﷺ: "لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في وجه عبد أبدا". وقال: "من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار". فهذا في الغبار الذي يصيب الوجه والرجل، فكيف بما هو أشق منه، كالثلج والبرد والوحل.

ولهذا عاب الله عز وجل المنافقين الذين يتعللون بالعوائق، كالحر والبرد. فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١]. وهكذا الذين يقولون: لا تنفروا في البرد، فيقال: نار جهنم أشد بردا، كما أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: " اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربي أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر والبرد فهو من زمهرير جهنم". فالمؤمن يدفع بصبره على الحر والبرد في سبيل الله حر جهنم وبردها، والمنافق يفر من حر الدنيا وبردها حتى يقع في حر جهنم وزمهريرها.

واعلموا أصلحكم الله أن النصرة للمؤمنين والعاقبة للمتقين، وأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وهؤلاء القوم مقهورون مقموعون. والله سبحانه وتعالى ناصرنا عليهم، ومنتقم لنا منهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فأبشروا بنصر الله تعالى وبحسن عاقبته: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] وهذا أمر قد يتيقناه وتحققناه، والحمد لله رب العالمين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٠-١٤].

واعلموا أصلحكم الله أن من أعظم النعم على من أراد الله به خيرا أن أحياه إلى هـذا الـوقت الذي يجدد الله فيه الدين، ويحيي فيه شعار المسلمين، وأحوال المؤمنين والمجاهـدين، حتى يكون شبيها بالسابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار. فمن قام في هذا الوقت بذلك كان من التابعين لهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعـد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم. فينبغي للمؤمنـين أن يشـكروا الله تعالى على هذه المحنة التي حقيقتها منحة كريمة من الله، وهـذه الفتـنة التـي في باطنها نعمة جسيمة، حتى والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار - كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم - حاضرين في هذا الزمان، لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين.

ولا يفـوت مـثل هذه الغزاة إلا من خسرت تجارته، وسفه نفسه، وحرم حظا عظـيما مـن الدنـيا والآخرة، إلا أن يكون ممن عذر الله تعالى، كالمريض، والفقير، والأعمـى، وغيـرهم، وإلا فمـن كـان لـه مال وهو عاجز ببدنه فليغز بماله. ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقـد غزا. " ومن كان قادرا ببدنه وهو فقير فليأخذ من أموال المسلمين ما يتجهز به، سـواء كـان المأخـوذ زكاة، أو صلة، أو من بيت المال، أو غير ذلك، حتى لو كان الـرجل قد حصل بيده مال حرام وقد تعذر رده إلى أصحابه لجهله بهم ونحو ذلك، أو كان بيده ودائع أو رهون أو عوار قد تعذر معرفة أصحابها فلينفقها في سبيل الله فإن ذلك مصرفها.

ومن كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد، فإن الله عز وجل يغفر ذنوبه، كما أخبر الله في كتابه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف: ١٢] ومن أراد الـتخلص مـن الحـرام والتوبة ولا يمكن رده إلى أصحابه فلينفقه في سبيل الله عن أصحابه، فإن ذلك طريق حسنة إلى خلاصه، مع مايحصل له من أجر الجهاد.

وكـذلك مـن أراد أن يكفـر الله عنه سيئاته في دعوى الجاهلية وحميتها فعليه بالجهاد، فإن الذين يتعصبون للقبائل وغيرالقبائل، مثل قيس ويمن وهلال وأسد ونحو ذلـك، كل هؤلاء إذا قتلوا فإن القاتل والمقتول في النار، كذلك صح عن النبي ﷺ أنه قـال: "إذا التقـى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل أخيه". أخرجاه في الصحيحين. وقـال ﷺ: "ن قتل تحت راية عمية: يغضب لعصبية، ويدعو لعصبية، فهو في النار". رواه مسـلم. وقـال ﷺ: "من تعزى بعزاء أهل الجاهلية فأعضوه هن أبيه ولا تكنوا". فسمع أبي بن كعب رجلا يقول: يا لفلان! فقال: اعضض أير أبيك، فقال: يا أبا المنذر! ما كنت فاحشا. فقال: بهذا أمرنا رسول الله ﷺ". رواه أحمد في مسنده.

ومعنى قوله: "من تعزى بعزاء الجاهلية" يعني يعتزي بعزواتهم، وهي الانتساب إلـيهم فـي الدعوة، مثل قوله: يالقيس! باليمن! ويالهلال! ويالأسد. فمن تعصب لأهل بلدته، أو مذهبه، أو طريقته، أو قرابته، أو لأصدقائه دون غيرهم، كانت فيه شعبة من الجاهلـية، حتـى يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالى معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله، فإن كتابهم واحد، ودينهم واحد، ونبيهم واحد، وربهم إله واحد، لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، وإليه ترجعون. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠١-١٠٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل الفرقة والبدعة.

فالله! الله! عليكم بالجماعة والائتلاف على طاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله، يجمع الله قلوبكم، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويحصل لكم خير الدنيا والإخرة. أعاننا الله وإياكم على طاعته وعبادته، وصرف عنا وعنكم سبيل معصيته، وآتانا وإياكم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ووقانا عذاب النار، وجعلنا وإياكم ممن رضي الله عنه وأعد له جنات النعيم، إنه على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل. والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مجموع الفتاوى ٢٨/٤١٠-٤٢٣

الرسالة الثامنة

رسالة من ابن تيمية لعموم المسلمين يحضهم فيها على قتال التتار، وتذكيرهم بغزوة الأحزاب، ومقارنة فتنة التتار بفتنة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، ونسأله أن يصلي على صفوته من خليقته وخيرته من بريته محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد: فقد صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)﴾ [الأحزاب: ٢٥] والله تعالى يحقق لنا التمام بقوله: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧].

فــإن هــذه الفتــنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد، الخارج عن شــريعة الإسلام، قد جرى فيها شبيه بما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ، فــي المغــازي التي أنزل الله فيها كتابه، وابتلى بها نبيه والمؤمنين، مما هو أســوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا إلى يوم القيامة، فإن نصوص الكــتاب والســنة، اللــذين هما دعوة محمد ﷺ، يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعــنوي، أو بالعمــوم المعــنوي. وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمــة، كمــا نالت أولها. وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم، لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بمــا كــان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافــر والمنافق من المتقدمين، كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصلة، وأجمل قصــص الأنبــياء. ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوســف: ١١١] أي هــذه لقصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة كنحو مايذكر في الحروب من السير المكذوبة.

وقــال تعالى لما ذكر قصة فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [الــنازعات: ٢٥-٢٦]. وقال في سيرة نبينا محمد ﷺ مع أعدائه ببدر وغيرها: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمــران: ١٣]. وقال تعالى في محاصرته لبني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ [الحشــــر: ٢] فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة، وممن قبلها من الأمم.

وذكـر فـي غير موضع أن سننه في ذلك سنة مطردة، وعادته مستمرة. فقال تعالـى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢]. وقـال تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣]. وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين كدأب الكافرين من المستقدمين.

فينبغـي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عبادة، ودأب الأمم وعاداتهم، لا سـيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها، واستطار في جميع ديـار الإسلام شررها، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسـه، وكـاد فـيه عمود الكتاب أن يجتث ويخترم، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصـطلم، وعقـر دار المؤمنـين أن يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجـرة التتار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أن ما وعدهم الله ورسوله إلا غـرورا. وأن لـن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبدا. وزين ذلك في قلوبهم، وظـنوا ظن السوء وكانوا قوما بورا، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الـرجل الصـاحي منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا الـيقظان، وتناكـرت فيها قلوب المعارف والإخوان، حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان، من الذين في قلوبهم مرض أو نفـاق وضـعف إيمان، ورفع بها أقواما إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقواما إلـى المنازل الهاوية، وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى.

فـإن الـناس تفـرقوا فـيها ما بين شقي وسعيد، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعـود، وفر الرجل فيها من أخيه وأمه وأبيه، إذ كان لكل امرىء منهم شأن يغنيه وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه، لا يلوى على ماله ولا ولده ولا عرسه.

كمـــا أن منهم من فيه قوة على تخليص الأهل والمال. وآخر فيه زيادة معونة لمن هو منه ببال وآخر منزلته منزلة الشفيع المطاع. وهم درجات عند الله في المنفعة والدفاع، ولـــم تـــنفع المـــنفعه الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعمل الصالح والبر والتقوى، وبلـــيت فيها السرائر، وظهرت الخبايا التي كانت تكنها الضمائر، وتبين أن البهرج من الأقـــوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل. وذم سادته وكبراءه من أطـــاعهم فأضلوه السبيلا. كما حمد ربه من صدق في إيمانه فاتخذ مع الرسول سبيلا. وبـــان صدق ما جاءت به الآثار النبوية من الأخبار بما يكون. وواطأتها قلوب الذين هـــم في هذه الأمة محدثون، كما تواطأت عليه المبشرات التي أريها المؤمنون. وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلـــى يـــوم القـــيامة. حيث تحزبت الناس ثلاثة أحزاب: حزب مجتهد في نصر الدين. وآخر خاذل له. وآخر خارج عن شريعة الإسلام.

وانقســـم الناس ما بين مأجور ومعذور، وآخر قد غره بالله الغرور، وكان هذا الامتحان تمييزا من الله وتقسيما: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤)﴾ [الأحزاب: ٢٤]

ووجـــه الاعتبار في هذه الحادثة العظيمة: أن الله تعالى بعث محمدا ﷺ بالهدى وديـــن الحق ليظهره على الدين كله، وشرع له الجهاد إباحة له أولا، ثم إيجابا له ثانيا لمـــا هاجر إلى المدينة، وصار له فيها أنصار ينصرون الله ورسوله، فغزا بنفسه ﷺ مدة مقامة بدار الهجرة، وهو نحو عشر سنين، بضعا وعشرين غزوة، أولها غزوة بدر وآخرها غزوة تبوك، أنزل الله في أول مغازيه سورة الأنفال وفي آخرها سورة براءة. وجمـــع بينهما في المصحف، لتشابه أول الأمر وآخره، كما قال أمير المؤمنين عثمان لما سئل عن القران بين السورتين من غير فصل بالبسملة.

وكان القتال منها في تسع غزوات.

فأول غزوات القتال بدر، وآخرها حنين، والطائف، وأنزل الله فيها ملائكته، كما أخبـــر بـــه القـــرآن، ولهـــذا صار الناس يجمعون بينهما في القول، وإن تباعد ما بين الغـــزوتين مكانا وزمانا، فإن بدرا كانت في رمضان، في السنة الثانية من الهجرة، ما

بـين المدينة ومكة، شامي مكة، وغزوة حنين في آخر شوال من السنة الثامنة. وحنين واد قـريب من الطائف، شرقي مكة، ثم قسم النبي ﷺ غنائمها بالجعرانة واعتمر من الجعـرانة. ثـم حاصر الطائف فلم يقاتله أهل الطائف زحفا وصفوفا وإنما قاتلوه من وراء جـدار، فآخـر غزوة كان فيها القتال زحفا واصطفافا هي غزوة حنين، وكانت غـزوة بـدر أول غـزوة ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار، وقتل الله أشرافهم وأسـر رءوسهم، مع قلة المسلمين وضعفهم، فإنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، ليس معهـم إلا فرسـان، وكـان يعتقب الاثنان والثلاثة على البعير الواحد، وكان عدوهم بقدرهم أكثر من ثلاث مرات، في قوة وعدة وهيئة وخيلاء.

فلمـا كان من العام المقبل غزا الكفار المدينة، وفيها النبي ﷺ وأصحابه، فخرج إلـيهم النبي ﷺ وأصحابه في نحو من ربع الكفار، وتركوا عيالهم بالمدينة، لم ينقلوهم إلى موضع آخر، وكانت أولا الكرة للمسلمين عليهم، ثم صارت للكفار. فانهزم عامة عسـكر المسـلمين إلا نفـرا قلـيلا حول النبي ﷺ، منهم من قتل، ومنهم من جرح، وحرصـوا على قتل النبي حتى كسروا رباعيته، وشجوا جبينه، وهشموا البيضة على رأسـه. وأنزل الله فيها شطرا من سورة آل عمران، من قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمـران: ١٢١] وقال فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥] وقال فيها: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢] وقـال فيها: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وكـــان الشـــيطان قد نعق في الناس: أن محمدا قد قتل، فمنهم من تزلزل لذلك فهـــرب، ومنهم من ثبت فقاتل، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٤] وكان هذا مثل حال المسلمين لمـــا انكســـروا فـــي العام الماضي. وكانت هزيمة المسلمين في العام الماضي بذنوب ظاهـــرة، وخطايـــا واضـــحة، من فساد النيات، والفخر والخيلاء، والظلم، والفواحش، والإعـــراض عـــن حكم الكتاب والسنة، وعن المحافظة على فرائض الله، والبغي على كثيـــر من المسلمين الذين بأرض الجزيرة والروم، وكان عدوهم في أول الأمر راضيا مـــنهم بالمـــوادعة والمسالمة، شارعا في الدخول في الإسلام. وكان مبتدئا في الإيمان والأمان، وكانوا هم قد أعرضوا عن كثير من أحكام الإيمان.

فكـــان من حكمة الله ورحمته بالمؤمنين أن ابتلاهم بما ابتلاهم به ليمحص الله الـــذين آمـــنوا، وينيبوا إلى ربهم، وليظهر من عدوهم ما ظهر منه من البغي والمكر، والنكث، والخروج عن شرائع الإسلام، فيقوم بهم ما يستوجبون به النصر، وبعدوهم ما يستوجب به الانتقام.

فقـــد كـــان في نفوس كثير من مقاتلة المسلمين ورعيتهم من الشر الكبير، ما لو يقتـــرن به ظفر بعدوهم الذي هوعلى الحال المذكورة لأوجب لهم ذلك من فساد الدين والدنـــيا مـــا لا يوصـــف. كمـــا أن نصـــر الله للمسلمين يوم بدر كان رحمة ونعمة، وهزيمتهم يوم أحد كان نعمة ورحمة على المؤمنين، فإن النبي ﷺ قال: "لا يقضي الله للمـــؤمن قضاء إلا كان خيرا له. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء فشكر الله كان خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له".

فلمـــا كانت حادثة المسلمين عام أول شبيهة بأحد، وكان بعد أحد بأكثر من سنة وقـــيل بســـنتين قـــد ابتلي المسلمون عام الخندق. كذلك في هذا العام ابتلي المؤمنون بعدوهم، كنحو ما ابتلي المسلمون مع النبي ﷺ عام الخندق، وهي غزوة الأحزاب التي أنزل الله فيها سورة الأحزاب، وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة التي نصر الله فيها عـــبده ﷺ، وأعز فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير

قـــتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم. ذكر فيها خصائص رسول الله ﷺ وحقوقه، وحرمته، وحرمة أهل بيته، لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال، كما كان ذلـــك في غزوتنا هذه سواء. وظهر فيها سر تأييد الدين، كما ظهر في غزوة الخندق، وانقسم الناس فيها كانقسامهم عام الخندق.

وذلـــك أن الله تعالى منذ بعث محمدا ﷺ وأعزه بالهجرة والنصرة صار الناس ثلاثة أقسام:

قسما مؤمنين، وهم الذين آمنوا به ظاهرا وباطنا.

وقسما كفارا، وهم الذين أظهروا الكفر به.

وقسما منافقين، وهم الذين آمنوا ظاهرا، لا باطنا.

ولهــذا افتـــتح ســـورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وثلاث عشرة آية في صفة المنافقين.

وكـــل واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب. كما دلت عليه دلائل الكـــتاب والســـنة، وكمـــا فسره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث المأثور عنه في الإيمان ودعائمه وشعبه.

فمـــن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بـــن أبي وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عـــدم اعـــتقاد وجـــوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحـــو ذلـــك مما لا يكون صاحبه إلا عدوا لله ورسوله. وهذا القدر كان موجودا في زمـــن رسول ﷺ الله وما زال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده، لكون موجبات الإيمـــان على عهده أقوى. فإذا كانت مع قوتها وكان النفاق معها موجودا فوجوده فيما دون ذلك اولى.

وكمـــا أنـــه ﷺ كـــان يعلـــم بعض المنافقين، ولا يعلم بعضهم، كما بينه قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾[الـــتوبة: ١٠١] كـــذلك خلفاؤه بعده وورثته قد يعلمون بعض المنافقين، ولايعلمـــون بعضهم، وفى المنتسبين إلى الإسلام من عامة الطوائف منافقون كثيرون، في الخاصة والعامة، ويسمون الزنادقة.

وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهرف لكون ذلك لايعلم، إذ هم دائما يظهـــرون الإسلام وهؤلاء يكثرون في المتفلسفة من المنجمين ونحوهم، ثم في الأطباء ثم في الكتاب أقل من ذلك. ويوجدون في المتصوفة والمتفقه، وفى المقاتلة والأمراء، وفـــى العامة أيضا. ولكن يوجدون كثيرا في نحل أهل البدع، لا سيما الرافضة. ففيهم مـــن الـــزنادقة والمنافقـــين مـــا لـــيس في أحد من أهل النحل. ولهذا كانت الخرمية، والباطنـــية، والقـــرامطة، والإســـماعيلية، والنصيرية، ونحوهم من المنافقين والزنادقة منتسبة إلى الرافضة.

وهـــؤلاء المـــنافقون فـــي هذه الأوقات لكثير منهم ميل إلى دولة هؤلاء التتار، لكـــونهم لا يلزمونهم شريعة الإسلام، بل يتركونهم وما هم عليه، وبعضهم إنما ينفرون عـــن التتار لفساد سيرتهم في الدنيا، واستيلائهم على الأموال، واجترائهم على الدماء، والسبي، لا لأجل الدين.

فهذا ضرب النفاق الأكبر.

وأمـــا الـــنفاق الأصـــغر فهو النفاق في الأعمال ونحوها، مثل أن يكذب إذا حـــدث، ويخلـــف إذا وعد، ويخون إذا ائتمن، أو يفجر إذا خاصم، ففى الصحيحين عن النبـــي ﷺ قال: " آيةالمنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان". وفي رواية صحيحة: " وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ". وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ".

ومن هذا الباب الإعراض عن الجهاد، فإنه من خصال المنافقين. قال النبي ﷺ: من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق". رواه مسلم. وقد أنـــزل الله ســـورة بـــراءة التي تسمى الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين. أخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس، قال: هي الفاضحة، ما زالت تنزل (ومنهم)، (ومنهم) حتى ظـــنوا أن لا يبقى أحد إلا ذكر فيها. وعن المقداد بن الأسود قال: هي (سورة البحوث) لأنهـــا بحـــثت عن سرائر المنافقين. وعن قتادة قال: هي المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين.

وعن ابن عباس قال: هي المبعثرة. والبعثرة والإثارة متقاربان.

وعن ابن عمر: أنها المقشقشة. لأنها تبرىء من مرض النفاق. يقال: تقشقش المريض إذا برأ. وقال الأصمعي: وكان يقال لسورتي الإخلاص: المقشقشتان، لأنهما يبرئان من النفاق.

وهذه السورة نزلت في آخر مغازي النبي ﷺ، غزوة تبوك، عام تسع من الهجرة، وقد عز الإسلام وظهر. فكشف الله فيها أحوال المنافقين، ووصفهم فيها بالجبن وترك الجهاد. ووصفهم بالبخل عن النفقة في سبيل الله، والشح على المال، وهذان داءان عظيمان: الجبن والبخل. قال النبي ﷺ: "شر ما في المرء شح هالع، وجبن خالع" حديث صحيح، ولهذا قد يكونان من الكبائر الموجبة للنار، كما دل عليه قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

وأما وصفهم بالجبن والفزع فقال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة: ٥٦-٥٧]. فأخبر سبحانه أنهم وإن حلفوا أنهم من المؤمنين فما هم منهم، ولكن يفزعون من العدو، ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ يلجأون إليه من المعاقل والحصون التي يفر إليها من يترك الجهاد، أو ﴿مَغَارَاتٍ﴾ وهي جمع مغارة، ومغارات سميت بذلك لأن الداخل يغور فيها، أي يستتر كما يغور الماء. ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ وهو الذي يتكلف الدخول إليه، اما لضيق بابه، أو لغيرذلك. أي مكانا يدخلون إليه. ولو كان الدخول بكلفة ومشقة ﴿لَّوَلَّوْا﴾ عن الجهاد ﴿إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

أي يســرعون إسراعا لا يردهم شيء، كالفرس الجموح الذي اذا حمل لا يرده اللجام، وهذا وصف منطبق على أقوام كثيرين في حادثتنا، وفيما قبلها من الحوادث وبعدها.

وكذلك قال في سورة محمد ﷺ: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾ [محمد: ٢١]. أي فبعداً لهم. (طاعة وقول معروف) [محمد: ٢١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجـرات: ١٥]، فحصـر المؤمنـين فيمن آمن وجاهد.

وقـال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥] فهذا إخبار مــن الله بأن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد، وإنما يستأذنه الذي لا يؤمن، فكيف بالتارك من غير استئذان؟!

ومن تدبر القرآن وجد نظائر هذا متظافرة على هذا المعنى.

وقـال فـي وصـفهم بالشـح: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الـتوبة: ٥٤]، فهـذه حـال من أنفق كارها، فكيف بمن ترك النفقة رأسـا؟! وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الـتوبة: ٥٨]. وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾[التوبة: ٧٥-٧٦].

وقال في السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

فانتظمت هذه الآية حال من أخذ المال بغير حقه، أو منعه من مستحقه من جميع الناس، فإن الأحبار هم العلماء، والرهبان هم العباد، وقد أخبر أن كثيرا منهم يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون: اي يعرضون ويمنعون. يقال: صد عن الحق صدودا، وصد غيره صدا.

وهذا يندرج فيه ما يؤكل بالباطل، من وقف أو عطية على الدين، كالصلات، والنذور التي تنذر لأهل الدين، ومن الأموال المشتركة، كأموال بيت المال، ونحو ذلك. فهذا فيمن يأكل المال بالباطل بشبهة دين.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، فهذا يندرج فيه من كنز المال عن النفقة الواجبة في سبيل الله. والجهاد أحق الأعمال باسم سبيل الله، سواء كان ملكا أومقدما، أو غنيا، أو غير ذلك. وإذا دخل في هذا ما كنز من المال الموروث والمكسوب، فما كنز من الأموال المشتركة التي يستحقها عموم الأمة- ومستحقها: مصالحهم - أولى وأحرى.

فصل. فإذا تبين بعض معنى المؤمن والمنافق. فإذا قرأ الإنسان سورة الأحزاب، وعرف من المنقولات في الحديث والتفسير، والفقه، والمغازي، كيف كانت صفة الواقعة التي نزل بها القرآن، ثم اعتبر هذه الحادثة بتلك وجد مصداق ما ذكرنا. وأن الناس انقسموا في هذه الحادثة إلى الأقسام الثلاثة. كما انقسموا في تلك. وتبين له كثير من المتشابهات.

افتتح الله السورة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] وذكر في أثنائها قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧)

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب ٤٧-٤٨] ثم قال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾[الأحزاب: ٢-٣] فأمره باتباع ما أوحى إليه من الكتاب والحكمة -التي هي سنته- وبأن يتوكل على الله. فبالأولى يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وبالثانية يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، ومثل ذلك قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾[هود: ١٢٣]. وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨] وهذا وإن كان مأمورا به في جميع الدين، فإن ذلك في الجهاد أوكد، لأنه يحتاج إلى أن يجاهد الكفار والمنافقين، وذلك لا يتم إلا بتأييد قوي من الله، ولهذا كان الجهاد سنام العمل، وانتظم سنام جميع الأحوال الشريفة. ففيه سنام المحبة، كما في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة: ٥٤]، وفيه سنام التوكل، وسنام الصبر، فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل: ٤١-٤٢]، وقال: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ولهذا كان الصبر واليقين -اللذين هما أصل التوكل- يوجبان الإمامة في الدين، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

ولهذا كان الجهاد موجبا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى، ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل

وغيرهما: إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم، لأن الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفى الجهاد أيضا حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفي الدار الدنيا، وفيه أيضا: حقيقة الإخلاص، فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله، لا في سبيل الرياسة، ولا في سبيل المال، ولا في سبيل الحمية، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هى العليا.

وأعظم مراتب الإخلاص تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] والجنة اسم للدار التي حوت كل نعيم. أعلاه النظر إلى الله، إلى ما دون ذلك مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، مما قد نعرفه وقد لا نعرفه، كما قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله ﷺ: "أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".

فقد تبين بعض أسباب افتتاح هذه السورة بهذا.

ثم إنه تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]

وكان مختصر القصة: أن المسلمين تحزب عليهم عامة المشركين الذين حولهم، وجاءوا بجموعهم إلى المدينة ليستأصلوا المؤمنين. فاجتمعت قريش وحلفاؤها من بني أسد وأشجع وفزارة، وغيرهم من قبائل نجد، واجتمعت أيضا اليهود من قريظة والنضير. فإن بني النضير كان النبي ﷺ قد أجلاهم قبل ذلك، كما ذكره الله تعالى في سورة الحشر. فجاءوا في الأحزاب إلى قريظة وهم معاهدون للنبي ﷺ ومجاورون له، قريبا من المدينة، فلم يزالوا بهم حتى نقضت قريظة العهد، ودخلوا في الأحزاب فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة، وهم بقدر المسلمين مرات متعددة. فرفع النبي ﷺ الذرية من النساء والصبيان في آطام المدينة، وهى مثل الجواسق، ولم ينقلهم إلى مواضع أخر، وجعل ظهرهم إلى سلع، وهو الجبل القريب من المدينة من ناحية الغرب

والشـــام، وجعل بينه وبين العدو خندقا، والعدو قد أحاط بهم من العالية والسافلة، وكان عدوا شديد العدواة، لو تمكن من المؤمنين لكانت نكايته فيهم أعظم النكايات.

وفـــي هذه الحادثة تحزب هذا العدو من مغول وغيرهم من أنواع الترك، ومن فــرس ومستعربة، ونحوهم من أجناس المرتدة، ومن نصارى الأرمن وغيرهم، ونزل هـــذا العـــدو بجانب ديار المسلمين، وهو بين الإقدام والإحجام، مع قلة من بإزائهم من المســلمين، ومقصودهم الاستيلاء على الدار، واصطلام أهلها. كما نزل أولئك بنواحي المدينة بإزاء المسلمين.

ودام الحصـــار على المسلمين عام الخندق -على ما قيل- بضعا وعشرين ليلة. وقيل: عشرين ليلة.

وهذا العدو عبر الفرات سابع عشر ربيع الآخر، وكان أول انصرافه راجعا عن حلـــب لما رجع مقدمهم الكبير قازان بمن معه يوم الإثنين حادي أو ثاني عشر جمادى الأولـــى، يوم دخل العسكر عسكر المسلمين إلى مصر المحروسة. واجتمع بهم الداعي وخاطبهم في هذه القضية وكان الله سبحانه وتعالى لما ألقى في قلوب المؤمنين ما ألقى من الاهتمام والعزم: ألقى الله في قلوب عدوهم الروع والانصراف.

وكان عام الخندق برد شديد، وريح شديدة منكرة، بها صرف الله الأحزاب عن المدينة، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وهكـــذا هذا العام أكثر الله فيه الثلج والمطر والبرد، على خلاف أكثر العادات. حتى كره أكثر الناس ذلك. وكنا نقول لهم: لا تكرهوا ذلك، فإن لله فيه حكمة. ورحمة وكـــان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله به العدو، فإنه كثر عليهم الثلج والمطر والبـــرد، حتى هلك من خيلهم ما شاء الله، وهلك أيضا منهم من شاء الله، وظهر فيهم وفي بقية خيلهم من الضعف العجز بسبب البرد والجوع ما رأوا أنهم لا طاقة لهم معه بقـــتال. حتـــى بلغني عن بعض كبار المقدمين في أرض الشام أنه قال: لا بيض الله وجوهـــنا، أعدونا في الثلج إلى شعره، ونحن قعود لا نأخذهم؟ وحتى علموا أنهم كانوا صيدا للمسلمين، لو يصطادونهم، لكن في تأخير الله اصطيادهم حكمة عظيمة.

وقال الله في شأن الأحزاب: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

وهكذا هذا العام. جاء العدو من ناحيتي علو الشام، وهو شمال الفرات، وهو قبلي الفرات، فزاغت الأبصار زيغا عظيما، بلغت القلوب الحناجر لعظم البلاء، لا سيما لما استفاض الخبر بانصراف العسكر إلى مصر، وتقرب العدو، وتوجهه إلى دمشق، وظن الناس بالله الظنونا، هذا يظن أنه لا يقف قدامهم أحد من جند الشام، حتى يصطلموا أهل الشام. وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم كسرة، وأحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر. وهذا يظن أن أرض الشام ما بقيت تسكن، ولا بقيت تكون تحت مملكة الإسلام. وهذا يظن أنهم يأخذونها ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها، فلا يقف قدامهم أحد، فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن، ونحوها. وهذا -إذا أحسن ظنه- قال: إنهم يملكونها العام، كما ملكوها عام هولاكو سنة سبع وخمسين. ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم، كما خرج ذلك العام. وهذا ظن خيارهم. وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية وأهل التحديث والمبشرات أماني كاذبة وخرافات لاغية، وهذا قد استولى عليه الرعب والفزع، حتى يمر الظن بفؤاده مر السحاب، ليس له عقل يتفهم، ولا لسان يتكلم.

وهذا قد تعارضت عنده الأمارات، وتقابلت عنده الإرادات، لا سيما وهو لا يفرق من المبشرات بين الصادق والكاذب، ولا يميز في التحديث بين المخطىء والصائب. ولا يعرف النصوص الأثرية معرفة العلماء، بل إما أن يكون جاهلا بها وقد سمعها سماع العبر، ثم قد لا يتفطن لوجوه دلالتها الخفية، ولا يهتدي لدفع ما يتخيل أنه معارض لها في بادىء الروية.

فلذلك استولت الحيرة على من كان متسما بالاهتداء، وتراجمت به الآراء تراجم الصبيان بالحصباء ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)﴾ [الأحزاب: ١١] ابتلاهم الله بهذا الابتلاء الذي يكفر به خطيئاتهم، ويرفع به درجاتهم، وزلزلوا بما

يحصـــل لهم من الرجفات، ما استوجبوا به أعلى الدرجات. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحـــزاب: ١٢] وهكذا قالوا في هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية، والخلافة الرسالية، وحزب الله المحدثـون عـنه، حتـى حصل لهؤلاء التأسي برسول الله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فأما المنافقون فقد مضى التنبيه عليهم.

وأمـا الـذين في قلوبهم مرض فقد تكرر ذكرهم في هذه السورة. فذكروا هنا وفـي قـوله: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة) [الأحزاب: ٦٠].

وفـي قـوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وذكر الله مرض القلـب فـي مواضع فقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩].

والمـرض فـي القلب كالمرض في الجسد، فكما أن هذا هو إحالة عن الصحة والاعـتدال مـن غيـر مـوت، فكـذلك قد يكون في القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال، من غير أن يموت القلب، سواء أفسد إحساس القلب وإدراكه، أو أفسد عمله وحركته.

وذلـك -كما فسروه- هو من ضعف الإيمان، إما بضعف علم القلب واعتقاده، وإمـا بضـعف عمله وحركته، فيدخل فيه من ضعف تصديقه، ومن غلب عليه الجبن والفـزع، فإن أدواء القلب من الشهوة المحرمة والحسد والجبن والبخل وغيرذلك، كلها أمراض. وكذلك الجهل والشكوك والشبهات التي فيه.

وعلـى هـذا فقـوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] هو إرادة الفجـور، وشـهوة الزنا، كما فسروه به ومنه قول النبي ﷺ وأى داء أدوأ من البخل". وقـد جعـل الله تعالـى كتابه شفاء لما في الصدور، وقال النبي ﷺ: "إنما شفاء العي

السؤال". وكان يقول في دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء".

ولن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه، كما ذكروا أن رجلا شكا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة، فقال: لو صححت لم تخف أحدا. أي: خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك. ولهذا أوجب الله على عباده ألا يخافوا حزب الشيطان، بل لا يخافون غيره تعالى فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. أي يخوفكم أولياءه. وقال لعموم بني إسرائيل تنبيها لنا: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]. وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] وقال: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩] وقال: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣] فدلت هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأنفال: ٤٩] على أن المرض والنفاق في القلب يوجب الريب في الأنباء الصادقة التي توجب أمن الإنسان من الخوف، حتى يظنوا أنها كانت غرورا لهم، كما وقع في حادثتنا هذه سواء.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: ١٣] وكان النبي ﷺ قد عسكر بالمسلمين عند سلع، وجعل الخندق بينه وبين العدو فقالت طائفة منهم: لا مقام لكم هنا، لكثرة العدو. فارجعوا إلى المدينة.

وقـيل: لا مقام لكم على دين محمد، فارجعوا إلى دين الشرك. وقيل: لا مقام لكم على القتال، فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم.

وهكـذا لمـا قدم هذا العدو كان من المنافقين من قال: ما بقيت الدولة الإسلامية تقـوم، فينبغـي الدخـول في دولة التتار، وقال بعض الخاصة: ما بقيت أرض الشام تسـكن، بـل ننتقل عنها، إما إلى الحجاز واليمن، وإما إلى مصر. وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء، كما قداستسلم لهم أهل العراق، والدخول تحت حكمهم.

فهـذه المقـالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة، كما قيلت في تلك، وهكذا قال طائفـة مـن المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، لأهل دمشق خاصة والشام عامة: لا مقام لكم بهذه الأرض.

ونفي المقام بها أبلغ من نفي المقام. وإن كانت قد قرئت بالضم أيضا. فإن من لم يقدر أن يقوم بالمكان، فكيف يقيم به؟

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: ١٣] وكان قوم من هؤلاء المذمومين يقولون -والناس مع النبي ﷺ عند سلع داخل الخندق، والنساء والصبيان في آطام المدينة-: يا رسول الله إن بيوتنا عورة، أي مكشوفة ليس بينها وبين العدو حائل.

واصـل العـورة الخالي الذي يحتاج إلى حفظ وستر. يقال: اعور مجلسك إذا ذهـب سـتره، أو سـقط جداره ومنه عورة العدو. وقال مجاهد والحسن: أي ضائعة تخشـى علـيها السراق. وقال قتادة: قالوا: بيوتنا مما يلي العدو، فلا نأمن على أهلنا، فائذن لنا أن نذهب اليها، لحفظ النساء والصبيان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾لأن الله يحفظهـا ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴿١٣﴾﴾فهم يقصدون الفرار من الجهاد ويحتجون بحجة العائلة.

وهكـذا أصـاب كثيرا من الناس في هذه الغزاة، صاروا يفرون من الثغر إلى المعاقـل والحصـون، وإلى الأماكن البعيدة، كمصر. ويقولون: ما مقصودنا إلا حفظ العـيال ومايمكن إرسالهم مع غيرنا. وهم يكذبون في ذلك. فقد كان يمكنهم جعلهم في

حصـــن دمشـــق، لـــودنا العدو. كما فعل المسلمون على عهد رسول الله ﷺ. وقد كان يمكنهم إرسالهم والمقام للجهاد. فكيف بمن فر بعد إرسال عياله؟ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴿١٤﴾﴾ [الأحزاب ١٤] فأخبر أنه لو دخلت عليهم المدينة من جوانبها ثم طلبت منهم الفتنة -وهي الافتتان عن الدين بالكفر أوالنفاق- لأعطوا الفتنة، ولجاءوها من غير توقف.

وهذه حال أقوام لو دخل عليهم هذا العدو المنافق المجرم، ثم طلب منهم موافقته علـــى مـــا هو عليه من الخروج عن شريعة الإسلام -وتلك فتنة عظيمة- لكانوا معه علـــى ذلـــك كما ساعدهم في العام الماضي أقوام بأنواع من الفتنة في الدين والدنيا، ما بـــين تـــرك واجـــبات، وفعل محرمات، إما في حق الله، وإما في حق العباد. كترك الصـــلاة، وشـــرب الخمور، وسب السلف، وسب جنود المسلمين، والتجسس لهم على المســـلمين، ودلالـــتهم علـــى أموال المسلمين وحريمهم، وأخذ أموال الناس وتعذيبهم، وتقوية دولتهم الملعونة، وإرجاف قلوب المسلمين منهم، إلى غير ذلك من أنواع الفتنة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴿١٥﴾﴾ [الأحزاب: ١٥] وهذه حال أقوام عاهدوا ثم نكثوا، قديما وحديثا، في هذه الغزوة. فإن في العام الماضي، وفى هذا العام، في أول الأمر، كان من أصناف الناس من عاهد على أن يقاتل ولايفر، ثم فر منهزما، لما اشتد الأمر.

ثم قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴿١٦﴾﴾ [الأحـــزاب: ١٦] فأخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا مـــن القـــتل. فالفرار من الموت كالفرار من الطاعون ولذلك قال النبي ﷺ: "إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه" والفرار من القتل كالفرار من الجهاد. وحرف "لـــن" ينفي الفعل في الزمن المستقبل. والفعل نكرة. والنكرة في سياق النفي تعم جميع أفرادها. فاقتضى ذلك أن الفرار من الموت أوالقتل ليس فيه منفعة أبدا. وهذا خبر الله الصادق. فمن اعتقد أن ذلك ينفعه فقد كذب الله في خبره.

والتجربة تدل على مثل ما دل عليه القرآن. فإن هؤلاء الذين فروا في هذا العام لـــم يـــنفعهم فـــرارهم، بل خسروا الدين والدنيا، وتفاوتوا في المصائب. والمرابطون الثابـــتون نفعهـــم ذلك في الدين والدنيا. حتى الموت الذي فروا منه كثر فيهم، وقل في المقيمـــين. فمـــا منع الهرب من شاء الله. والطالبون للعدو والمعاقبون له لم يمت منهم أحـــد، ولا قـــتل، بل الموت قل في البلد من حين خرج الفارون. وهكذا سنة الله قديما وحديثا.

ثـــم قـــال تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: ١٦] يقول: لو كان الفرار ينفعكم لم ينفعكم إلا حياة قليلة، ثم تموتون. فإن الموت لابد منه. وقد حكى عن بعـــض الحمقى أنه قال: فنحن نريد ذلك القليل. وهذا جهل منه بمعنى الآية. فإن الله لم يقل: إنهم يمتعون بالفرار قليلا. لكنه ذكر أنه لا منفعة فيه أبدا. ثم ذكر جوابا ثانيا، أنـــه لـــو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاع قليل ثم ذكر جوابا ثالثا، وهو أن الفار يأتيه ما قضـــي لـــه من المضرة، ويأتي الثابت ما قضي له من المسرة فقال: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الأحزاب: ١٧].

ونظيـــره قـــوله في سياق آيات الجهاد: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ [النســـاء: ٧٨] الآيـــة. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمـــــران: ١٥٦]. فمضـــمون الأمر أن المنايا محتومة، فكم ممن حضر الصفوف فسلم، وكم ممن فـــر من المنية فصادفته، كما قال خالد بن الوليد -لما احتضر- لقد حضرت كذا وكذا صـــفا، وإن ببدني بضعا وثمانين، ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء.

ثــم قــال تعالــى: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحــزاب: ١٨] قال العلماء: كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة، فــإذا جــاءهم أحد قالوا له: ويحك!اجلس، فلا تخرج. ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعســكر، أن ائــتونا بالمديــنة، فإنا ننتظركم، يثبطونهم عن القتال. وكانوا لا يأتون العســكر إلا أن لا يجــدوا بــدا. فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم، فإذا غفل عنهم عــادوا إلى المدينة، فانصرف بعضهم من عند النبي ﷺ فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونبيذ. فقال: أنت ههنا، ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف؟فقال: هلم إلي، فقد أحيط بك وبصاحبك.

فوصف المثبطين عن الجهاد -وهم صنفان -بأنهم إما أن يكونوا في بلد الغزاة، أوفــي غيره، فإن كانوا فيه عوقوهم عن الجهاد بالقول أو بالعمل أو بهما. وإن كانوا فــي غيــره راســلوهم، أو كاتــبوهم، بأن يخرجوا إليهم من بلد الغزاة، ليكونوا معهم بالحصون، أو بالبعد. كما جرى في هذه الغزاة.

فــإن أقــواما فــي العســكر والمدينة وغيرهما صاروا يعوقون من أراد الغزو وأقــواما بعــثوا مــن المعاقل والحصون وغيرهاإلى إخوانهم: هلم إلينا. قال الله تعالى فــيهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾[الأحــزاب: ١٨-١٩] أي: بخلاء علــيكم بالقتال معكم، والنفقة في سبيل الله. وقال مجاهد: بخلاء عليكم بالخير والظفر والغنيمة. وهذه حال من بخل على المؤمنين بنفسه وماله، أو شح عليهم بفضل الله من نصــره ورزقه الذي يجريه بفعل غيره. فإن أقواما يشحون بمعروفهم وأقواما يشحون بمعروف الله وفضله. وهم الحساد.

ثــم قــال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحــزاب: ١٩] مــن شــدة الــرعب الذي في قلوبهم، يشــبهون المغمــى علــيه وقت النزع، فإنه يخاف ويذهل عقله، ويشخص بصره، ولا يطرف. فكذلك هؤلاء، لأنهم يخافون القتل.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩] ويقال في اللغة "صلقوكم" وهو رفع الصوت بالكلام المؤذي. ومنه "الصالقة" وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة. يقال: صلقه وسلقه- وقد قرأ طائفة من السلف بها، لكنها خارجة عن المصحف -إذا خاطبه خطابا شديدا قويا. ويقال: خطيب مسلاق: إذا كان بليغا في خطبته، لكن الشدة هنا في الشر لا في الخير. كما قال: ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾. وهذ السلق بالإلسنة الحادة، يكون بوجوه:

تارة يقول المنافقون للمؤمنين: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم، فإنكم أنتم الذين دعوتم الناس إلى هذا الدين، وقاتلتم عليه، وخالفتموهم، فإن هذه مقالة المنافقين للمؤمنين من الصحابة.

وتارة يقولون: أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا، والثبات بهذا الثغر إلى هذا الوقت، وإلا فلو كنا سافرنا قبل هذا لما أصابنا هذا.

وتارة يقولون: أنتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو، وقد غركم دينكم كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

وتارة يقولون: أنتم مجانين، لاعقل لكم، تريدون أن تهلكوا أنفسكم والناس معكم.

وتارة يقولون: أنواعا من الكلام المؤذي الشديد. وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي حراص على الغنيمة والمال الذي قد حصل لكم. قال قتادة: إن كان وقت قسمة الغنيمة، بسطوا ألسنتهم فيكم، يقولون: أعطونا فلستم بأحق بها منا. فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحق. وأما عند الغنيمة فأشح قوم. وقيل: أشحة على الخير، أي بخلاء به، لا ينفعون، لا بنفوسهم ولا بأموالهم.

وأصل الشح: شدة الحرص الذي يتولد عنه البخل والظلم، من منع الحق وأخذ الباطل، كما قال النبي ﷺ: " إياكم والشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم. أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا". فهؤلاء أشحاء على إخوانهم، أي بخلاء عليهم، وأشحاء على الخير أي حراص عليه فلا ينفقونه. كما قال:

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨] ثم قال تعالى: ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢٠﴾ [الأحزاب: ٢٠].

فوصفهم بثلاثة أوصاف:

أحدها: أنهم لفرط خوفهم يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد. وهذه حال الجبان الذي في قلبه مرض، فإن قلبه يبادر إلى تصديق الخبر المخوف، وتكذيب خبر الأمن.

الوصف الثاني: أن الأحزاب إذا جاءوا تمنوا أن لا يكونوا بينكم، بل يكونون في البادية بين الأعراب، يسألون عن أنبائكم: إيش خبر المدينة؟ وإيش جرى للناس؟.

والوصف الثالث: أن الأحزاب إذا أتوا وهم فيكم، لم يقاتلوا إلا قليلا. وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس في هذه الغزوة كما يعرفونه من أنفسهم، ويعرفه منهم من خبرهم.

ثم قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١] فأخبر سبحانه أن الذين يبتلون بالعدو، كما ابتلي رسول الله ﷺ فلهم فيه أسوة حسنة، حيث أصابهم مثل ما أصابه. فليتأسوا به في التوكل والصبر، ولا يظنون أن هذه نقم لصاحبها، وإهانة له فإنه لو كان كذلك ما ابتلي بها رسول الله ﷺ خير الخلائق بل بها ينال الدرجات العالية، وبها يكفر الله الخطايا لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا. وإلا فقد يبتلى بذلك من ليس كذلك فيكون في حقه عذابا. كالكفار والمنافقين.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ۝٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قال العلماء: كان الله قد أنزل في سورة البقرة: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ

﴿ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] فبين الله سبحانه – منكرا على من حسب خلاف ذلك- أنهم لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يبتلوا مثل هذه الأمم قبلهم ب "البأساء"، وهي الحاجة والفاقة. و" الضراء" وهى الوجع والمرض، و"الزلزال" وهى زلزلة العدو.

فلما جاء الأحزاب عام الخندق فرأوهم قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢]. وعلموا أن الله قد ابتلاهم بالزلزال. وأتاهم مثل الذين خلوا من قبلهم، وما زادهم إلا إيماناوتسليما لحكم الله وأمره. وهذه حال أقوام في هذه الغزوة: قالوا ذلك.

وكذلك قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣] أي عهده الذي عاهد الله عليه، فقاتل حتى قتل، أو عاش. و"النحب" النذر والعهد. وأصله من النحيب وهو الصوت. ومنه الانتحاب في البكاء، وهو الصوت الذي تكلم به في العهد. ثم لما كان عهدهم هو نذرهم الصدق في اللقاء –ومن صدق في اللقاء فقد يقتل- صار يفهم من قوله (قضى نحبه) أنه استشهد، لا سيما إذا كان النحب نذر الصدق في جميع المواطن، فإنه لا يقضيه إلا بالموت وقضاء النحب هو الوفاء بالعهد. كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي أكمل الوفاء. وذلك لمن كان عهده مطلقا بالموت أو القتل.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾ قضاءه، إذا كان قد وفى البعض، فهو ينتظر تمام العهد. وأصل القضاء الإتمام والإكمال ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤] بين الله سبحانه أنه أتى بالأحزاب ليجزي الصادقين بصدقهم، حيث صدقوا في إيمانهم. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] فحصر الإيمان

في المؤمنين المجاهدين، وأخبر أنهم هم الصادقون في قولهم: آمنا، لامن قال، كما قالت الأعراب ﴿ءَامَنَّا﴾ والإيمان لم يدخل في قلوبهم، بل انقادوا واستسلموا. وأما المنافقون فهم بين أمرين: إما أن يعذبهم، وإما أن يتوب عليهم، فهذا حال الناس في الخندق وفى هذه الغزاة.

وأيضا فإن الله تعالى ابتلى الناس بهذه الفتنة، ليجزي الصادقين بصدقهم، وهم الثابتون الصابرون، لينصروا الله ورسوله، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم. ونحن نرجو من الله أن يتوب على خلق كثير من هؤلاء المذموين، فإن منهم من ندم. والله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. وقد فتح الله للتوبة بابا من قبل المغرب عرضه أربعون سنة. لا يغلقه حتى تطلع الشمس من مغربها.

وقد ذكر أهل المغازي -منهم ابن إسحق- أن النبي ﷺ قال في الخندق: "الآن نغزوهم ولا يغزونا". فما غزت قريش ولا غطفان، ولا اليهود المسلمين بعدها، بل غزاهم المسلمون ففتحوا خيبر ثم فتحوا مكة. كذلك -إن شاء الله- هؤلاء الأحزاب من المغول وأصناف الترك ومن الفرس، والمستعربة، والنصارى، ونحوهم من أصناف الخارجين عن شريعة الإسلام، الان نغزوهم ولا يغزونا. ويتوب الله على من يشاء من المسلمين، الذين خالط قلوبهم مرض أو نفاق، بأن ينيبوا إلى ربهم، ويحسن ظنهم بالإسلام، وتقوى عزيمتهم على جهاد عدوهم، فقد أراهم الله من الآيات ما فيه عبرة لأولي الأبصار كما قال: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥].

فإن الله صرف الأحزاب عام الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصبا: ريح شديدة باردة، وبما فرق به بين قلوبهم، حتى شتت شملهم، ولم ينالوا خيرا. إذا كان همهم فتح المدينة والاستيلاء عليها وعلى الرسول والصحابة، كما كان هم هذا العدو فتح الشام والاستيلاء على من بها من المسلمين، فردهم الله بغيظهم، حيث أصابهم من الثلج العظيم، والبرد الشديد، والريح العاصف، والجوع المزعج، ما الله به عليم.

وقد كان بعض الناس يكره تلك الثلوج والأمطار العظيمة التي وقعت في هذا العام، حتى طلبوا الاستصحاء غير مرة. وكنا نقول لهم: هذا فيه خيرة عظيمة، وفيه لله حكمه وسر، فلا تكرهوه. فكان من حكمته أنه فيما قيل: أصاب قازان وجنوده، حتى أهلكهم، وهو كان فيما قيل: سبب رحيلهم. وابتلي به المسلمون ليتبين من يصبر على أمر الله وحكمه ممن يفر عن طاعته وجهاد عدوه. وكان مبدأ رحيل قازان فيمن معه من أرض الشام وأراضي حلب يوم الإثنين حادي عشر جمادى الأولى، يوم دخلت مصر عقيب العسكر، واجتمعت بالسلطان وأمراء المسلمين، وألقى الله في قلوبهم من الاهتمام بالجهاد ما ألقاه. فلما ثبت الله قلوب المسلمين صرف العدو، جزاء منه، وبيانا أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها، وإن لم يقع الفعل، وإن تباعدت الديار.

وذكر أن الله فرق بين قلوب هؤلاء المغول والكرج وألقى بينهم تباغضا وتعاديا، كما ألقى سبحانه عام الأحزاب بين قريش وعطفان، وبين اليهود، كما ذكر ذلك أهل المغازي. فإنه لم يتسع هذا المكان لأن نصف فيه قصة الخندق. بل من طالعها علم صحة ذلك. كما ذكره أهل المغازي مثل عروة بن الزبير، والزهري، وموسى بن عقبة، وسعيد بن يحيى الأموي، ومحمد بن عائذ، ومحمد بن إسحق، والواقدي، وغيرهم.

ثم تبقى بالشام منهم بقايا، سار إليهم من عسكر دمشق أكثرهم، مضافا إلى عسكر حماة وحلب، وما هنالك. وثبت المسلمون بإزائهم. وكانوا أكثر من المسلمين بكثير، لكن في ضعف شديد وتقربوا إلى حماة، وأذلهم الله تعالى، فلم يقدموا على المسلمين قط. وصار من المسلمين من يريد الإقدام عليهم، فلم يوافقه غيره، فجرت مناوشات صغار، كما جرى في غزوة الخندق، حيث قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها عمرو بن عبد ود العامري لما اقتحم الخندق، هو ونفر قليل من المشركين.

كذلك صار يتقرب بعض العدو فيكسرهم المسلمون، مع كون العدو المتقرب أضعاف من قد سرى إليه من المسلمين. وما من مرة إلا وقد كان المسلمون

مستظهرين عليهم وساق المسلمون خلفهم في آخر النوبات، فلم يدركوهم إلا عند عبور الفـــرات. وبعضهم في جزيرة فيها. فرأوا أوائل المسلمين فهربوا منهم، وخالطوهم، وأصاب المسلمون بعضهم وقيل إنه غرق بعضهم.

وكـــان عـــبورهم وخلو الشام منهم في أوائل رجب، بعد أن جرى ما بين عبور قازان أولا وهذا العبور رجفات ووقعات صغار، وعزمنا على الذهاب إلى حماة غيره مرة لأجل الغزاة، لما بلغنا أن المسلمين يريدون غزو الذين بقوا. وثبت بإزائهم المقدم الذي بحماة، ومن معهم من العسكر، ومن أتاه من دمشق، وعزموا على لقائهم، ونالوا أجرا عظيما وقد قيل إنهم كانوا عدة كمائنات، إما ثلاثة، أو أربعة، فكان من المقدر أنه إذا عـــزم الأمروصـــدق المؤمـــنون الله يلقى في قلوب عدوهم الرعب فيهربون، لكن أصـــابوا مـــن البليدات بالشمال مثل "تيزين" و"الفوعة" و"معرة مصرين" وغيرها مالم يكونوا وطئوه في العام الماضي.

وقـــيل إن كثيـــرا من تلك البلاد كان فيهم ميل إليهم، بسبب الرفض، وأن عند بعضـــهم فرامين منهم، لكن هؤلاء ظلمة، ومن أعان ظالما بلي به، والله تعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وقـــد ظاهروهم على المسلمين، الذين كفروا من أهل الكتاب، من أهل "سيس" والإفـــرنج. فـــنحن نـــرجو من الله أن ينزلهم من صياصيهم، وهي الحصون، ويقال للقـــرون الصياصـــي، ويقذف في قلوبهم الرعب. وقد فتح الله تلك البلاد. ونغزوهم إن شـــاء الله تعالـــى، فنفتح أرض العراق وغيرها، وتعلو كلمة الله ويظهر دينه، فإن هذه الحادثـــة كـــان فيها أمور عظيمة جازت حد القياس، وخرجت عن سنن العادة. وظهر لكـــل ذي عقل من تأييد الله لهذا الدين، وعنايته بهذه الأمة، وحفظه للأرض التي بارك فـــيها للعالمـــين، بعـــد أن كاد الإسلام أن ينثلم، وكر العدو كرة فلم يلو عن... وخذل الناصـــرون فلم يلووا على... وتحير السائرون فلم يدروا من... ولا إلى... وانقطعت الأســـباب الظاهـــرة. وأهطعت الأحزاب القاهرة، وانصرفت الفئة الناصرة، وتخاذلت القلوب المتناصرة، وثبتت الفئة الناصرة، وأيقنت بالنصر القلوب الطاهرة، واستنجزت مـــن الله وعـــده العصابة المنصورة الظاهرة، ففتح الله أبواب سمواته لجنوده القاهرة،

وأظهــر على الحق آياته الباهرة، وأقام عمود الكتاب بعد ميله، وثبت لواء الدين بقوته وحوله، وأرغم معاطس أهل الكفر والنفاق، وجعل ذلك آية للمؤمنين إلى يوم التلاق.

فالله يتم هذه النعم بجمع قلوب أهل الإيمان على جهاد أهل الطغيان ويجعل هذه المـــنة الجســـيمة مبدأ لكل منحة كريمة، وأساسا لإقامة الدعوة النبوية القويمة، ويشفي صـــدور المؤمنين من أعاديهم، ويمكنهم من دانيهم وقاصيهم، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

قـــال الشـــيخ رحمـــه الله: كتبت أول هذا الكتاب بعد رحيل قازان وجنوده، لما رجعت من مصر في جمادى الآخرة، وأشاعوا أنه لم يبق منهم أحد. ثم لما بقيت تلك الطائفـــة اشـــتغلنا بالاهـــتمام بجهـــادهم، وقصد الذهاب إلى إخواننا بحماة، وتحريض الأمـــراء على ذلك حتى جاءنا الخبر بانصراف المتبقين منهم. فكتبته في رجب، والله أعلم. والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف الخلق محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

مجموع الفتاوى ٢٨/٤٢٤-٤٦٧.

وانظر: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٢٠-١٧٥

الرسالة التاسعة

رسالته إلى والدته يعتذر عن تأخره في مصر

بسم الله الرحمن الرحيم.

من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة، أقر الله عينيها بنعمه، وأسبغ عليها جزيل كرمه، وجعلها من خيار إمائه وخدمه.

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته.

فإنـــا نحمـــد إلـــيكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شئ قديـــر، ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين، وإمام المتقين، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

كتابـــي إلـــيكم عـــن نعم من الله عظيمة، ومنن كريمة، وآلاء جسيمة نشكر الله علـــيها، ونسأله المزيد من فضله. ونعم الله كلما جاءت في نمو وازدياد، وأياديه جلت عن التعداد.

وتعلمـــون أن مقامـــنا الســـاعة فـــي هذه البلاد، إنما هو لأمور ضرورية متى أهملـــناها فســـد علينـــا أمر الدين والدنيا ولسنا والله مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم، ولكن الغائب عذره معه، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور فإنكم ولله الحمد ما تختارون الساعة إلا ذلك، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا، بـــل كـــل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعوا لنا بالخيرة، فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكـــم وللمسلمين ما فيه الخيرة في خير وعافية، ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والـــرحمة والهداية والبركة مالم يكن يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، ونحن في كل وقـــت مهمومون بالسفر، مستخيرون الله سبحانه وتعالى فلا يظن الظان أنا نؤثر على قـــربكم شـــيئا من أمور الدنيا قط. بل ولا نؤثر من أمور الدين ما يكون قربكم أرجح منه. ولكن ثم أمور كبار نخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها. والشاهد يرى مالا يـــرى الغائب. والمطلوب كثرة الدعاء بالخيرة، فإن الله يعلم ولانعلم، ويقدر ولا نقدر، وهـــو علام الغيوب، وقد قال النبي ﷺ: "من سعادة ابن آدم استخارته الله، ورضاه بما يقســـم الله لـــه، ومـــن شـــقاوة ابن آدم ترك استخارته الله، وسخطه بما يقسم الله له". والتاجـــر يكـــون مسافرا فيخاف ضياع بعض ماله فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه، وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته كثيرا كثيرا. وعلى سائر من في البيت من الكبار والصغار، وسائر الجيران وإلاهـــل والأصحاب واحدا واحدا، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

مجموع الفتاوى ٢٨/٤٨-٥٠

ثانياً : رسائله إلى سلاطين المسلمين

الرسالة الأولى

رسالته إلى السلطان، وتسمى (الجواب الباهر في زوار المقابر)

بسم الله الرحمن الرحيم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما أما بعد.

يقول أحمد بن تيمية إنني لما علمت مقصود ولي الأمر السلطان –أيده الله وسدده فيما رسم به–كتبت إذ ذاك كلاما مختصرا لأن الحاضر استعجل بالجواب. وهذا فيه شرح الحال أيضا مختصرا، وإن رسم ولي الأمر أيده الله وسدده، أحضرت له كتبا كثيرة من كتب المسلمين قديما وحديثا مما فيه كلام النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وكلام أئمة المسلمين الأربعة، وغير الأربعة، وأتباع الأربعة، مما يوافق ما كتبته في الفتيا، فإن الفتيا مختصرة، لا تحتمل البسط.ولا يقدر أحد أن ينكر خلاف ذلك لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أئمة المسلمين، لا الأربعة ولا غيرهم.

وإنما خالف ذلك من يتكلم بلا علم، وليس معه بما يقوله نقل، لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أئمة المسلمين، ولا يمكنه أن يحضر كتابا من الكتب المعتمدة عن أئمة المسلمين بما يقوله، ولا يعرف كيف كان الصحابة والتابعون يفعلون في زيارة قبر النبي ﷺ وغيره. وأنا خطي موجود بما أفتيت به، وعندي مثل هذا كثير كتبته بخطي، ويعرض على جميع من ينسب إلى العلم شرقا وغربا، فمن قال إن عنده علما يناقض ذلك فليكتب خطه بجواب مبسوط. يعرف فيه من قال هذا القول قبله وما حجتهم في ذلك.وبعد ذلك فولي الأمر السلطان أيده الله إذا رأى ما كتبته وما كتبه غيري فأنا أعلم أن الحق ظاهر مثل الشمس، يعرفه أقل غلمان السلطان، الذي ما رؤى في هذه الأزمان سلطان مثله، زاده الله علما وتسديدا وتأييدا، فالحق يعرفه كل أحد، فإن الحق الذي بعث الله به الرسل لا يشتبه بغيره على العارف.

مجموع الفتاوى ٢٧ / ٣١٤ – ٤٤٣

الرسالة الثانية

رسالة ينهى فيها عن تانيب أصحابه وإيذاء مخالفيه وهو في مصر

بعد حمد الله تعالى، والصلاة على نبيه ﷺ.

أمـا بعـد: فـإن الله وله الحمد قد أنعم علي من نعمه العظيمة ومننه الجسيمة، والائــه الكـريمة، ما هو مستوجب لعظيم الشكر، والثبات على الطاعة، واعتياد حسن الصـبر علـى فعـل المأمور. والعبد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضـراء قـال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ [هود: ٩-١١].

وتعلمون أن الله سبحانه من في هذه القضية من المنن التي فيها من أسباب نصر ديـنه، وعلو كلمته، ونصر جنده، وعزة أوليائه، وقوة أهل السنة والجماعة، وذل أهل البدعة والفرقة، وتقرير ما قرر عندكم من السنة، وزيادات على ذلك بانفتاح أبواب من الهـدى والنصر والدلائل، وظهور الحق لأمم لا يحصى عددهم إلا الله تعالى، وإقبال الخلائـق إلـى سـبيل السنة والجماعة، وغير ذلك من المنن، مالا بد معه من عظيم الشكر، ومن الصبر، وأن كان صبرا في سراء.

وتعلمـون أن مـن القـواعد العظيمة التي هي من جماع الدين تأليف القلوب، واجـتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفـال: ١] ويقـول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمـران: ١٠٣] ويقـول: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٥﴾ [آل عمـران: ١٠٥] وأمـثال ذلك من النصوص التي تأمـر بالجماعـة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف. وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعـة، كمـا أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة. وجماع السنة طاعة الرسول. ولهذا

قـال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: "إن الله يرضـى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أموركم".

وفـي السنن من حديث زيد بن ثابت وابن مسعود -فقيهي الصحابة- عن النبي ﷺ أنـه قال: "نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غيـر فقـيه، ورب حامـل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخـلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من رواءهم". وقوله: لا يغل، أي: لا يحقد عليهن فلا يبغض هذه الخصال قلب المسلم، بل يحبهن ويرضاهن.

وأول ما أبدأ به من هذا الأصل ما يتعلق بي فتعلمون -رضي الله عنكم- أني لا أحـب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين فضلا عن أصحابنا بشئ أصلا، لا باطنا ولا ظاهـرا، ولا عـندي عتب على أحد منهم، ولا لوم أصلا، بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان، كل بحسبه، ولا يخلو الرجل إما أن يكـون مجـتهدا مصيبا، أو مخطئا، أو مذنبا، فالأول مأجور مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه مغفور له، والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين.

فـنطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل كقول القائل: فلان قصر، فلان ما عمـل، فلان أوذي الشيخ بسببه، فلان كان سبب هذه القضية، فلان كان يتكلم في كيد فـلان. ونحو هذه الكلمات، التي فيها مذمة لبعض الأصحاب والإخوان فإني لأسامح من آذاهم من هذا الباب، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

بـل مثل هذا يعود على قائله بالملام، إلا أن يكون له من حسنة وممن يغفر الله له إن شاء. وقد عفا الله عما سلف.

وتعلمـون أيضـا أن ما يجري من نوع تغليظ أو تخشين على بعض الأصحاب والإخـوان مـا كان يجري بدمشق، ومما جرى الآن بمصر، فليس ذلك غضاضة ولا نقصـا فـي حـق صاحبه، ولا حصل بسبب ذلك تغير منا ولا بغض، بل هو بعد ما عـومل بـه مـن التغليظ والتخشين أرفع قدرا، وأنبه ذكرا، وأحب وأعظم، وإنما هذه الأمـور هـي من مصالح المؤمنين، التي يصلح الله بها بعضهم ببعض، فإن المؤمن

للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين.

وتعلمون أنا جميعا متعاونون على البر والتقوى، واجب علينا نصر بعضنا بعضا، أعظم مما كان وأشد، فمن رام أن يؤذي بعض الأصحاب أو الإخوان، لما قد يظنه من نوع تخشين عومل به بدمشق، أو بمصر الساعة، أو غير ذلك، فهو الغالط.

وكذلك من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أمروا به من التعاون والتناصر، فقد ظن ظن سوء، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨] وما غاب عنا أحد من الجماعة أو قدم إلينا الساعة أو قبل الساعة إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت وأجل وأرفع. وتعلمون رضى الله عنكم أن مادون هذه القضية من الحوادث يقع فيها من اجتهاد الآراء، واختلاف الأهواء، وتنوع أحوال أهل الإيمان، وما لا بد منه من نزغات الشيطان مالا يتصور أن يعرى عنه نوع الإنسان. وقد قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣] بل أنا أقول ما هو أبلغ من ذلك –تنبيها بالأدنى على الأعلى، وبالأقصى على الأدنى– فأقول:

تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة، والأغاليط المظنونة، والأهواء الفاسدة، وأن ذلك أمر يجل عن الوصف. وكل ما قيل من كذب وزور، فهو في حقنا خير ونعمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه ما رد به إفك الكاذب وبهتانه.

فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي، أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم. وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي.

والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي.

وأما ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم، فلو كـــان الرجل مشكورا على سوء عمله، لكنت أشكر كل من كان سببا في هذه القضية، لمـــا يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، لكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه وأياديـــه التي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له. وأهل القصد الصالح يشكرون علـــى قصدهم، وأهل العمل الصالح يشكرون على عملهم، وأهل السيئات نسأل الله أن يـــتوب عليهم. وأنتم تعلمون هذا من خلقي. والأمر أزيد مما كان وأوكد، لكن حقوق الناس بعضهم مع بعض، وحقوق الله عليهم هم فيها تحت حكم الله.

وأنـــتم تعلمـــون أن الصديق الأكبر في قضية الإفك التي أنزل الله فيها القرآن، حلـــف لا يصـــل مسطح بن أثاثة لأنه كان من الخائضين في الإفك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾ [الـــــنور: ٢٢] فلما نزلت قال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فأعاد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق.

ومع ما ذكرمن العفو والإحسان وأمثاله وأضعافه، والجهاد على ما بعث الله به رســـوله مـــن الكتاب والحكمة أمر لا بد منه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [المائدة: ٥٤-٥٦] والســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما.

مجموع الفتاوى ٢٨/٥٠-٥٧

الرسالة الثالثة

رسالته إلى السلطان يأمره فيها بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأمر الرعية بذلك

بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين، وولي أمر المؤمنين، نائب رسول الله ﷺ في أمته، بإقامة فرض الدين وسنته. أيده الله تأييدا يصلح به له وللمسلمين أمر الدنيا والآخرة، ويقيم به جميع الأمور الباطنة والظاهرة، حتى يدخل في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] وفي قوله ﷺ: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل" إلى آخر الحديث. وفي قوله ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شئ".

وقد استجاب الله الدعاء في السلطان فجعل فيه من الخير الذي شهدت به قلوب الأمة ما فضله به على غيره.

والله المسئول أن يعينه فإنه أفقر خلق الله إلى معونة الله وتأييده قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥] الآية.

وصلاح أمر السلطان بتجريد المتابعة لكتاب الله وسنة رسوله ونبيه، وحمل الناس على ذلك، فإنه سبحانه جعل صلاح أهل التمكين في أربعة أشياء: إقام الصلاة، وإيتاء وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا أقام الصلاة في مواقيتها جماعة هو وحاشيته وأهل طاعته، وأمر بذلك جميع الرعية، وعاقب من تهاون في ذلك العقوبة التي شرعها الله، فقد تم هذا الأصل، ثم إنه مضطر إلى الله تعالى فإذا ناجى ربه في السحر، واستغاث به، وقال: ياحي يا قيوم لا إله إلا أنت،

برحمتك أستغيث أعطاه الله من التمكين ما لا يعلمه إلا الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء: ٦٦-٦٧].

ثم كل نفع وخير يوصله إلى الخلق هو من جنس الزكاة، فمن أعظم العبادات سد الفاقات، وقضاء الحاجات، ونصر المظلوم وإغاثة الملهوف، والأمر بالمعروف، وهو الأمر بما أمر الله به ورسوله من العدل والإحسان، وأمر نُوّاب البلاد وولاة الأمور باتباع حكم الكتاب والسنة، واجتنابهم حرمات الله، والنهي عن المنكر، وهو النهي عما نهى الله عنه ورسوله.

وإذا تقدم السلطان أيده الله بذلك في عامة بلاد الإسلام، كان فيه من صلاح الدنيا والآخرة له وللمسلمين ما لا يعلمه إلا الله والله يوفقه لما يحبه ويرضاه.

مجموع الفتاوى ٢٨ / ٢٤١ - ٢٤٣

الرسالة الرابعة

رسالة تهنئة ابن تيمية للملك الناصر سلطان المسلمين بفتح جبل كسروان، وحضه إياه على حسم مادة أهل الفساد وإقامة الشريعة في البلاد

بسم الله الرحمن الرحيم. من الداعي أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين ومن أيد الله في دولته الدين وأعز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين، نصره الله ونصر به الإسلام وأصلح له وبه أمور الخاص والعام، وأحيى به معالم الإيمان، وأقام به شرائع القرآن، وأذلّ به أهل الكفر والفسوق والعصيان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شئ قدير، ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين وإمام المتقين محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد، فقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعما لم تعهد في القرون الخالية،

وجـــدد الإســـلام في أيامه تجديدا بانت فضيلته على الدول الماضية وتحقق في ولايته خبـــر الصادق المصدوق أفضل الأولين والإخرين، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رءوس المئين، والله تعالى يوزعه والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين، ويتمها بتمام النصر على سائر الإعداء المارقين.

وذلـــك أن السلطان أتم الله نعمته حصل للأمة بيمن ولايته، وحسن نيته، وصحة إسلامه وعقيدته، وبركة إيمانه، ومعرفته، وفضل همته وشجاعته، وثمرة تعظيمه للدين وشرعته، ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته، ماهو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشـــدين، ومـــا كـــان يقصده أكابر الأئمة العادلين من جهاد أعداء الله المارقين من الدين، وهم صنفان:

أهـــل الفجور والطغيان، وذوو الغي والعدوان الخارجون عن شرائع الإيمان، طلبا للعلو في الأرض والفساد وتركا لسبيل الهدى والرشاد. وهؤلاء هم التتار ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسك بالشهادتين أو ببعض سياسة الإسلام.

والصنف الثاني: أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون، الخارجون عن الســـنة والجماعـــة، المفارقون للشرعة والطاعة مثل هؤلاء الذين غُزُوا بأمر السلطان مـــن أهل الجبل والجرد والكسروان. فإن ما من الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام هو من عزائم الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام.

وذلك أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين، فإن اعتقادهم أن أبـــا بكـــر وعمـــر وعـــثمان، وأهـــل بدر، وبيعة الرضوان وجمهور المهاجرين والإنصـــار، والتابعـــين لهـــم بإحسان وأئمة الإسلام وعلماءهم أهل المذاهب الأربعة وغيـــرهم، ومشـــايخ الإســـلام وعبادهم، وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوام المسلمين وأفـــرادهم، كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون أكفر من اليهود والنصارى، لأنهم مرتدون عـــندهم، والمرتد شر من الكافر الأصلي، ولهذا السبب يقدمون الفرنج والتتارعلى أهل القرآن والإيمان.

ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد، وفعلوا بعسكر المسلمين مالا يحصى من الفساد، وأرســـلوا إلـــى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصليب، وحملوا إلى قبـــرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم مالا يحصى عدده إلا الله، وأقام سوقهم

بالساحل عشرين يوما يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص وفرحوا بمجيء التتار، هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون، مثل أهل جزين وما حواليها، وجبل عامل ونواحيه.

ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية، ظهر فيهم من الخزي والنكال ماعرفه الناس منهم، ولما نصر الله الإسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان، كان بينهم شبيه بالعزاء.

كل هذا، وأعظم منه، عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جنكسخان إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء هولاكو على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحية، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله.

لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد. ومن استحل الفقاع فهو كافر، ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر، ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر، ومن أحب أبا بكر أوعمر أو عثمان أو ترضى عنهم، أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر، ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر.

وهذا المنتظر صبي عمره سنتان أو ثلاث أو خمس، يزعمون أنه دخل السرداب بسامرا من أكثر من أربعمائة سنة، وهو يعلم كل شئ، وهو حجة الله على أهل الأرض، فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر، وهو شئ لاحقيقة له، ولم يكن هذا في الوجود قط.

وعندهم من قال: إن الله يرى في الآخرة فهو كافر. ومن قال: إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر، ومن قال: إن الله فوق السموات فهو كافر. ومن آمن بالقضاء والقدر، وقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وإن الله يقلب قلوب عباده، وإن الله خالق كل شئ، فهو عندهم كافر. وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله، فهو عندهم كافر.

هذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئمتهم. مثل بني العود، فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل. وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين، ويفتونهم بهذه الأمور.

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره. وفيها هذا وأعظم منه. وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم لكنهم مع هذا يظهرون

التقـية والنفاق. ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم. وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلـية، فإنمـا أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق ويبذلونه من البرطيل لمن يقصدهم.

والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة. ذكر أهل الخبرة أنهم لم يروا مثله، ولهذا كثر فسادهم، فقتلوا من النفوس، وأخذوا من الأموال، ما لا يعلمه إلا الله.

ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم في أمر لا يضبط شره، كل ليلة تنـزل علـيهم منهم طائفة، ويفعلون من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد. كانوا في قطـع الطرقات وإخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات، يرد إليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين. فإما أن يقتلوه أو يسلبوه. وقليل منهم من يفلت منهم بالحيلة.

فأعـان الله ويسـر بحسن نية السلطان وهمته في إقامة شرائع الإسلام وعنايته بجهاد المارقين ان غزوا غزوة شرعية، كما أمر الله ورسوله، بعد أن كشفت أحوالهم، وأزيحـت عللهم، وأزيلت شبههم، وبذل لهم من العدل والإنصاف مالم يكونوا يطمعون به، وبين لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فـي قتال الحرورية المارقين، الذين تواتر عن النبي ﷺ الأمر بقتالهم ونعت حالهم من وجـوه مـتعددة، أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه: من حديث علي ابن أبي طالـب، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وأبي ذر الغفاري، ورافع بن عمرو، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ.

قـال فيهم: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قـراءتهم، يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ﷺ لـنكلوا عـن العمـل، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه".

وأول مـا خرج هؤلاء زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. وكان لهم من الصـلاة والصـيام والقـراءة والعبادة والزهادة مالم يكن لعموم الصحابة، لكن كانوا

خارجين عن سنة رسول الله ﷺ وعن جماعة المسلمين، وقتلوا من المسلمين رجلا اسمه عبد الله بن خباب، وأغاروا على دواب المسلمين.

وهؤلاء القوم كانوا أقل صلاة وصياما، ولم نجد في جبلهم مصحفا ولا فيهم قارئا للقرآن، وإنما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة، وأباحوا بها دماء المسلمين، وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال مالا يحصي عدده إلا الله تعالى.

فإذا كان علي بن أبي طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا مافي عسكر الخوارج، مع أنه قتلهم جميعهم، كان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم. وليس هؤلاءبمنزلة المتأولين الذين نادى فيهم علي بن أبي طالب يوم الجمل: أنه لا يقتل مدبرهم ولا يجهز على جريحهم ولا يغنم لهم مالا ولايسبى لهم ذرية. لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ، وهؤلاء ليس لهم تأويل سائغ. ومثل أولئك إنما يكونون خارجين عن طاعة الإمام. وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله ﷺ وسنته وهم شر من التتار من وجوه متعددة، لكن التتر أكثر وأقوى. فلذلك يظهر كثرة شرهم.

وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم، كما كان في زمن قازان، وهولاكو وغيرهما، فإنهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم، وأرضهم فيء لبيت المال.

وقد قال كثير من السلف: إن الرافضة لا حق لهم من الفيء، لأن الله إنما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠] فمن لم يكن قلبه سليما لهم، ولسانه مستغفرا لهم، لم يكن من هؤلاء.

وقطعت أشجارهم، لأن النبي ﷺ لما حاصر بنى النضير قطع أصحابه نخلهم وحرقوه. فقال اليهود: هذا فساد وأنت يامحمد تنهى عن الفساد، فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر، وتخريب العامر عند الحاجة إليه، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك.

فـإن القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها، وأيسوا من المقام في الجـبل إلا حين قطعت الأشجار، وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم، وما أمكن أن يسـكن الجـبل غيرهم، لأن التركمان إنما قصدهم الرعي، وقد صار لهم مرعى، وسائر الفلاحين لايتركون عمارة أرضهم ويجيئون اليه.

فالحمـد لله الذي يسر هذا الفتح في دولة السلطان بهمته وعزمه وأمره، وإخلاء الجبل منهم وإخراجهم من ديارهم.

وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾ [الحشر: ١-٥] وأيضاً فانـه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق ما يرفع الله به درجات السلطان، ويعز به أهل الإيمان.

فصـل. تمـام هـذا الفتح وبركته تقدم مراسم السلطان بحسم مادة أهل الفساد، وإقامـة الشريعة في البلاد، فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان في قرى كثيرة مـن يقـتدون بهم، وينتصرون لهم، وفي قلوبهم غل عظيم، وإبطان معاداة شديدة، لا يؤمنون معها على مايمكنهم. ولو أنه مباطنة العدو. فإذا أمسك رءوسهم الذين يضلونهم -مثل بنى العود- زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلا الله.

ويـتقدم إلـى قـراهم، وهي قرى متعددة بأعمال دمشق، وصفد، وطرابلس، وحمـاة، وحمص، وحلب: بأن يقام فيهم شرائع الإسلام، والجمعة والجماعة وقراءة القـرآن، ويكـون لهم خطباء ومؤذنون كسائر قرى المسلمين، وتقرأ فيهم الأحاديث

النــبوية، وتنشر فيهم المعالم الإسلامية، ويعاقب من عرف منهم بالبدعة والنفاق بما توجبه شريعة الإسلام.

فــإن هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا: نحن قوم جهال، وهؤلاء كانوا يعلموننا، ويقولون لنا: انتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين، ومن قتل منكم فهو شهيد.

وفــي هــؤلاء خلق كثير لا يقرون بصلاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة، ولا يحــرمون الميــتة والــدم ولحــم الخنزيــر، ولا يؤمنون بالجنة والنار، من جنس الإســماعيلية والنصــيرية والحاكمية والباطنية، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين.

تقدم المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الإسلام: من الجمعة، والجماعة، وقراءة القرآن، وتبليغ أحاديث النبي ﷺ في قرى هؤلاء من أعظم المصالح الإسلامية، وأبلغ الجهــاد فــي سبيل الله. وذلك سبب لانقماع من يباطن العدو من هؤلاء، ودخولهم في طاعة الله ورسوله، وطاعة أولي الأمر من المسلمين. وهو من الأسباب التي يعين الله بها على قمع الإعداء. فإن مافعلوه بالمسلمين في ارض (سيس) نوع من غدرهم الذي به ينصر الله المسلمين عليهم. وفي ذلك لله حكمة عظيمة، ونصرة للإسلام جسيمة.

قال ابن عباس: ما نقض قوم العهد إلا أديل عليهم العدو.

ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الإيمان وللعدو من الخذلان ما ينصر الله به المؤمنين ويذل به الكفار والمنافقين.

والله هــو المســئول أن يــتم نعمــته على سلطان الإسلام خاصة، وعلى عباده المؤمنــين عامة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثير.

مجموع الفتاوى ٢٨/٣٩٨-٤٠٩.

وانظرابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص١٨٢-١٩٣

ثالثاً: رسالته إلى سرجوان ملك قبرص النصراني

بسم الله الرحمن الرحيم. من أحمد بن تيمية إلى سرجوان عظيم أهل ملته، ومن تحوط به عنايته من رؤساء الدين، وعظماء القسيسين والرهبان والأمراء والكتاب، وأتباعهم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد.

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، إله إبراهيم وآل عمران. ونسأله أن يصلي على عباده المصطفين وأنبيائه المرسلين. ويخص بصلاته وسلامه أولي العزم الذين هم سادة الخلق، وقادة الأمم، الذين خصوا بأخذ الميثاق، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد. كما سماهم الله تعالى في كتابه فقال عز وجل: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب: ٧-٨] ونسأله أن يخص بشرائف صلاته وسلامه خاتم المرسلين، وخطيبهم إذا وفدوا على ربهم، وإمامهم إذا اجتمعوا، شفيع الخلائق يوم القيامة، نبي الرحمة، ونبي الملحمة، الجامع محاسن الأنبياء، الذي بشر به عبد الله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى الصديقة الطاهرة البتول، التي لم يمسها بشر قط، مريم ابنة عمران، ذلك مسيح الهدى عيسى بن مريم، الوجيه في الدنيا والآخرة، المقرب عند الله، المنعوت بنعوت الجمال والرحمة، لما انجر بنو إسرائيل فيما بعث به موسى من نعت الجلال والشدة، وبعث الخاتم الجامع بنعت الكمال، المشتمل على الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين. والمحتوى على محاسن الشرائع والمناهج التي كانت قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين، وعلى من تبعهم إلى يوم القيامة.

أمـــا بعـــد: فـــإن الله خلـــق الخلائق بقدرته، وأظهر فيهم آثار مشيئته وحكمته ورحمـــته، وجعـــل المقصود الذي خلقوا له فيما أمرهم به هو عبادته. وأصل ذلك هو معـــرفته ومحبـــته. فمن هداه الله صراطه المستقيم آتاه رحمة، وعلما ومعرفة بأسمائه الحســـنى وصفاته العليا، ورزقه الإنابة إليه، والوجل لذكره، والخشوع له، والتأله له، فحـــن إليه حنين النسور إلى أوكارها. وكلف بحبه كلف الصبي بأمه، لا يعبد إلا إياه، رغـــبة ورهبة، ومحبة، وأخلص دينه لمن الدنيا والآخرة له، رب الأولين والآخرين، مالك يوم الدين، خالق ما تبصرون وما لا تبصرون، عالم الغيب والشهادة، الذي أمره إذا أراد شـــيئا أن يقول له كن فيكون، لم يتخذ من دونه أندادا، كالذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله، ولم يشرك بربه أحدا، ولم يتخذ من دونه وليا ولاشفيعا، لا ملكا ولا نبيا ولاصديقا، فإن كل من في السموات والأرض إلا آتـــي الرحمن عبدا، لقد أحصاهم وعدهم عدا، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا. فهنالك اجتـــباه مـــولاه واصطفاه وآتاه رشده، وهداه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فإنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وذلـــك أن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخـــلاص، كمـــا كـــان عليه أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام، حتى ابتدعوا الشرك وعـــبادة الأوثـــان بدعة من تلقاء أنفسهم، لم ينزل الله بها كتابا، ولا أرسل بها رسولا، بشـــبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة، والفلسفة الحائدة، قوم منهم زعموا أن التماثـــيل طلاســـم الكـــواكب السماوية، والدرجات الفلكية، والأرواح العلوية.وقوم اتخـــذوها علـــى صـــورة مـــن كان فيهم من الأنبياء والصالحين. وقوم جعلوها لأجل الأرواح السفلية من الجن والشياطين وقوم على مذاهب أخر.

وأكثرهم لرؤسائهم مقلدون وعن سبيل الهدى ناكبون. فابتعث الله نبيه نوحا عليه الســـلام يدعـــوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وإن زعمـــوا أنهم يعبدونهم ليتقربوا بهم إلى الله زلفى، ويتخذوهم شفعاء. فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، فلما أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن دعا عليهم، فأغرق الله تعالى أهل الأرض بدعوته، وجاءت الرسل بعده تترى، إلى أن عم الأرض

دين الصابئة والمشركين، لما كانت النماردة والفراعنة ملوك الأرض شرقا وغربا، فبعث الله تعالى إمام الحنفاء، وأساس الملة الخالصة والكلمة الباقية إبراهيم خليل الرحمن، فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص، ونهاهم عن عبادة الكواكب والأصنام وقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ [الأنعام: ٧٩] وقال لقومه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢] وقال إبراهيم عليه السلام ومن معه لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

فجعل الله الأنبياء والمرسلين من أهل بيته، وجعل لكم منهم خصائص، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وآتى كلا منهم من الآيات ما آمن على مثله البشر. فجعل لموسى العصا حية، حتى ابتلعت ما صنعت السحرة الفلاسفة من الحبال والعصي، وكانت شيئا كثيرا، وفلق له البحر حتى صار يابسا، والماء واقفا حاجزا بين اثني عشر طريقا على عدد الأسباط، وأرسل معه القمل والضفادع والدم، وظلل عليه وعلى قومه الغمام الأبيض يسير معهم، وأنزل عليهم صبيحة كل يوم المن والسلوى، وإذا عطشوا ضرب موسى بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، قد علم كل أناس مشربهم.

وبعث بعده أنبياء من بني إسرائيل منهم من أحيا الله على يده الموتى. ومنهم من شفى الله على يده المرضى. ومنهم من أطلعه على ما شاء من غيبه. ومنهم من سخر له المخلوقات. ومنهم من بعثه بأنواع المعجزات.

وهذا مما اتفق عليه جميع أهل الملل، وفي الكتب التي بأيدي اليهود والنصارى، والنبوات التي عندهم، وأخبار الأنبياء عليهم السلام، مثل شعياء، وأرمياء، ودانيال،

وحـبقوق، وداود، وسـليمان، وغيرهم، وكتاب سفر الملوك، وغيره من الكتب ما فيه معتبر.

وكانـت بنو إسرائيل أمة قاسية، عاصية تارة يعبدون الاصنام والأوثان. وتارة يعبدون الله، وتارة يقتلون النبيين بغير الحق، وتارة يستحلون محارم الله بأدنى الحيل. فلعـنوا أولا علـى لسان داود، وكان من خراب بيت المقدس ما هو معروف عند أهل الملـل كلهم. ثم بعث الله المسيح بن مريم رسولا قد خلت من قبله الرسل، وجعله وأمه آيـة للـناس، حيث خلقه من غير أب، إظهارا لكمال قدرته، وشمول كلمته، حيث قسم النوع الإنساني الأقسام الأربعة. فجعل آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجه حواء مـن ذكـر بـلا أنثـى، وخلق المسيح بن مريم من أنثى بلا ذكر، وخلق سائرهم من الزوجين الذكر والأنثى. وآتى عبده المسيح من الآيات البينات ما جرت به سنته، فأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وأنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ودعا إلى الله وإلى عبادته، متبعا سنة إخوانه المرسلين، مصدقا لمن قبله، ومبشرا بمن يأتي بعده.

وكـان بنو إسرائيل قد عتوا وتمردوا، وكان غالب أمره اللين والرحمه، والعفو والصـفح، وجعـل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة، وجعل منهم قسيسين ورهبانا. فتفرق الناس في المسيح عليه السلام ومن اتبعه من الحواريين ثلاثة أحزاب:

قـوم كذبـوه وكفروا به، وزعموا أنه ابن بغي، ورموا أمه بالفرية ونسبوه إلى يوسـف الـنجار، وزعموا أن شريعة التوراة لم ينسخ منها شيء، وأن الله لم ينسخ ما شرعه، بعد ما فعلوه بالأنبياء، وماكان عليهم من الإصار في النجاسات والمطاعم.

وقـوم غلوا فيه، وزعموا أنه الله أو ابن الله، وأن اللاهوت تدرع الناسوت، وأن رب العالمـين نـزل، وأنزل ابنه ليصلب ويقتل فداء لخطيئة آدم عليه السلام، وجعلوا الإله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد قد ولد، واتخذ ولدا، وأنه إله حي عليم قدير جوهر، واحد، ثلاثة أقانيم، وأن الواحد منها أقنوم الكلمة وهى العلم، هى تدرعت الناسوت البشري، مع العلم بأن أحدهما لا يمكن انفصاله عن الآخرين إلا إذا جعلوه ثلاثة إلهات متباينة. وذلك ما لايقولونه.

وتفـرقوا في التثليث والإتحاد تفرقا، وتشتتوا تشتتا، لا يقر به عاقل. ولم يجئ نقل إلا كلمات متشابهات في الإنجيل وماقبله من الكتب، قد بينتها كلمات محكمات في الإنجيل وما قبله، كلها تنطق بعبودية المسيح، وعبادته لله وحده، ودعائه وتضرعه.

ولما كان أصل الدين هو الإيمان بالله ورسوله، كما قال خاتم النبيين والمرسلين: "أمـرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله". وقال: "لا تطرونـي كمـا أطـرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله". كان أمر الدين توحيد الله والإقرار برسله، ولهذا كان الصابئون والمشركون كالبـراهمة ونحوهم من منكري النبوات مشركين بالله في إقرارهم وعبادتهم، وفاسدي الاعتقاد في رسله. فأرباب التثلث في الوحدانية والاتحاد في الرسالة قد دخل في أصل دينهم من الفساد ماهو بين بفطرة الله التي فطر الناس عليها، وبكتب الله التي أنزلها.

ولهـذا كان عامة رؤسائهم من القسيسين والرهبان وما يدخل فيهم من البطارقة والمطارنة والأساقفة إذا صار الرجل منهم فاضلا مميزا فإنه ينحل عن دينه، ويصير مـنافقا لملـوك أهـل دينه، وعامتهم رضي بالرياسة عليهم وبما يناله من الحظوظ، كالـذى كـان لبيت المقدس الذي يقال له ابن البوري، والذى كان بدمشق الذي يقال له ابـن القـف، والـذى بقسطنطينية وهو البابا عندهم، وخلق كثير من كبار الباباوات والمطارنـة والأساقفة، لما خاطبهم قوم من الفضلاء أقروا لهم بأنهم ليسوا على عقيدة النصـارى، وإنمـا بقـاؤهم علـى ماهم عليه لأجل العادة والرياسة، كبقاء الملوك والأغنـياء علـى ملكهم وغناهم، ولهذا تجد غالب فضلائهم إنما همة أحدهم نوع من العلـم الرياضـي: كالمـنطق والهيئة والحساب والنجوم، أو الطبيعي كالطب ومعرفة الأركـان، أو التكلم في الإلهي على طريقة الصابئة الفلاسفة، الذين بعث إليهم إبراهيم الخلـيل علـيه السلام، قد نبذوا دين المسيح والرسل الذين قبله وبعده وراء ظهورهم، وحفظوا رسوم الدين لأجل الملوك والعامة.

وأما الرهبان فأحدثوا من أنواع المكر والحيل بالعامة ما يظهر لكل عاقل، حتى صنف الفضلاء في حيل الرهبان كتبا مثل النار التي كانت تصنع بقمامة يدهنون خيطا دقـيقا بسـندروس ويلقـون الـنار عليه بسرعة فتنزل، فيعتقد الجهال أنها نزلت من

السـماء، ويأخـذونها إلـى البحر، وهي صنعة ذلك الراهب، يراه الناس عيانا، وقد اعترف هو وغيره أنهم يصنعونها. وقد اتفق أهل الحق من جميع الطوائف على أنه لا تجوز عبادة الله تعالى بشيء ليس له حقيقة وقد يظن المنافقون أن ما ينقل عن المسيح وغيره من المعجزات من جنس النار المصنوعة وكذلك حيلهم في تعليق الصليب، وفي بكاء التماثيل التي يصورونها على صورة المسيح وأمه وغيرهما، ونحو ذلك. كل ذلك يعلم كل عاقل أنه إفك مفترى، وأن جميع أنبياء الله وصالحي عباده برآء من كل زور وباطل وإفك كبرائهم من سحر سحرة فرعون.

ثـم إن هـؤلاء عمـدوا إلى الشريعة التي يعبدون الله بها فناقضوا الأولين من الـيهود فيها، مع أنهم يأمرون بالتمسك بالتوراة، إلا ما نسخه المسيح، قصر هؤلاء فـي الأنبـياء حتـى قتلوهم، وغلا هؤلاء فيهم حتى عبدوهم وعبدوا تماثيلهم. وقال أولـئك: إن الله لايصلح له أن يغير ما أمر به فينسخه، لا في وقت آخر ولا على لسان نبي آخر. وقال هؤلاء: بل الأحبار والقسيسون يغيرون ما شاءوا، ويحرمون ما رأوا، ومـن أذنب ذنبا وضعوا عليه ما رأوا من العبادات، وغفروا له. ومنهم من يزعم أنه يـنفخ في المرأة من روح القدس، فيجعل البخور قربانا. وقال أولئك: حرم علينا أشياء كثيـرة. وقـال هـؤلاء: ما بين البقة والفيل حلال، كل ما شئت، ودع ما شئت، وقال أولـئك: النجاسـات مغلظة، حتى أن الحائض لا يقعد معها، ولا يؤكل معها. وهؤلاء يقولـون: مـا علـيك شيء نجس ولا يأمرون بختان، ولا غسل من جنابة، ولا إزالة نجاسة، مع أن المسيح والحواريين كانوا على شريعة التوراة.

ثـم إن الصـلاة إلى المشرق لم يأمر بها المسيح ولاالحواريون، وإنما ابتدعها قسطنطين أو غيره وكذلك الصليب إنما ابتدعه قسطنطين برأيه، وبمنام زعم رآه. وأما المسيح والحواريون فلم يأمروا بشيء من ذلك.

والـدين الـذي يتقرب العباد به إلى الله لابد أن يكون الله أمر به وشرعه على ألسـنة رسـله وأنبيائه، وإلا فالبدع كلها ضلالة، وما عبدت الأوثان إلا بالبدع وكذلك إدخال الألحان في الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون.

وبالجملـــة فعامة أنواع العبادات والإعياد التي هم عليها لم ينزل بها الله كتابا، ولا بعـــث بها رسولا، لكن فيهم رأفة ورحمة، وهذا من دين الله، بخلاف الأولين، فإن فـــيهم قسوة ومقتا، وهذا مما حرمه الله تعالى، لكن الأولون لهم تمييز وعقل مع العناد والكبر. والآخرون فيهم ضلال عن الحق وجهل بطريق الله.

ثم إن هاتين الأمتين تفرقتا أحزابا كثيرة في أصل دينهم واعتقادهم في معبودهم ورســـولهم، هـــذا يقول: إن جوهر اللاهوت والناسوت صارا جوهرا واحدا، وطبيعة واحـــدة، وأقـــنوما واحـــدا، وهـــم اليعقوبية. وهذا يقول: بل هما جوهران وطبيعتان وأقنومان، وهم النسطورية. وهذا يقول بالإتحاد من وجه دون وجه، وهم الملكانية.

وقـــد آمـــن جماعـــات مـــن علماء أهل الكتاب قديما وحديثا، وهاجروا إلى الله ورســـوله، وصنفوا في كتب الله من دلالات نبوة النبي خاتم المرسلين، وما في التوراة والـــزبور والإنجيل من مواضع لم يدبروها، وكذلك الحواريون. فلما اختلف الأحزاب من بينهم هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فبعث النبي الذي بشر به المســـيح ومن قبله من الأنبياء، داعيا إلى ملة إبراهيم ودين المرسلين قبله وبعده، وهو عـــبادة الله وحـــده لا شـــريك لـــه، وإخلاص الدين كله لله، وطهر الأرض من عبادة الأوثان، ونزه الدين عن الشرك، دقه وجله، بعد ما كانت الأصنام تعبد في أرض الشام وغيـــرها فـــي دولة بني إسرائيل ودولة الذين قالوا إنا نصارى، وأمر بالإيمان بجميع كـــتب الله المنزلة: كالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وبجميع أنبياء الله من آدم إلى محمد.

قـــال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)﴾ [البقرة: ١٣٥-١٣٨].

وأمـــر الله ذلـــك الرســـول بدعوة الخلق إلى توحيده بالعدل، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشـــورى: ٥١] وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمـــران: ٧٩-٨٠] وأمـــره أن تكون صلاته وحجه إلى بيت الله الحرام، الذي بناه خليله إبراهيم أبو الأنبياء وإمام الحنفاء، وجعل أمته وسطا، فلم يغلوا في الأنبياء كغلو من عدلهم بالله وجعل فيهم شيئا من الإلهية وعبدهم، وجعلهم شـــفعاء، ولـــم يجفـــوا جفاء من آذاهم واستخف بحرماتهم، وأعرض عن طاعتهم، بل عـــزروا الأنبياء أي عظموهم ونصروهم، وآمنوا بما جاءوا به، وأطاعوهم واتبعوهم وائتموا بهم وأحبوهم وأجلوهم، ولم يعبدوا إلا الله، فلم يتكلوا إلا عليه، ولم يستعينوا إلا به، مخلصين له الدين حنفاء.

وكذلك في الشرائع قالوا ما أمرنا الله به أطعناه، وما نهانا عنه انتهينا، وإذا نهانا عمـــا كـــان أحلـــه، كما نهى بني إسرائيل عما كان أباحه ليعقوب، أو أباح لنا ما كان حراما، كما أباح المسيح بعض الذي حرم الله على بني إسرائيل، سمعنا وأطعنا.

وأمـــا غير رسل الله وأنبيائه فليس لهم أن يبدلوا دين الله، ولا يبتدعوا في الدين مالم يأذن به الله والرسل، إنما قالوا تبليغا عن الله، فإنه سبحانه له الخلق والامر، فكما لا يخلـــق غيـــره، لا يأمر غيره ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوســـف: ٤٠] وتوسطت هذه الأمة في الطهـــارة والنجاســـة، وفي الحلال والحرام، وفي الاخلاق. ولم يجردوا الشدة كما فعله الأولـــون، ولم يجردوا الرأفة كما فعله الآخرون، بل عاملوا أعداء الله بالشدة، وعاملوا

أولياء الله بالرأفة والرحمة، وقالوا في المسيح ما قاله سبحانه وتعالى، وما قاله المسيح والحواريون، لا ما ابتدعه الغالون والجافون.

وقد أخبر الحواريون عن خاتم المرسلين أنه يبعث من أرض اليمن، وأنه يبعث بقضـب الأدب، وهـو السيف. وأخبر المسيح أنه يجيء بالبينات والتأويل وأن المسيح جاء بالأمثال وهذا باب يطول شرحه.

وإنمـا نـبه الداعـي لعظيم ملته وأهله لما بلغني ما عنده من الديانة والفضل، ومحـبة العلم وطلب المذاكرة، ورأيت الشيخ أبا العباس المقدسي شاكرا من الملك من رفقه ولطفه وإقباله عليه، وشاكرا من القسيسين ونحوهم.

ونحن قوم نحب الخير لكل أحد، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة، فإن أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين، ولا نصيحة أعظـم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه، فإنه لابد للعبد من لقاء الله، ولابد أن الله يحاسـب عبده كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

وأمـا الدنـيا فأمـرها حقير، وكبيرها صغير، وغاية أمرها يعود إلى الرياسة والمـال، وغايـة ذي الرياسـة أن يكون كفرعون الذي أغرقه الله في اليم انتقاما منه، وغايـة ذي المـال أن يكون كقارون الذي خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة لما أذى نبي الله موسى.

وهـذه وصـايا المسيح ومن قبله ومن بعده من المرسلين، كلها تأمر بعبادة الله والتجـرد للدار الآخرة، والإعراض عن زهرة الحياة الدنيا. ولما كان أمرالدنيا خسيسا رأيـت أن أعظم ما يهدى لعظيم قومه المفاتحة في العلم والدين، بالمذاكرة فيما يقرب إلـى الله، والكلام في الفروع مبني على الأصول. وأنتم تعلمون أن دين الله لا يكون بهوى النفس، ولا بعادات الأباء وأهل المدينة وإنما ينظر العاقل فيما جاءت به الرسل، وفـي مـا اتفـق الـناس عليه وما اختلفوا فيه، ويعامل الله تعالى بينه وبين الله تعالى بالاعتقاد الصحيح والعمل الصالح، وإن كان لايمكن الإنسان أن يظهر كل ما في نفسه لكل أحد فينتفع هو بذلك القدر.

وإن رأيت من الملك رغبة في العلم والخير كاتبته، وجاوبته عن مسائل يسألها، وقـد كان خطر لي أن أجيء إلى قبرص لمصالح في الدين والدنيا، لكن إذا رأيت من الملك ما فيه رضى الله ورسوله عاملته بما يقتضيه عمله، فإن الملك وقومه يعلمون أن الله قـد أظهـر من معجزات رسله عامة، ومحمد خاصة، ما أيد به دينه وأذل الكفار والمنافقين.

ولمـا قدم مقدم المغول غازان وأتباعه إلى دمشق، وكان قد انتسب إلى الإسلام، لكـن لـم يـرض الله ورسـوله والمؤمنون بما فعلوه، حيث لم يلتزموا دين الله، وقد اجـتمعت به وبأمرائه، وجرى لي معهم فصول يطول شرحها، لابد أن تكون قد بلغت الملك، فأذله الله وجنوده لنا، حتى بقينا نضربهم بأيدينا، ونصرخ فيهم بأصواتنا، وكان معهـم صـاحب سـيس مثل أصغر غلام يكون، حتى كان بعض المؤذنين الذين معنا يصـرخ عليه، ويشتمه، وهو لا يجترىء أن يجاوبه، حتى أن وزراء غازان ذكروا ما يـنم علـيه مـن فسـاد النية له، وكنت حاضرا لما جاءت رسلكم إلى ناحية الساحل، وأخبرنـي التتار بالأمر الذي أراد صاحب سيس أن يدخل بينكم وبينه فيه، حيث مناكم بالغـرور، وكان التتارمن أعظم الناس شتيمة لصاحب سيس، وإهانة له، ومع هذا فإنا كنا نعامل أهل ملتكم بالإحسان إليهم، والذب عنهم.

وقـد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم غـازان وقطلوشاه، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفتكهم، ولا ندع أسيرا لا من أهل الملة. ولا من أهل الذمة، وأطلقنا من النصارى من شاء الله فهذا عملنا وإحساننا، والجزاء على الله.

وكـذلك السبي الذي بأيدينا من النصارى يعلم كل أحد إحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم، كما أوصانا خاتم المرسلين حيث قال في آخر حياته: "الصلاة وما ملكت إيمانكم". قال الله تعالى في كتابة ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان: ٨]

ومـع خضـوع التـتار لهذه الملة، وانتسابهم إلى هذه الملة، فلم نخادعهم ولم نـنافقهم، بـل بينا لهم ما هم عليه من الفساد والخروج عن الإسلام الموجب لجهادهم،

وإن جنود الله المؤيدة، وعساكره المنصورة المستقرة بالديار الشامية والمصرية، ما زالت منصورة على من ناوأها، مظفرة على من عاداها، وفي هذه المدة لما شاع عند العامة أن التتار مسلمون، أمسك العسكر عن قتالهم، فقتل منهم بضعة عشر ألفا، ولم يقتل من المسلمين مائتان. فلما انصرف العسكر إلى مصر، وبلغه ما عليه هذه الطائفة الملعونة من الفساد، وعدم الدين، خرجت جنود الله، وللأرض منها وئيد، قد ملأ السهل والجبل، في كثرة وقوة وعدة وإيمان وصدق. قد بهرت العقول والألباب، محفوفة بملائكة الله التي ما زال يمد بها الأمة الحنيفية المخلصة لبارئها، فانهزم العدو بين أيديها، ولم يقف لمقابلتها، ثم أقبل العدو ثانيا، فأرسل عليه من العذاب ما أهلك النفوس والخيل، وانصرف خاسئا وهو حسير، وصدق الله وعده، ونصر عبده، وهو إلان في البلاء الشديد والتعكيس العظيم، والبلاء الذي أحاط به، والإسلام في عز متزايد، وخير مترافد، فإن النبي ﷺ قد قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها". وهذا الدين في إقبال وتجديد، وأنا ناصح للملك وأصحابه، والله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة والإنجيل والفرقان.

ويعلم الملك أن وفد نجران وكانوا نصارى كلهم، فيهم الإسقف وغيره، لما قدموا على النبي ﷺ ودعاهم إلى الله ورسوله وإلى الإسلام، خاطبوه في أمر المسيح وناظروه، فلما قامت عليهم الحجة جعلوا يراوغون، فأمر الله نبيه أن يدعوهم إلى المباهلة كما قال: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١] فلما ذكر النبي ﷺ ذلك استشوروا بينهم، فقالوا: تعلمون أنه نبي، وأنه ما باهل أحد نبيا فأفلح، فأدوا إليه الجزية، ودخلوا في الذمة، واستعفوا من المباهلة، وكذلك بعث النبي ﷺ كتابه إلى قيصر الذي كان ملك النصارى بالشام والبحر إلى قسطنطينية وغيرها، وكان ملكا فاضلا. فلما قرأ كتابه، وسأل عن علامته، عرف أنه النبي الذي بشر به المسيح، وهو الذي كان وعد الله به إبراهيم في ابنه إسماعيل، وجعل يدعو قومه النصارى إلى متابعته، وأكرم كتابه، وقبله ووضعه على

عينيه، وقال وددت أني أخلص إليه حتى أغسل عن قدميه، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه.

وأما النجاشي ملك الحبشة النصراني، فإنه لما بلغه خبر النبي ﷺ من أصحابه الذين هاجروا إليه آمن به وصدقه، وبعث إليه ابنه وأصحابه مهاجرين، وصلى النبي ﷺ عليه لما مات، ولما سمع سورة ﴿كهيعص ۝١﴾ [مريم: ١] بكى، ولما أخبره عما يقولون في المسيح قال: والله ما يزيد عيسى على هذا مثل هذا العود. وقال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

وكانت سيرة النبي أن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من النصارى صار من أمته، له مالهم وعليه ما عليهم، وكان له أجران، أجر على إيمانه بالمسيح، وأجر على إيمانه بمحمد. ومن لم يؤمن به من الأمم فإن الله أمر بقتاله كما قال في كتابه: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

فمن كان لا يؤمن بالله، بل يسب الله، ويقول: إنه ثالث ثلاثة وأنه صلب، ولا يؤمن برسله، بل يزعم أن الذي حمل وولد، وكان يأكل ويشرب، ويتغوط وينام: هو الله، وابن الله. وأن الله أو ابنه حل فيه وتدرعه، ويجحد ما جاء به محمد خاتم المرسلين، ويحرف نصوص التوراة والإنجيل، فإن في الأناجيل الأربعة من التناقض والاختلاف بين ما أمر الله به أوجبه ما فيها، ولايدين الحق ودين الحق هو الإقرار بما أمر الله به وأوجبه من عبادته وطاعته، ولا يحرم ما حرم الله ورسوله من الدم والميتة ولحم الخنزير، الذي ما زال حراما من لدن آدم إلى محمد ﷺ، ما أباحه نبي قط، بل علماء النصارى يعلمون أنه محرم، وما يمنع بعضهم من إظهار ذلك إلا الرغبة والرهبة، وبعضهم يمنعه العناد والعادة ونحو ذلك. ولا يؤمنون باليوم الاخر، لأن عامتهم وإن كانوا يقرون بقيامة الأبدان، لكنهم لا يقرون بما أخبر الله به من الأكل والشرب واللباس والنكاح والنعيم والعذاب في الجنة والنار، بل غاية ما يقرون به من

النعـيم السـماع والشم. ومنهم متفلسفة ينكرون معاد الأجساد، وأكثر علمائهم زنادقة، وهم يضـمرون ذلـك، ويسخرون بعوامهم، لاسيما بالنساء والمترهبين منهم، بضعف العقول. فمـن هـذا حاله فقد أمر الله رسوله بجهاده حتى يدخل في دين الله، أو يؤدي الجزية وهذا دين محمد ﷺ.

ثـم المسـيح صـلوات الله علـيه لم يأمر بجهاد، لاسيما بجهاد الأمة الحنيفية، ولا الحواريون بعده.

فـيا أيها الملك كيف تستحل سفك الدماء وسبي الحريم وأخذ الأموال بغير حجة مـن الله ورسـله. ثـم أما يعلم الملك أن بديارنا من النصارى أهل الذمة والأمان مالا يحصـى عـددهم إلا الله ومعاملتنا فيهم معروفة، فكيف يعاملون أسرى المسلمين بهذه المعـاملات التـي لا يرضى بها ذو مروءة، ولا ذو دين؟ لست أقول عن الملك وأهل بيـته ولا إخوته، فإن أبا العباس شاكر للملك ولأهل بيته كثيرا، معترفا بما فعلوه معه مـن الخير، وإنما أقول عن عموم الرعية أليس الأسرى في رعية الملك؟ أليست عهود المسيح وسائر الأنبياء توصي بالبر والإحسان. فأين ذلك؟!

ثـم إن كثيـرا مـنهم إنما أخذوا غدرا، والغدر حرام في جميع الملل والشرائع والسياسـات، فكـيف تسـتحلون أن تستولوا على من أخذ غدرا؟ أفتأمنون مع هذا أن يقـابلكم المسلمون ببعض هذا، وتكونون مغدورين؟ والله ناصرهم ومعينهم لاسيما في هـذه الأوقات، والأمة قد امتدت للجهاد. واستعدت للجلاد. ورغب الصالحون وأولياء الـرحمن في طاعتة، وقد تولى الثغورالساحلية أمراء ذوو بأس شديد، وقد ظهر بعض أثرهم وهم في ازدياد.

ثـم عـند المسلمين من الرجال الفداوية الذين يغتالون الملوك في فرشها، وعلى أفراسـها مـن قـد بلغ الملك خبرهم قديما وحديثا، وفيهم الصالحون الذين لا يرد الله دعواتهم، ولا يخيب طلباتهم، الذين يغضب الرب لغضبهم، ويرضى لرضاهم وهؤلاء التـتار مـع كثرتهم وانتسابهم إلى المسلمين لما غضب المسلمون عليهم أحاط بهم من البلاء ما يعظم عن الوصف، فكيف يحسن أيها الملك بقوم يجاورون المسلمين من أكثر الجهات أن يعاملوهم هذة المعاملة التي لايرضاها عاقل لامسلم ولا معاهد؟!.

هذا وأنت تعلم أن المسلمين لا ذنب لهم أصلا، بل هم المحمودون على مافعلوه، فان الذي أطبقت العقلاء على الاقرار بفضله هو دينهم، حتى الفلاسفة أجمعوا على أنه لم يطرق العالم دين أفضل من هذا الدين فقد قامت البراهين على وجوب متابعته.

ثم هذة البلاد ما زالت بأيديهم الساحل بل، وقبرص أيضا ما أخذت منهم إلا من أقــل مــن ثلاثمائة سنة، وقد وعدهم النبي أنهم لايزالون ظاهرين إلى يوم القيامة. فما يــؤمن الملك أن هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدتة ينتقم لهم رب العباد والبلاد كما ينتقم لغيــرهم؟ وما يؤمنه أن تأخذ المسلمين حمية إسلامهم فينالوا منها ما نالوا من غيرها؟ ونحــن إذا رأينا من الملك وأصحابه ما يصلح عاملناهم بالحسنى، وإلا فمن بغي عليه لينصرنه الله.

وأنت تعلم أن ذلك من أيسر الأمور على المسلمين. وأنا ما غرضي الساعة إلا مخاطبــتكم بالتــى هى أحسن، والمعاونة على النظر في العلم، واتباع الحق وفعل ما يجــب. فإن كان عند الملك من يثق بعقله ودينه فليبحث معه عن أصول العلم وحقائق الأديــان، ولا يرضــى أن يكــون مــن هؤلاء النصارى المقلدين، الذين لا يسمعون ولايعقلون، إن هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

وأصــل ذلك أن تستعين بالله وتسأله الهداية، وتقول اللهم أرني الحق حقا وأعني علــى اتــباعه، وأرنى الباطل باطلا وأعني على اجتنابه، ولا تجعله مشتبها علي فأتبع الهــوى فأضل. وقل اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عــالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فــيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. والكتاب لايحتمل البسط أكثر من هذا لكن أنا ما أريد للملك إلا ما ينفعه في الدنيا والآخرة وهما شيئان.

أحدهما: له خاصة، وهو معرفته بالعلم والدين، وانكشاف الحق وزوال الشبهة، وعبادة الله كما أمر. فهذا خير له من ملك الدنيا بحذافيرها، وهو الذي بعث به المسيح وعلمه الحواريين.

الثانــي: له وللمسلمين، وهو مساعدته للأسرى الذين في بلاده، وإحسانه إليهم، وأمــر رعيته بالإحسان إليهم، والمعاونة لنا على خلاصهم، فإن في الإساءة إليهم دركا

علـــى الملـــك في دينه ودين الله تعالى، ودركا من جهة المسلمين، وفي المعاونة على خلاصهم حسنة له في دينه، ودين الله تعالى وعند المسلمين، وكان المسيح أعظم الناس توصية بذلك.

ومـــن العجـــب كـــل العجـــب أن يأسر النصارى قوما غدرا أو غير غدر ولم يقاتلوهم، والمسيح يقول: "من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن أخذ رداءك فأعطـــه قميصك". وكلما كثرت الأسرى عندكم كان أعظم لغضب الله وغضب عـــباده المســـلمين، فكيف يمكن السكوت على أسرى المسلمين في قبرص سيما وعامة هـــؤلاء الأسرى قوم فقراء وضعفاء، ليس لهم من يسعى فيهم؟ وهذاأبو العباس مع أنه من عباد المسلمين، وله عبادة وفقر وفيه مشيخة، ومع هذا فما كاد يحصل له فداؤه إلا بالشدة ودين الإسلام يأمرنا أن نعين الفقير والضعيف. فالملك أحق أن يساعد على ذلك مـــن وجـــوه كثيرة، لا سيما والمسيح يوصي بذلك في الإنجيل، ويأمر بالرحمة العامة والخير الشامل، كالشمس والمطر. والملك وأصحابه إذا عاونونا على تخليص الأسرى والإحســـان إليهم كان الحظ الأوفر لهم في ذلك في الدنيا والآخرة أما في الآخرة، فإن الله يثيب على ذلك ويأجر عليه، وهذا مما لا ريب فيه عند العلماء المسيحيين الذين لا يتبعون الهوى، بل كل من اتقى الله وأنصف علم أنهم أسروا بغير حق، لاسيما من أخذ غـــدرا، والله تعالـــى لم يأمر المسيح ولا أحدا من الحواريين ولا من اتبع المسيح على دينه، لا بأسر أهل ملة إبراهيم، ولا بقتلهم. وكيف وعامة النصارى يقرون بأن محمدا رسول الأميين؟ فكيف يجوز أن يقاتل أهل دين اتبعوا رسولهم؟.

فـــإن قال قائل هم قاتلونا أول مرة. قيل: هذا باطل فيمن غدرتم به ومن بدأتموه بالقتال. وأما من بدأكم منهم فهو معذور، لأن الله تعالى أمره بذلك ورسوله، بل المسيح والحواريـــون أخذ عليهم المواثيق بذلك، ولا يستوي من عمل بطاعة الله ورسله ودعا إلى عباده ودينه، وأقر بجميع الكتب والرسل، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله، ومن قاتل في هوى نفسه وطاعة شيطانه على خلاف أمر الله ورسله.

ومـــا زال فـــي النصارى من الملوك والقسيسين والرهبان والعامة من له مزية على غيره في المعرفة والدين، فيعرف بعض الحق، وينقاد لكثير منه، ويعرف من قدر

الإســلام وأهله ما يجهله غيره، فيعاملهم معاملة تكون نافعة له في الدنيا والآخرة. ثم فــي فكاك الأسير وثواب العتق من كلام الأنبياء والصديقين ما هو معروف لمن طلبه، فمهما عمل الملك معهم وجد ثمرته.

وأمــا فــي الدنيا فإن المسلمين أقدر على المكافأة في الخير والشر من كل أحد، ومن حاربوه فالويل كل الويل له، والملك لابد أن يكون سمع السير، وبلغه أنه ما زال فــي المســلمين النفــر القليل منهم من يغلب أضعافا مضاعفة من النصارى وغيرهم، فكــيف إذا كانــوا أضعافهم؟ وقد بلغه الملاحم المشهورة في قديم الدهر وحديثه، مثل أربعــين ألفــا يغلــبون من النصارى أكثر من أربعمائة ألف أكثرهم فارس. وما زال المــرابطون بالــثغور مع قلتهم واشتغال ملوك الإسلام عنهم يدخلون بلاد النصارى، فكــيف وقــد مــن الله تعالــى على المسلمين باجتماع كلمتهم، وكثرة جيوشهم، وبأس مقدميهم، وعلو هممهم، ورغبتهم فيما يقرب إلى الله تعالى، واعتقادهم أن الجهاد أفضل الأعمال المطوعة، وتصديقهم بما وعدهم نبيهم حيث قال: "يعطى الشهيد ست خصال: يغفــر لــه بأول قطرة من دمه، ويرى مقعدة في الجنة، ويكسى حلة الإيمان، ويزوج باثنتــين وســبعين مــن الحور العين، ويوقى فتنة القبر، ويؤمن من الفزع الأكبر يوم القيامة. "

ثــم إن في بلادهم من النصارى أضعاف ما عندكم من المسلمين، فإن فيهم من رؤوس النصــارى من ليس في البحر مثلهم إلا قليل، وأما أسراء المسلمين فليس فيهم مــن يحــتاج إليه المسلمون، ولا من ينتفعون به، وإنما نسعى في تخليصهم لأجل الله تعالى، رحمة لهم، وتقربا إليه يوم يجزي الله المصدقين ولا يضيع أجر المحسنين.

وأبــو العباس حامل هذا الكتاب قد بث محاسن الملك وإخوتة عندنا واستعطف قلوبــنا إلــيه، فلذلك كاتبت الملك لما بلغتني رغبتة في الخير، وميله إلى العلم والدين، وأن مــن نواب المسيح وسائر الأنبياء في مناصحة الملك وأصحابه وطلب الخير لهم، فــإن أمــة محمد خير أمة أخرجت للناس، يريدون للخلق خير الدنيا والآخرة، يأمرون بالمعــروف ويــنهون عــن المنكر، ويدعونهم إلى الله، ويعينونهم على مصالح دينهم ودنــياهم. وإن كان الملك قد بلغه بعض الأخبار التي فيها طعن على بعضهم، أو طعن

علـــى دينهم، فإما أن يكون المخبر كاذبا، أو ما فهم التأويل، وكيف صورة الحال. وإن كـــان صادقا عن بعضهم بنوع من المعاصي والفواحش والظلم، فهذا لابد منه في كل أمـــة، بل الذي يوجد في المسلمين من الشر أقل مما في غيرهم بكثير، والذى فيهم من الخير لايوجد مثله في غيرهم.

والملـــك وكـــل عاقـــل يعرف أن أكثر النصارى خارجون عن وصايا المسيح والحواريـــين، ورســـائل بـــولص وغيـــره مـــن القديسين وإن كان أكثر ما معهم من النصـــرانية شرب الخمر، وأكل الخنزير، وتعظيم الصليب، ونواميس مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وأن بعضهم يستحل بعض ما حرمته الشريعة النصرانية. هذا فيما يقـــرون به. وأما مخالفتهم لما لا يقرون به فكلهم داخل في ذلك بل قد ثبت عندنا عن الصـــادق المصـــدوق رســـول الله ﷺ أن المسيح عيسى بن مريم ينزل عندنا بالمنارة البيضـــاء في دمشق، واضعا كفيه على منكبي ملكين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضـــع الجـــزية، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، ويقتل مسيح الضلالة الأعور الدجال الـــذي يتبعه اليهود، ويسلط المسلمون على اليهود، حتى يقول الشجر والحجر: يامسلم هـــذا يهودي ورائي فاقتله. وينتقم الله للمسيح بن مريم مسيح الهدى من اليهود ما آذوه وكذبوه لما بعث إليهم.

وأمـــا مـــا عندنا في أمر النصارى وما يفعل الله بهم من إدالة المسلمين عليهم وتسليطه عليهم، فهذا مما لا أخبر به الملك، لئلا يضيق صدره، ولكن الذي أنصحه به أن كـــل من أسلف إلى المسلمين خيرا ومال إليهم كانت عاقبته معهم حسنة، بحسب ما فعله من الخير، فإن الله يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

والـــذي أخـــتم بـــه الكـــتاب الوصية بالشيخ أبي العباس، وبغيره من الأسرى، والمســـاعدة لهـــم والـــرفق بمن عندهم من أهل القرآن، والامتناع من تغيير دين واحد مـــنهم، وسوف يرى الملك عاقبة ذلك كله. ونحن نجزي الملك على ذلك بأضعاف ما فـــي نفسه. والله يعلم أني قاصد للملك الخير، لأن الله تعالى أمرنا بذلك، وشرع لنا أن

نريد الخير لكل أحد، ونعطف على خلق الله، وندعوهم إلى الله، وإلى دينه، وندفع عنهم شياطين الإنس والجن.

والله المسئول أن يعين الملك على مصلحته التي هى عند الله المصلحة، وأن يخير له من الأقوال ما هو خير له عند الله، ويختم له بخاتمة خير. والحمد لله رب العالمين. وصلواته على أنبيائه المرسلين، ولا سيما محمد خاتم النبيين والمرسلين، والسلام عليهم أجمعين.

مجموع الفتاوى ٢٨ / ٦٠١ – ٦٣٠

الفصل السادس

معرفته باللغة العبرية والتركية والفارسية

الفصل السادس

معرفته باللغة العبرية والتركية والفارسية

أولا : معرفته باللغة العبرية

والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة كما تتقارب الاسماء في الإشتقاق الأكبر، وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرت أفهم كثيرا من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية

مجموع الفتاوى ٤ / ١١٠

ثانيا : معرفته باللغة التركية

تقدم في المناظرة لدجاجلة البطائحية قوله: وسمعته يخاطب الأمير الكبير الذي قدم من مصر الحاج بهادر، وأنا جالس بينهما على رأس السماط بالتركي ما فهمته منه، إلا أنه قال: اليوم ترى حربا عظيما، ولعل ذاك كان جوابا لمن كان خاطبه فيهم على ما قيل.

مجموع الفتاوى ١١/٤٦٠-٤٦١

ثالثا : معرفته باللغة الفارسية

وكثير من الاسماء المعبر بها عن الاشياء المتفق على علمها في الجملة (فتكرى، وخداي، ونست شك) ونحو ذلك، وإن كانت أسماء لله تعالى، فليس معناها مطابقا من كل وجه لمعنى اسم الله، وكذلك (بيغنير وبهشم) ونحو ذلك.

ولهذا إذا تأملت الألفاظ التي يترجم بها القرآن – من الألفاظ الفارسية والتركية وغيرها – تجد بين المعاني نوع فرق، وإن كانت متفقة في الأصل، كما أن اللغتين

متفقة في الصوت، وإن اختلفت في تأليفه، وقد تجد التفاوت بينها أكثر من التفاوت بين الألفاظ (المتكافئة) – الواقعة بين المترادفة والمتباينة – كالصارم والمهند، وكالريب والشك، والمور والحركة، والصراط والطريق.

وتختلف اللغتان أيضا في قدر ذلك المعنى، وعمومه وخصوصه، كما تختلف في حقيقته ونوعه، وتختلف أيضا في كيفيته وصفته وغير ذلك.

مجموع الفتاوى ٦/٦٣-٦٤

الفَصْلُ السَّابِعُ

قصائده

الفصل السابع

قصائده

أولا: القصيدة التائية في القدر

سؤال عن القدر أورده أحد علماء الذميين فقال:

أيـــا علمــــاء الـــدين، ذمــــي ديـــنكم تحيـــــر دلـــــوه بأوضــــح حجــــة

إذا مــا قضـــى ربـــي بكفـــري بزعمكم ولـــم يرضـــه منـــي، فما وجه حيلتي؟

دعانـــي، وســـد الـــباب عنـــي، فهل إلى دخولـــي ســـبيل؟ بيـــنوا لـــي قضـــيتي

قضـــى بضـــلالي، ثم قال: ارض بالقضا فمـــا أنـــا راض بالـــذي فـــيه شـــقوتي

فـــإن كـــنت بالمقضـــي يـــا قوم راضيا فربـــي لا يرضـــى بشـــؤم بليتـــي

فهلـــي لـــي رضاً، ما ليس يرضاه سيدي فقـــد حـــرت دلوني على كشف حيرتي

إذا شـــاء ربـــي الكفـــر منـــي مشـــيئة فهـــل أنـــا عـــاص فـــي اتباع المشيئة؟

وهـــل لـــي اختـــيار أن أخالـــف حكمه؟ فـــبالله فاشـــفوا بالبـــراهين غلتـــي

فأجاب شيخ الإسلام الشيخ الإمام العالم العلامة أحمد بن تيمية مرتجلاً الحمد لله رب العالمين:

ســـؤالك يـــا هـــذا، ســـؤال معانـــد مخاصـــم رب العـــرش، يا رب البرية

فهـــذا ســـؤال، خاصـــم المـــلأ العـــلا قـــديماً بـــه إبلـــيس، أصـــل البلـــية

ومـــن يـــك خصـــماً للمهـــيمن يرجعن علـــى أم رأس هاويـــاً فـــي الحفيـــرة

ويدعى خصوم الله يوم معادهم	إلى النار طراً، معشر القدرية
سواء نفوه، أو سعوا ليخاصموا	به الله، أو ماروا به للشريعة
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة	هو الخوض في فعل الإله بعلة
فإنهموا لم يفهموا حكمة له	فصاروا على نوع من الجاهلية
فإن جميع الكون أوجب فعله	مشيئة رب الخلق باري الخليقة
وذات إله الخلق واجبة بما	لها من صفات واجبات قديمة
مشيئة مع علمه، ثم قدرة	لوازم ذات الله قاضي القضية
وإبداعه ما شاء من مبدعاته	بها حكمة فيه وأنواع رحمة
ولسنا إذا قلنا جرت بمشيئة	من المنكري آياته المستقيمة
بل الحق أن الحكم لله وحده	له الخلق والأمر الذي في الشريعة
هو الملك المحمود في كل حالة	له الملك من غير انتقاص بشركة
فما شاء مولانا الإله، فإنه	يكون. وما لا لا يكون بحيلة
وقدرته لا نقص فيها، وحكمه	يعم. فلا تخصيص في ذي القضية
أريد بذا أن الحوادث كلها	بقدرته كانت، ومحض المشيئة
وما لكنا في كل ما قد أراده	له الحمد حمداً يعتلي كل مدحة

فـإن لـه فـي الخلـق رحمـته سرت ... ومـن حكـم فـوق العقـول الحكيمة

أمـوراً يحـار العقـل فـيها إذا رأى ... مـن الحكـم العلـيا وكـل عجيـبة

فـتؤمن أن الله عـز بقـدرة ... وخلـق وإبـرام لحكـم المشـيئة

فنثـبت هـذا كلـه لإلهـنا ... ونثـبت مـا فـي ذاك من كل حكمة

وهـذا مقـام طالمـا عجـز الأولـى ... نفـوه وكـروا راجعـين بحيـرة

وتحقـيق مـا فـيه بتبيـين غـوره ... وتحريـر حـق الحق في ذي الحقيقة

هـو المطلـب الأقصـى لـوراد بحره ... وذا عسـر فـي نظـم هذي القصيدة

لحاجـته إلـى بـيان محقـق ... لأوصـاف مـولانا الإلـه الكـريمة

وأسـمائه الحسـنى، وأحكـام ديـنه ... وأفعالـه فـي كـل هـذي الخلـيقة

وهـذا بحمـد الله قـد بـان ظاهـراً ... وإلهامـه للخلـق أفضـل نعمـة

وقـد قـيل فـي هـذا وخـط كـتابه ... بـيان شـفاء للـنفوس السـقيمة

فقـولك: لـم قـد شـاء؟ مثل سؤال من ... يقـول: فلـم قـد كـان في الأزلية؛

وذاك سـؤال يـبطل العقـل وجهـه ... وتحـريمه قـد جـاء فـي كل شرعة

وفـي الكـون تخصـيص كثير يدل من ... لـه نـوع عقـل: أنـبه بـإرادة

وإصـداره عـن واحـد بعـد واحـد ... أو القـول بالتجويـز رمـية حيـرة

ولا ريب في تعليق كل مسبب ... بما قبله من علة موجبية

بل الشأن في الأسباب، أسباب ما ترى ... وإصدارها عن حكم محض المشيئة

وقولك: لم شاء الإله؟ هو الذي ... أزل عقول الخلق في قعر حفرة

فإن المجوس القائلين بخالق ... لنفع، ورب مبدع للمضرة

سؤالهم عن علة السر، أوقعت ... أوائلهم في شبهة الثنوية

وإن ملاحيد الفلاسفة الأولى ... يقولون بالفعل القديم لعلة

بقوا علة للكون بعد انعدامه ... فلم يجدوا ذاكم، فضلوا بضلة

وإن مبادي الشر في كل أمة ... قوى ملة ميمونة نبوية

بخوضهمو في ذاكم، صار شركهم ... وجاء دروس البينات بفترة

ويكفيك نقضاً أن ما قد سألته ... من العذر مردود لدى كل فطرة

فأنت تعيب الطاعنين جميعهم ... عليك، وترميهم بكل مذمة

وتنحل من والاك صفو مودة ... وتبغض من ناواك من كل فرقة

وحالهم في كل قول وفعلة ... كحالك يا هذا بأرجح حجة

وهبك كففت اللوم عن كل كافر ... وكل غوي خارج عن محجة

فيلزمك الإعراض عن كل ظالم ... على الناس في نفس، ومال، وحرمة

ولا تغضبن يوماً على سافك دماً ... ولا سارق مالاً لصاحب فاقة

ولا شاتم عرضاً مصوناً، وإن علا ... ولا ناكح فرجاً على وجه غية

ولا قاطع للناس نهج سبيلهم ... ولا مفسد في الأرض في كل وجهة

ولا شاهد بالزور إفكاً وفرية ... ولا قاذف للمحصنات بزنية

ولا مهلك للحرث والنسل عامداً ... ولا حاكم للعالمين برشوة

وكف لسان اللوم عن كل مفسد ... ولا تأخذن ذا جرمة بعقوبة

وسهل سبيل الكاذبين تعمداً ... على ربهم، من كل جاء بفرية

وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم ... بروم فساد النوع، ثم الرياسة

وجادل عن الملعون، فرعون، إذ طغى ... فأغرق في اليم انتقاماً بغضبة

وكل كفرو مشرك بإلهه ... وآخر طاغ كافر بنبوة

كعاد، ونمروذ، وقوم لصالح ... وقوم لنوح، ثم أصحاب الأيكة

وخاصم لموسى، ثم سائر من أتى ... من الأنبياء محيياً للشريعة

على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا ... ونالوا من المعاصي بليغ العقوبة

وإلا فكل الخلق في كل لفظة ... ولحظة عين، أو تحرك شعرة

وبطشة كف، أو تخطي قديمة ... وكل حراك، بل وكل سكينة

همـــو تحـــت أقـــدار الإلـــه وحكمـــه كمـــا أنـــت فـيما قــد أتـيت بحجة

وهـــبك رفعـــت اللـــوم عـــن كل فاعل فعـــال ردى، طـــرداً لهـــذي المقيسة

فهـــل يمكـــن رفـــع المـــلام جمـــيعه عـــن الـــناس طـــراً عـــند كل قبيحة؟

وتـــرك عقـــوبات الـــذين قـــد اعـــتدوا وتـــرك الـــورى الإنصاف بين الرعية

فـــلا تُضْـــمَنَنْ نفـــس ومـــال بمـــثله ولا يُعقَـــبنْ عـــادٍ بمـــثل الجـــريمة

وهـــل فـــي عقول الناس، أو في طباعهم قـــبول لقـــول الـــنذل: ما وجه حيلتي؟

ويكفـــيك نقضـــاً: مـــا بجســـم ابـــن آدم صـــبي، ومجـــنون، وكـــل بهـــيمة:

مـــن الألـــم المقضـــي فـــي غيـــر حيلة وفـــيهما يشـــاء الله أكمـــل حكمـــة

إذا كـــان فـــي هـــذا لـــه حكمـــة، فمـــا يُظـــن بخلـــق الفعـــل، ثـــم العقوبة؟

وكـــيف، ومـــن هـــذا عـــذاب مـــولد عـــن الفعـــل، فعل العبد عند الطبيعة؟

كآكـــل ســـم، أوجـــب المـــوت أكلـــه وكـــل بتقديـــر لـــرب البـــرية

فكفـــرك يـــا هـــذا؛ كـــم أكلـــته وتعـــذيب نـــار، مـــثل جـــرعة غصة

ألســـت تـــرى فـــي هذه الدار من جنى يعاقـــب، إمـــا بالقضـــاء، أو بشرعة؟

ولا عـــذر للجانـــي بتقديـــر خالـــق كـــذلك فـــي الأخـــرى بـــلا مثـــنوية

وتقديـــر رب الخلـــق للـــذنب مـــوجب لتقديـــر عقبـــى الـــذنب إلا بـــتوبة

وما كان من جنس المتاب لرفعه   عواقب أفعال العباد الخبيثة

كخير به تمحى الذنوب، ودعوة   تجاب من الجاني، ورب شفاعة

وقول حليف ا لشر: إني مقدر   علي، كقول الذئب: هذي طبيعتي

وتقديره للفعل يجلب نقمة   كتقديره الأشياء طراً بعلة

فهل ينفعن عذر الملوم، بأنه   كذا طبعه، أم هل يقال لعثرة؟

أم الذم والتعذيب أوكد للذي   طبيعته فعل الشرور الشنيعة؟

فإن كنت ترجو أن تجاب بما عسى   ينجيك من نار الإله العظيمة

فدونك رب الخلق، فاقصده ضارعاً   مريداً لأن يهديك نحو الحقيقة

ونلل قياد النفس للحق، واسمعن   ولا تعرضن على فكرة مستقيمة

وما بان من حق فلا تتركنه   ولا تعص من يدعو لأقوم شرعة

ودع دين ذا العادات، لا تتبعنه   وعج عن سبيل الأمة الغضبية

ومن ضل عن حق فلا تقفونه   وزن ما عليه الناس بالمعدلية

هنالك تبدو طالعات من الهدى   تبشر من قد جاء بالحنيفية

بملة إبراهيم ذاك إمامنا   ودين رسول الله خير البرية

فلا يقبل الرحمن ديناً سوى الذي   به جاءت الرسل الكرام السجية

وقـد جـاء هـذا الحاشـر الخاتم الذي ... حـوى كـل خيـر في عموم الرسالة

وأخبـر عـن رب العـباد بـأن مـن ... غـدا عـنه فـي الأخرى بأقبح خيبة

فهـذي دلالات العـباد لحائـر ... وأمـا هـداه فهـو فعـل الـربوبة

وفقـد الهـدى عـند الورى لا يفيد من ... غـدا عـنه، بل يجزى بلا وجه حجة

وحجـة محـتج بتقديـر ربـه ... تـزيد عـذاباً، كاحـتجاج مريضـة

وأمـا رضـانا بالقضـاء فإنمـا ... أمـرنا بـأن نرضـى بمثل المصيبة

كسـقم، وفقـر، ثـم ذل، وغـربة ... ومـا كـان مـن مؤذ، بدون جريمة

فأمـا الأفاعـيل التـي كـرهت لـنا ... فـلا ترتضـي، مسـخوطة لمشـيئة

وقـد قـال قوم من أولي العلم: لا رضاً ... بفعـل المعاصـي والذنـوب الكبيرة

وقـال فـريق: نرتضـي بقضـائه ... ولا نرتضـي المقضـي أقـبح خصلة

وقـال فـريق نرتضـي بإضـافة ... إلـيه، ومـا فيـنا فنلقـى بسـخطة

كمـا أنهـا للـرب خلـق، وأنهـا ... لمخلـوقة، ليسـت كفعـل الغريـزة

فنرضـى مـن الـوجه الـذي هو خلقه ... ونسـخط مـن وجه اكتساب الخطيئة

ومعصـية العـبد المكلـف تـركه ... لمـا أمـر المولـى، وإن بمشـيئة

فـإن إلـه الخلـق حـق مقالـه ... بـأن العـباد فـي جحـيم وجـنة

كمـا أنهـم فـي هـذه الـدار هكـذا بـل الـبهم فـي الآلام أيضـاً ونعمة

وحكمته العليا اقتضت ما اقتضت من الـ ـفـروق بعلـم ثـم أيـد ورحمـة

يسـوق أولـي الـتعذيب بالسـبب الذي يقـدره نحـو العـذاب بعـزة

ويهـدي أولـي التنعـيم نحـو نعيمهم بأعمـال صـدق، فـي رجاء وخشية

وأمـر إلـه الخلـق بـين مـا بـه يسـوق أولـي التنعـيم نحو السعادة

فمـن كـان مـن أهـل السـعادة أثرت أوامـره فـيه بتيسـير صـنعة

ومـن كـان مـن أهـل الشقاوة لم ينل بأمـر ولا نهـي بتقديـر شـقوة

ولا مخـرج للعـبد عمـا بـه قضـى ولكـنه مخـتار حسـن وسـوأة

فلـيس بمجـبور عـديم الإرادة ولكـنه شـاء بخلـق الإرادة

ومـن أعجـب الأشـياء: خلـق مشيئة بهـا صـار مخـتار الهدى بالضلالة

فقـولك: هـل أخـتار تـركاً لحكمـة؟ كقـولك: هـل أخـتار ترك المشيئة؟

وأخـتار أن لا أخـتار فعـل ضـلالة ولـو نلـت هـذا التـرك فزت بتوبة

وذا ممكـن، لكـنه مـتوقف علـى مـا يشـاء الله من ذي المشيئة

فـدونك، فـافهم مـا بـه قد أجبت من معـانٍ، إذا انحلـت بفهـم غريـزة

أشـارت إلـى أصـل يشير إلى الهدى ولله رب الخلـق أكمـل مدحـة

وصــلي إلــه الخلــق جــل جلالــه — علــى المصــطفى المختار خير البرية

مجموع الفتاوى٨ / ٢٤٥ - ٢٥٥

ثانيا: القصيدة الألفية في الحج

وسئل رحمه الله:

مــاذا يقــول أهــل العلــم في رجل — آتــاه ذو العــرش مــالاً حج واعتمرا

فهــزه الشوق نحو المصطفى طرباً — أتــرون الحــج ؟أفضل أم إيثاره الفقرا

أم حجــه عــن أبــيه ذاك أفضل أم — مــاذا الــذي يــا ســادتي ظهــرا

فأفــتوا محــباً لكــم فديــتكمو — وذكــركم دأبــه إن غــاب أو حضرا

فأجاب رضي الله عنه:

نقــول فــيه: بــأن الحــج أفضــل من — فعــل التصــدق والإعطــاء للفقــرا

والحــج عــن والديــه فــيه بــرهما — والأم أســبق فــي البــر الذي ذكرا

لكــن إذا الفــرض خــص الأب كان إذاً — هــو المقــدم فــيما يمــنع الضررا

كمــا إذا كــان محــتاجاً إلــى صــلة — وأمــه قــد كفاهــا من برى البشرا

هــذا جــوابك يــا هــذا مــوازنة — ولــيس مفتــيك معــدوداً من الشعرا

مجموع الفتاوى ٢٦ / ١٠ -١١

الفصل الثامن

مرويّاته

الفصل الثامن

مرويّاته

أولاً - الأربعون لشيخ الإسلام سمعها جماعة على الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن:

أخبرنا الزين أبو محمد عبدالرحمن بن العماد أبي بكر بن زريق الحنبلي في كتابه إلي غير مرة، أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالحميد المقدسي سماعا في يوم السبت ٢٤ صفر سنة ٧٩٧، ح وكتب إلي الأشياخ الثلاثة أبو إسحق الحرملي، وأبو محمد البقري، وأبو العباس الرسلاني قالوا: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي إذنا مطلقا، قالا: أخبرنا الشيخ الإمام العالم العلامة البارع الأوحد القدوة الحافظ أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن السلام بن تيمية، قال الذهبي: بقراءتي عليه في جمادى الآخرة سنة ٧٢١.

قال: الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحديث الأول

أخبرنا الإمام زين الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالدائم بن نعمة بن أحمد المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٦٧، أخبرنا أبو الفرج عبد المنعم بن عبدالوهاب ابن سعد بن كليب قراءة عليه، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز قراءة عليه، أخبرنا أبوالحسن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد البزاز، أخبرنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار، حدثنا الحسن بن عرفة بن زيد العبدي، حدثني أبو بكر بن عياش عن أبي إسحق السبيعي عن البراء بن عازب قال:

خرج رسول الله ﷺ وأصحابه فأحرمنا بالحج. قال فلما قدمنا مكة قال: "اجعلوا: حجكم عمرة". وقال: فقال الناس: يا رسول الله قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة؟ قال فقال رسول الله ﷺ: انظروا الذي آمركم به فافعلوا، قال فردوا عليه القول، فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة رضي الله عنها غضبان، فرأت الغضب في وجهه، فقالت: من أغضبك أغضبه الله. قال: "ومالي لا أغضب وأنا آمر بالامر ولا أتبع". رواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي بكر ابن عياش.

مولده في صفر سنة ٥٧٥، وتوفي يوم الإثنين ثامن رجب سنة ٦٦٨.

الحديث الثاني

أخبرنا الشيخ المسند كمال الدين أبو نصر عبدالعزيز بن عبدالمنعم بن الخضر بن شبل بن عبدالحارثي قراءة عليه وأنا أسمع في يوم الجمعة سادس شعبان سنة ٦٦٩ بجامع دمشق، أخبرنا الحافظ أبو محمد القاسم بن الحافظ أبي القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه في ربيع الآخر سنة ٥٩٦ أخبرنا أبو الفضائل ناصر بن محمود بن على القدسي الصائغ، وأبوالقاسم نصر بن أحمد بن مقاتل السوسي قراءة عليهما، قالا أخبرنا أبوالحسن علي بن أحمد بن زهير المالكي، حدثنا أبوالحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله القطان، حدثنا خيثمة، حدثنا العباس بن الوليد حدثنا عقبة ابن علقمة، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز عن عطية بن قيس عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: "إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرت فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام".

مولده سنة ٥٨٩ وتوفي في شعبان سنة ٦٧٢.

الحديث الثالث

أخبرنا الإمام تقي الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي قراءة عليه وأنا أسمع في سنة ٦٦٩، أخبرنا أبوطاهر بركات بن إبرهيم الخشوعي قراءة عليه أخبرنا أبومحمد عبدالكريم بن حمزة بن الخضر السلمي، أخبرنا أبوالحسين

طاهـــر بن أحمد بن علي بن محمود المحمودي العاني، أخبرنا أبو الفضل منصور بن نصـــر بـــن عبدالرحيم بن بنت الكاغدي، حدثنا أبو عمرو الحسن بن علي ابن الحسن العطار، حدثنا إبراهيم بن عبدالله بن عمر بن بكير بن الحارث القيسي، حدثنا وكيع بن الجـــراح بـــن مليح الرواسي، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، قـــال: قـــال رسول الله ﷺ: "يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد. فيقال لـــنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: الوسط العدل".

مولده سنة ٥٨٩ توفي في صفر سنة ٦٧٢.

الحديث الرابع

أخبرنا الفقيه سيف الدين أبو زكريا يحيى بن عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب الحنبلي قراءة عليه وأنا أسمع في يوم الجمعة عاشر شوال ٧٥ سنة ٦٦٩، وأبو عبدالله محمـــد بن عبدالمنعم بن القواس والمؤمل بن محمد البالسي، وأبو عبدالله محمد بن أبي بكـــر العامـــري في التاريخ وأبو العباس أحمد بن شيبان وأبو بكر بن محمد الهروي، وأبـــو زكريا يحيى بن أبي منصور بن الصيرفي، وأبو الفرج عبد الرحمن بن سليمان الـــبغدادي والشـــمس بن الزين والكمال عبدالرحيم وابن العسقلاني، وزينب بنت مكي، وســـت العـــرب. قـــال الأل وابن شيبان وزينب: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبـــرزذ وقـــال الباقون وابن شيبان: أخبرنا زيد بن الحسن الكندي زاد ابن الصيرفي فقـــال: وأبـــو محمد عبدالعزيز بن معالي بن غنيمة بن منينا قراءة عليه، قالوا: أخبرنا القاضـــي أبـــو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي، أخبرنا أبومحمد عبدالله بن إبراهيم بن أيوب بـــن ماســـي، حدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله مسلم الكجي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني حميد عن أنس: "أن الربيع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت ســـنها، فعرضـــوا علـــيهم الأرش فأبـــوا، فطلبوا العفو فأبوا، فأتوا النبي ﷺ فأمرهم

بالقصاص، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال: يا رسول الله أتكسر سن الربيع؟! والذى بعثك بالحق لا تكسر سنها، قال: يا أنس كتاب الله القصاص، فعفا القوم. فقال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره".

أخرجه البخاري عن الأنصاري.

مولده سنة ٥٩٢ وتوفي في شوال سنة ٦٧٢

الحديث الخامس

أخبرنا الحاج المسند أبو محمد أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عبد الواسع الهروي في رابع ربيع الأول سنة ٦٦٨، والمذكورون بسندهم إلى الأنصاري، قال حدثني حميد عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما. قال: قلت: يا رسول الله! أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ قال: تمنعه من الظلم، فذاك نصرك إياه." أخرجه البخاري عن عثمان بن أبي شيبة عن هشيم، وأخرجه الترمذي عن محمد بن حاتم عن الأنصاري -كما أخرجناه- وقال: حسن صحيح. وأخبرنا به الشيخ شمس الدين بن أبي عمر قراءة عليه، أخبرنا أبو اليمن الكندي فذكره.

مولده سنة ٥٩٤ وتوفي في رجب سنة ٦٧٣.

الحديث السادس

أخبرنا الشيخ المسند زيد الدين أبو العباس المؤمل بن محمد بن علي بن محمد ابن علي بن منصور بن المؤمل البالسي قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٦٩، والمذكورون بسندهم إلى الأنصاري قال حدثني سليمان التيمي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار."

رواه البخاري ومسلم بمعناه من رواية عبدالعزيز بن صهيب عن أنس.

مولده سنة ٦٠٢ وقيل ثلاث وتوفي في رجب سنة ٦٧٧.

الحديث السابع

أخبـــرنا الشيخ العدل رشيد الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر محمد بن محمد بـــن ســـليمان العامـــري قـــراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٦٩، والمذكورون بسندهم إلى الأنصـــاري، حدثنـــي التيمي، حدثنا أنس بن مالك قال: "عطس عند النبي ﷺ رجلان فشمت -أو فسمت- أحدهما ولم يشمت الآخر -أو فسمته ولم يسمت الآخر-، فقيل: يا رســـول الله! عطـــس عندك رجلان فشمت أحدهما ولم تشمت الآخر؟! -أو فسمته ولم تسمت الآخر؟!- فقال: إن هذا حمد الله فشمته، وإن هذا لم يحمد الله فلم أشمته.

رواه الـــبخاري عن محمد بن كثير عن سفيان الثوري: ورواه مسلم عن محمد بن عبدالله بن نمير عن حفص بن غياث كلاهما عن التيمي.

توفي في ذي الحجة سنة ٦٨٢

الحديث الثامن

أخبرنا الإمام العالم الزاهد كمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع بن على الحراني بن الصيرفي قراءة عليه في شوال سنة ٦٦٨، أخبرنا أبـــو العـــباس أحمـــد بن يحيى بن بركة بن الديبقي قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو منصـــور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد بن الحسن القزاز قراءة عليه في حادي عشـــرين جمادى الأولى سنة ٥٣٤، أخبرنا أبوجعفر محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بـــن المســـلم المعدل إملاء من لفظه باستملاء شيخنا أبي بكر الخطيب في صفر سنة ٤٦٣، أخبـــرنا أبو الفضل عبيدالله بن عبدالرحمن بن محمد الزهري، أخبرنا أبو بكر جعفـــر بـــن محمـــد ابـــن الحسن بن المستفاض الفريابى، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إســـماعيل بـــن جعفر، عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر، عن أبيه، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "آية المنافق ثلاثة إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان".

الحديث التاسع

أخبـــرنا الشيخ الفقيه الإمام العالم البارع جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن ســـليمان بـــن سعيد بن سليمان البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٦٨، أخبرنا أبو الـــيمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي قراءة عليه، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي ابـــن أحمد بن المقري، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور، أخبرنا أبـــو طاهـــر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص سنة ٣٩٠، حدثنا يحيى حدثنا يـــونس حدثـــنا أبو الأحوص عن أشعث بن أبي الشعثاء عن محمد بن عمير عن أبي هريـــرة قال: "نهى رسول الله عن بيعتين وعن لبستين: أن يلبس الرجل الثوب الواحد ويشتمل به ويطرح أحد جانبيه على منكبه، ويحتبي في الثوب الواحد. وأن يقول: انبذ إلي ثوبك وأنبذ إليك ثوبي من غير أن يقلبا".

مولده سنة ٥٨٥ بحران وتوفي في شعبان سنة ٦٧٠ بدمشق.

الحديث العاشر

أخبـــرنا شـــرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غديـــر بـــن القواس الطائي قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٧٥، وأبوالحسن بن البخاري، قـــالا: أخبرنا أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم السروجى قراءة عليه، أخبرنا أبو عـــبد الله الحســـين بـــن على ابن أحمد المقري وقال الفخر البخاري: أخبرنا أبواليمين الكـــندي أيضا، أخبرنا أبوالقاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، قالا: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن النقور، أخبرنا أبوالحسين محمد بن عـــبدالله بن الحسين بن عبدالله بن هارون ابن أخي ميمي الدقاق، حدثنا عبدالله، حدثنا داود، حدثـــنا الوليد بن مسلم، عن أبي غسان محمد ابن مطرف، عن زيد بن أسلم، عن علي بن الحسين، عن سعيد بن مرجانة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "من أعتق رقبة أعتق الله عز وجل بكل عضو منها عضوا منه من النار، حتى فرجه بفرجه."

رواه الـــبخاري عن محمد بن عبدالرحيم عن داود بن رشيد. ورواه مسلم، عن داود نفسه، ورواه الترمذي، عن قتيبة، عن الليث، عن ابن الهاد، عن عمر بن علي بن الحسين، عن سعيد بن مرجانة.

ولد سنة ٦٠٢ وتوفي في ربيع الآخر سنة ٦٨٢.

الحديث الحادي عشر

أخبـرنا المشـايخ الصـلحاء المسندون أبو عبدالله محمد بن بدر بن محمد بن يعـيش الجـزري، وأبو العباس أحمد بن شيبان، وأبو الفضل إسماعيل بن أبي عبدالله ابـن العسـقلاني، وزينب بنت أحمد بن كامل قراءة عليهم وأنا أسمع في شعبان سنة ٦٧٥ بقاسيون، قالوا أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ البغدادي قراءة عليه ونحن نسمع، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن عبدالقادر بن يوسف، وأبو منصور عبدالـرحمن بـن محمد بن عبدالواحد القزاز، وأبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد البيضـاوي قراءة عليهم، وأنا أسمع، قالوا: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن المسلم المعدل، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن بن العباس المخلص، أخبرنا أبـو القاسـم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثني عبدالله بن مطيع، حدثنا إسـماعيل بـن جعفـر. قـال البغوي: وحدثني صالح بن مالك، حدثنا عبدالعزيز ابن عـبدالله، قال البغوي: وحدثني جدي، حدثنا يزيد بن هارون. كلهم عن حميد عن أنس أن النبـي: "قال دخلت الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا: لشـاب من قريش فظننت أني أنا هو فقلت: ومن هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب. واللفظ لابن مطيع.

توفي في شعبان سنة ٦٧٥.

الحديث الثاني عشر

أخبرنا الفقيه الإمام العالم العامل زين الدين أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن أبي الفـرج بـن أبي طاهر بن محمد بن نصر عرف بابن السديد الأنصاري الحنفي قراءة عليه في رجب سنة ٦٧٥، أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي قراءة عليه، وأخبـرتنا زينب بنت مكي، قالت: أخبرنا أبو حفص بن طبرزذ. قالا: أخبرنا القاضي أبـو بكـر محمـد بن عبد الباقي بن محمد بن الأنصاري، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبـراهيم بـن عيسـى الباقلانـي، حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، حدثنا محمد بن موسى القرشي، حدثنا عون بن عمارة، حدثنا حميد الطويل،

عـن أنـس بـن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "الصائم بالخيار ما بينه وبين نصف النهار".

توفي في جمادى الأولى سنة ٦٧٧ وله ثلاث وسبعون سنة.

الحديث الثالث عشر

أخبرنا الشيخ الإمام المقرىء الرئيس الفاضل كمال الدين أبو إسحق إبراهيم بن أحمـد بن إسماعيل بن فارس التميمي السعدي قراءة عليه وأنا أسمع في رمضان سنة ٦٧٤، أخبـرنا أبواليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بـن عـبد الباقي الأنصاري، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد حسنون النرسي سنة ٤٥٥، أخبـرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمـد البغوي، حدثنا شريح بن يونس ومحمد بن يزيد الأدمي، وابن البزار، وهارون ابـن عـبد الله، قالوا: حدثنا معن، عن معاوية بن صالح، عن بحير بن سعد، عن خالد ابـن معـدان، عـن عقبة بن عامر الجهني، قال: قال رسول الله ﷺ: "المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة، والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة."

أخبـرنا عاليا بدرجة، ويوافقه أحمد بن عبدالدائم، أخبرنا ابن كليب أخبرنا ابن بـيان، حدثـنا ابن مخلد، أخبرنا الصفار، حدثنا ابن عرفة، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن بحير فذكره.

مولده ٥٩٦ وتوفي في صفر سنة ٦٧٦.

الحديث الرابع عشر

أخبـرنا الإمـام المسـند زين الدين أبو العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبـراهيم ابـن سلامة بن الحداد الدمشقي بقراءتي عليه وأنا أسمع في ربيع الأول سنة ٦٧٥ قلـت لـه أخبـرك أبوسعيد خليل بن أبي الرجاء بن أبي الفتح الراراني إجازة، وقـرىء علـى والدي وأنا أسمع بحران سنة ٦٦٦، أخبرك يوسف بن خليل، أخبرنا الرارانـي أخبرنا أبوعلى الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عـبدالله بـن أحمد بن إسحق الحافظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد، حدثنا

الحـــارث بـــن أبـــي أسامة، حدثنا عبد الله بن بكر، حدثنا حميد عن أنس، قال: "رأى رســـول الله حبلا ممدودا بين ساريتين من سواري المسجد، قال: ما هذا الحبل؟ قالوا: يا رسول الله! فلانة تصلي ما عقلت، فإذا غلبت أخذت به، قال: فلتصل ما عقلت، فإذا غلبت فلتنم".

مولده في ربيع الأول سمة ٦٠٩ وتوفي في عاشوراء سنة ٦٧٨.

الحديث الخامس عشر

أخبرنا العدل المسند أمين الدين أبو محمد القاسم بن أبي بكر بن قاسم بن غنيمة الإربلـــي وأبـــو بكـــر بن عمر بن يونس المزي الحنفي وأبو عبد الله محمد بن محمد ســـليمان العامـــري قـــراءة علـــيهم وأنا أسمع سنة ٦٧٧ قال الأول: أخبرنا أبو الحسن المـــؤيد، عن محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي، وقال الآخران: أخبرنا أبو القاسم عبد الصـــمد بـــن الحرســـتاني قراءة عليه، أخبرنا الفروي إجازة، أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد بن عبد الغافر الفارسي، أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمروية الجلـــودي، أخبـــرنا أبـــو إسحق إبراهيم بن محمد ابن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج القشـــيري، حدثـــنا خلف بن هشام، وأبو الربيع الزهراني، وقتيبة بن سعيد، كلهم عن حمـــاد، قال خلف: حدثنا حماد بن زيد، عن محمد بن زياد، حدثنا أبو هريرة، قال: قال محمد ﷺ: "أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار".

ولد الأربلي في سنة ٥٩٥ أو قبلها بأربل وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٨٠، وولد المزي سنة ٥٩٣ وتوفي في شعبان سنة ٦٨٠.

الحديث السادس عشر

أخبـــرنا الشـــيخ الإمـــام العالم قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء بن حسن الحنفي قراءة عليه وأنا أسمع في سنة ٦٦٧، وأبو العباس بن عـــلان وأبـــو العـــباس بـــن شيبان، قالوا أخبرنا أبو علي حنبل بن عبدالله بن الفرج الرصـــافي قراءة عليه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشـــيباني، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن المذهب التميمي، أخبرنا أبو

بكــر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه، حدثني أبي أحمد بــن محمد، حدثنا سفيان عن عبدالله بن دينار سمعت عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: "من اقتنى كلبا -إلا كلب ماشية أو كلب قنص- نقص من أجره كل يوم قيراطان. "

مولده سنة ٥٩٥ وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٧٣.

الحديث السابع عشر

أخبــرنا الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبدالــرحمن بــن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي قراءة علــيه وأنــا أســمع في شعبان سنة ٦٦٧ بقاسيون وابن شيبان وابن العسقلاني وابن الحموي، قالوا: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ، أخبرنا أبو القاسم هبة الله ابن محمد بن عبدالواحد بن الحصين، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غــيلان البزاز، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعي، حدثنا محمد بن ســلمة الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي، عــن أبــي موســى الأشعري رضي الله عنه قال: "كنا مع رسول الله ﷺ وكان القوم يصــعدون عقــبة أو ثنية، فإذا صعد الرجل قال: لا إله إلا الله والله أكبر -قال: أحسبه قــال بأعلى صوته- ورسول الله على بغلته يعرضها في الجبل، فقال النبي ﷺ: يا أبا موسى! إنكم لا تنادون أصم ولا غائبا. ثم قال: يا عبدالله بن قيس -أو يا أبا موسى-، ألا أدلــك علــى كلمة من كنوز الجنة! قال: قلت: بلى يا رسول الله! قال: قل لاحول ولا قوة إلا بالله".

مولده سنة ٥٩٧ وتوفي في سنة ٦٨٢.

الحديث الثامن عشر

أخبــرنا المســند الأصــيل العدل مجد الدين أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن عــثمان بــن المظفر بن هبة الله بن عساكر الدمشقي قراءة عليه وأنا أسمع في شعبان ســنة ٦٦٧، أخبرنا الحافظ أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر

قراءة عليه، أخبرنا أبوالدر ياقوت بن عبدالله الرومي التاجر مولى ابن البخاري قراءة علـيه، وأخبـرتنا زينب بنت مكي وإسماعيل بن العسقلاني، قالا: أخبرنا بن طبرزذ، أخبرنا القاضي أبو بكر الأنصاري، وأبوبكر أحمد بن الأشقر الدلال، وأبوغالب محمد بـن أحمد بن قريش، وأبو بكر أحمد بن دحروج، قالوا جميعهم: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هزار مرد الصريفيني قراءة عليه، حدثنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص إملاء في شعبان سنة ٣٩٣، حدثنا أبو القاسم عبد الله بـن محمد البغوي، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا مبارك بن فضالة، حدثنا الحسن، عـن أنس قال: "كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جانب خشبة مسندا ظهره إلـيها، فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا له عتبتان فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشـبة إلـى رسول الله ﷺ، قال أنس: "وأنا في المسجد فسمعت الخشبة تحن حنين الواله، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكتت".

وكـان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: يا عباد الله! الخشبة تحن إلى رسول الله شوقا إليه لمكانه من الله عز وجل، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.

مولده سنة٥٨٧، وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٩٩.

الحديث التاسع عشر

أخبرنا الشيخ الإمام الصدر الرئيس شمس الدين أبو الغنائم المسلم بن محمد ابن المسلم بن علان القيسي قراءة عليه وأنا أسمع في سنة٦٨٠، وأبو الحسن بن البخاري، قـالا أخبـرنا أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي قراءة عليه، أخبرنا القاضي أبو بكـر محمـد بـن عبد الباقي بن محمد الأنصاري، حدثنا أبومحمد الحسن بن علي بن محمد بن الحسن الجوهري إملاء، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان ابن مالك القطيعـي، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا أبو نعيم، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبـي هريـرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به، يـدع شـهوته وأكلـه وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطـر، وفـرحة حين يلقى الله عز وجل، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك". ولد سنة ٥٩٤، وتوفي في سادس ذي الحجة سنة ٦٨٠.

الحديث العشرون

أخبـــرنا الـــرئيس عماد الدين أبومحمد عبدالرحمن بن أبي الصعر بن السيد بن الصـــانع الأنصاري قراءة عليه وأنا أسمع في سنة ٦٧٦، وأبو العز يوسف بن يعقوب ابن المجاور، والمسلم بن علان، قالوا: أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي قـــراءة عليه، أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد زريق القزاز الشيباني قراءة علـــيه، أخبـــرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي، حدثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى، حدثنا ابن عيينة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ لما جاء إلى مكة دخلها من أعلاها وخرج من أسفلها".

رواه البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي والنسائي عن أبي موسى.

توفي في رمضان سنة ٦٧٩.

الحديث الحادي والعشرون

أخبـــرنا أبـــو إســـحق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوي بن الحسين الدرجي القرشي قراءة عليه وأنا أسمع في رجب سنة ٦٨٠، أخبرنا أبو جعفر محمـــد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصيدلاني إجازة، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمـــد بن الحسن الحداد، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق الحافظ، أخبـــرنا أبـــو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس، قال سمعت سفيان بن عيينة يقـــول: حدثنا عاصم، عن زر قال: " أتيت صفوان بن عسال المرادي فقال لي ما جاء بـــك؟ قلـــت: جئت ابتغاء العلم، قال: فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلـــب. قلـــت: حك في نفسي أو صدري المسح على الخفين بعد الغائط والبول، فهل ســـمعت مـــن رســـول الله ﷺ في ذلك شيئا؟ قال: نعم. كان يأمرنا إذا كنا سفرا -أو مسافرين- أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، ولكن من غائط أو بول أو نـــوم. قلـــت: هـــل سمعته يذكر الهدى؟ قال: نعم! بينا نحن معه في مسير إذ ناداه أعرابـــي بصوت له جهوري، فقال: يا محمد! فأجابه على نحو من كلامه: هاؤم! قال:

أرأيــت رجلا يحب قوما ولم يلحق بهم؟ قال: المرء مع من أحب، ثم لم يزل يحدثنا أن مــن قــبل المغرب بابا يفتح الله عز وجل للتوبة مسيرة عرضه أربعون سنة ولا يغلق حتــى تطلــع الشــمس مــن قبله وذلك قول الله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية.

ولد سنة ٥٩٩ وتوفي في صفر سنة ٦٧١.

الحديث الثاني والعشرون

أخبــرنا نجــيب الدين أبو المرهف المقداد بن أبي القاسم هبة الله بن المقداد بن علــى القيســي قــراءة علــيه وأنا أسمع، أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المــبارك ابــن الأخضر قراءة عليه، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أخبــرنا أبو إسحق البرمكي، أخبرنا أبو محمد بن ماسي، حدثنا أبو مسلم الكجي، حدثنا محمــد بــن عــبد الله الأنصاري، حدثني سليمان التيمى، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا هجرة بين المسلمين فوق ثلاثة أيام أو قال ثلاث ليال".

الحديث الثالث والعشرون

أخبــرنا الإمام أبو عبدالله محمد بن عامر بن أبي بكر الغسولي بقراءتي عليه فــي ســنة ٦٨٢، أخبرنا أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب قراءة عليه، أخبــرنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي قراءة عليه، أخبرنا أبو الغنائم عبدالصمد بن علي بن محمد بن المأمون، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا صالح بن حاتم بــن وردان، حدثنا المعتمر بن سليمان، حدثني عبدالرازق، عن معمر، عن الزهري، عــن عامــر بن سعد، عن أبيه قال: قلت: "يا رسول الله! أعطيت فلانا وفلانا ومنعت فلانا وهو مؤمن. قال: أو مسلم"،

توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٨٤ وقد قارب الثمانين.

الحديث الرابع والعشرون

أخبـرنا الشـيخ فخر الدين أبوالحسن علي بن أحمد بن عبدالواحد بن أحمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل بن منصور بن البخاري المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٦٨١، والشـيخ شمس الدين عبدالرحمن بن أبي عمر سنة ٦٦٧، أخبرنا أبو المحاسن محمد بن كامل بن أحمد التنوخي قراءة عليه، أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل بن بشر الأسفرائيني، أخبرنا أبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد بن إبراهيم الحنائي، حدثنا أبـو الحسـن عـبدالوهاب بن الوليد بن موسى بن راشد بن خالد بن يزيد بن عبدالله الكلابـي مـن لفظه أخبرنا أبو بكر محمد بن خريم بن مروان العقيلي قراءة عليه وأنا أسـمع، أخبرنا أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي، حدثنا مالك بن أنـس، حدثـنا إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: "الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة".

رواه البخاري عن القعنبي عن مالك.

ولد في سلخ سنة ٥٩٥ وتوفي في ربيع الآخر سنة ٦٩٠.

الحديث الخامس والعشرون

أخبرنا أبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة الشيباني قراءة عليه وأنا أسـمع سـنة ٦٨٤، أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ البغدادي قراءة عليه، أخبـرنا أبـو غالـب أحمد بن الحسن بن أحمد بن عبدالله بن البناء قراءة عليه ونحن نسـمع، أخبـرنا أبـو محمد الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن عبدالله الجوهري قراءة عليه في رمضان سنة ٤٥٢، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعـي قـراءة علـيه وأنا حاضر أسمع، حدثنا أبو علي بشر بن موسى بن صالح الأسـدي، حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش، عن شقيق بن سلمة، قال: قال عبدالله رضي الله عـنه: "كـنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ قلنا: السلام على الله دون عباد الله، السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان وعلى فلان"، فالتفت إلينا النبي ﷺ فقال: "الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات. السلام عليك أيها

النبـــي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله".

أخـــرجه الـــبخاري، وأخـــرجه مسلم عن ابن المثنى عن غندر عن شعبة عن منصور كلاهما عن شقيق.

مولده سنة ٥٩٩ وتوفي في صفر سنة ٦٨٥.

الحديث السادس والعشرون

أخبـــرنا أبو يحيى إسماعيل بن أبي عبد الله بن حماد بن عبد الكريم العسقلاني بقراءتـــي علـــيه فـــي سنة ٦٨١، وأبو العباس بن شيبان، والجمال أحمد بن أبي بكر الحمـــوي، وأبـــو الحسن بن البخاري، وعلي بن محمود بن شهاب، قالوا: أخبرنا أبو حفـــص عمـــر بن محمد بن طبرزذ البغدادي قراءة عليه، أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصـــين الشـــيباني، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزار، أخبـــرنا أبـــو بكـــر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، أخبرنا أبوالحسن علي بن الحســـن بن عبدويه الجرار، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، حدثنا حميد عن أنس قال: "كـــان رســـول الله ﷺ في طريق ومعه أناس من أصحابه، فعرضت له امرأة فقالت: يارســـول الله! لـــي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان! اجلسي في أدنى نواحي السكك حتى أجلس إليك. ففعلت، فجلس إليها حتى قضت حاجتها.

رواه أحمـــد عـــن عبدالله بن بكر. سمع ابن العسقلاني في الرابعة سنة ٥٩٩، وتوفـــي في رمضان سنة ٦٨٢، ومولد ابن شهاب في سنة ٥٩٥، وتوفي في رمضان سنة ٦٨٠.

الحديث السابع والعشرون

أخبـــرنا الشيخ الجليل الصالح كمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن عبدالملك بن يوســـف بن قدامة المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع في صفر سنة ٦٨٠، وأبو العباس بن شـــيبان، أخبـــرنا أبـــو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ البغدادي قراءة عليه، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار، وأبو المواهب أحمد بن محمد

بـــن عـــبد الملك بن ملوك الوراق، قالا: أخبرنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبـــري، أخبـــرنا محمـــد بـــن أحمد بن الغطريف، حدثنا أبو خليفة، حدثنا مسلم ابن إبـــراهيم، عـــن هشام، وشعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: "العائد في هبته كالعائد في قيئة". متفق عليه.

ولد في حدود سنة ٥٩٨، وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٨٠.

الحديث الثامن والعشرون

أخبرنا الشيخ الثقة زين الدين أبو بكر محمد بن أبي طاهر إسماعيل بن عبد الله بـــن عبد المحسن الأنماطي قراءة عليه وأنا أسمع في رجب سنة ٦٦٨، وأبو حامد بن الصـــابوني، والرشيد محمد بن محمد العامري، قالوا أخبرنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمـــد بـــن أبـــي الفضـــل الحرســـتاني، أخبـــرنا أبو محمد طاهر بن سهل بن بشر الإســـفرائيني، أخبرنا أبو الحسين محمد بن بكر بن عثمان الأزدي، أخبرنا أبو الحسن أحمـــد بن عبدالله بن زريق بانتقاء خلف الحافظ، حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بـــن محمـــد بـــن الحجاج بن رشدين المهدي قراءة عليه، حدثنا أبو عمرو الحارث بن مســـكين، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: "اقتلوا الحيات وذا الطفيتين والأبتر، فإنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل".

وكـــان ابن عمر يقتل كل حية، فرآه أبولبابة -أو زيد بن الخطاب- وهو يطارد حية فقال له: قد نهي عن دواب البيوت.

أخبرنا به هبة الله بن محمد الحارثي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر، وأحمد بن شيبان، قالوا: أخبرنا ابن ملاعب، أخبرنا الأرموي، أخبرنا أبو القاسم بن البسري، أخبرنا أبوأحمد الفرضي، حدثنا أبوبكر المطيري، أخبرنا بشر بن مطر، حدثنا سفيان، فذكره.

ولد سنة ٦٠٩، وتوفي في ذي الحجة ٦٨٤ بالقاهرة.

الحديث التاسع والعشرون

أخبـــرنا الإمـــام شـــمس الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عـــثمان بن عبدالله بن سعد المقدسي سنة ٦٨١، وأبو العباس بن شيبان، وإسماعيل بن العســـقلاني، قـــال الأولان: أخبـــرنا أبـــو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي، وقال الآخـــران أخبـــرنا أبـــو حفص بن طبرزذ، قالا أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقـــي بـــن محمد الأنصاري، أخبرنا أبوالقاسم عمر بن الحسين بن إبراهيم بن محمد الخفـــاف قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٤٤٧، أخبرنا أبوالفضل عبدالله بن عبدالرحمن بن محمـــد الزهـــري قراءة عليه في سنة ٣٧٣، حدثنا محمد بن هارون، حدثنا محمد بن ســـليمان بن حبيب، حدثنا سعيد بن راشد عن عطاء، عن ابن عمرعن النبي ﷺ قال: "لا يقيم إلا من أذن".

مولده سنة ٦٠٦، وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٨٩.

الحديث الثلاثون

أخبـــرنا الأصيل المسند نجم الدين أبو العز يوسف بن يعقوب بن محمد بن على المجاور الشيباني قراءة عليه وأنا أسمع في المحرم سنة ٦٨٠، والمسلم بن علان قالا: أخبـــرنا أبـــو الـــيمن زيـــد بن الحسن بن زيد الكندي قراءة عليه، أخبرنا أبو منصور عبدالرحمن بن محمد بن زريق القزاز الشيباني، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بـــن ثابـــت الخطيب، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن المؤدب، حدثني علـــي بن الحسن بن المثنى العنبري بأستراباد، حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سعيد الجوهـــري البغدادي بأرجان، حدثنا الحسن بن عرفة قال الخطيب: وأخبرنا أبو عمر بـــن مهدي وجماعة وجماعة، قالوا: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا الحسن بـــن عرفة، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر رضـــي الله عـــنهما، قـــال: قال رسول الله ﷺ: "لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئا من القرآن".

لفـــظ حـــديث الجوهري رواه الترمذي عن ابن عرفة، وابن حجر. ورواه ابن ماجه، عن هشام بن عمار. كلهم عن إسماعيل، وأخبرنا عاليا أحمد بن عبدالدائم قراءة

علــيه، أخبــرنا أبو الفرج بن كليب، أخبرنا أبو القاسم بن بيان، أخبرنا أبو الحسن ابن مخلد، أخبرنا الصفار فذكره.

مولده في سنة ٦٠١، وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٩٠.

الحديث الحادي والثلاثون

أخبــرنا الشيخ الإمام الحافظ جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن أحمــد بن علي بن الصابونى قراءة عليه وأنا أسمع في رمضان سنة ٦٦٨، أخبرنا أبو القاســم عبدالصــمد بــن محمــد بن أبي الفضل الحرستاني قراءة عليه، أخبرنا جمال الإســلام أبــو الحســن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي سنة ٥٢٦، أخبــرنا أبــو عبد الله الحسن ابن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد، أخبرنا أبوالحســن علــي بن موسى بن الحسين، أخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن إبراهيم ابــن أبــي الصــعب، حدثــنا أبوزرعة عبد الرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان البصــري، حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، قال: ســألت الزهــري عــن التي استعاذت من رسول الله ﷺ، فقال: أخبرنى عروة، عن عائشة: "أن رسول الله لما أتي بابنة الجون فدنا منها قالت: أعوذ بالله منك، قال: الحقي بأهلك تطليقة".

قــال أبو زرعة لم يروه من الأئمة في الحديث غير الأوزاعي مولده سنة ٦٠٤ وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٨٠.

الحديث الثاني والثلاثون

أخبــرنا الجمال أحمد بن أبي بكر بن سليمان الواعظ ابن الحموي بقراءتى عليه وأنــا أســمع في رجب سنة ٦٨٠، وقراءة عليه في سنة ٦٨١، أيضا أخبرنا أبو محمد عــبد الجلــيل بن أبي غالب بن أبي المعالي بن مندويه قراءة عليه وأنا أسمع في سنة ٦١٠، أخبــرنا أبو المحاسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن النقور البزار قراءة عليه، أخبــرنا أبوالقاســم عبيدالله بن محمد بن إسحق بن حبابة، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمــد بــن عــبد العزيــز البغوي في سنة ٣١٥، حدثنا أبو عثمان طالوت بن عباد

الصيرفي من كتابه، حدثنا فضال بن جبير، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم".

ولد في حدود سنة ستمائة وتوفي في ذي الحجة سنة ٦٨٧.

الحديث الثالث والثلاثون

أخبرنا الشيخ الأمين الصدوق شمس الدين أبو غالب المظفر بن عبدالصمد ابن خليل الأنصاري قراءة عليه وأنا أسمع في جمادى الآخرة سنة ٦٨٤، وأبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن عباس الفاقوسي وأبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان العامري، أخبرنا القاضي أبوالقاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن الحرستاني، أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل بن بشر بن أحمد الإسفرائيني، أخبرنا أبو الحسين محمد بن مكى بن عثمان بن عبد الله الأزدي المصرى، حدثنا أبو الحسن محمد ابن أحمد بن العباس الإخميمي بانتقاء عبد الغني بن سعيد، حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا عبد الله بن وهب حدثني طلحة ابن أبي سعيد، أن سعيدا المقبري حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "من احتبس فرسا في سبيل الله عز وجل، إيمانا بالله وتصديق موعود الله كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة".

توفي في جمادى الأولى سنة ٦٨٨ وعمره اثنان وثمانون سنة. وتوفي الفاقوسي في شعبان سنة ٦٨٢ وله خمس وسبعون سنة.

الحديث الرابع والثلاثون

أخبرنا الشيخ الإمام محيى الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن أبي عصرون التميمى بقراءتى عليه وأنا أسمع سنة ٦٨٢، وأبو حامد الصابوني. قالا: أخبرنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني، أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل الإسفرائيني، أخبرنا أبو الحسين محمد بن مكى الأزدي، أخبرنا

القاضـــي أبـــو الحسن علي بن محمد بن إسحق بن يزيد الحلبى سنة ٣٩٠، حدثنا أبو القاســم عــبد الصــمد بن سعيد القاضي، حدثنا عبد الرحمن بن جابر الكلاعي، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي، حدثنا العلاء بن سليمان، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبــي هريــرة، قـــال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء، فإذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا، فأفتوا بغيــر علــم فضــلوا وأضلوا". وأخبرنا عاليا أبو الحسن بن البخاري، أخبرنا طبرزذ، أخبــرنا القاضي أبو بكر، أخبرنا علي بن إبراهيم الباقلاني، حدثنا محمد بن إسماعيل الــوراق إمــلاء، حدثــنا أبوبكر محمد بن محمد بن سليمان الواسطي، حدثنا سويد بن ســعيد، حدثــنا مالك بن أنس وحفص بن ميسرة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبدالله ابن عمرو فذكره.

أخرجه البخاري ومسلم من حديث هشام.

مولده سنة ٥٩٩ وتوفي في ثالث ذي القعدة سنة ٦٨٢.

الحديث الخامس والثلاثون

أخبرنا أقضى القضاة نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن محمد بن علي بن جرير الحارثي الشافعي قراءة عليه وأنا أسمع في سنة ٦٧٩، والشيخ شمس الدين عبدالرحمن بــن أبـــي عمر وأحمد بن شيبان. قالوا: أخبرنا أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب البغدادي قراءة عليه، أخبرنا الإمام أبوالفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي قراءة عليه، وأنا أسمع سنة ٥٤٦، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد ابن البسرى سنة ٤٦٥، أخبــرنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي، حدثنا أبو بكــر محمــد بن جعفر بن أحمد المطيرى سنة ٣٣٣، أخبرنا أبو أحمد بشر بن مطر الواسطي بسر من رأى، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: "لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار في حقه".

توفي في صفر سنة ٦٨٠ وله ثلاث وسبعون سنة.

الحديث السادس والثلاثون

أخبــرنا الشيخ الإمام الزاهد شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الكمال عبدالرحيم بــن عبدالواحد بن أحمد بن عبد الرحمن، وشمس الدين عبدالرحمن بن الزين أحمد بن عــبدالملك المقدسيان، قراءة عليهما وأنا أسمع في سنة ٦٨١، قالا: أخبرنا الشريف أبو الفــتوح محمد بن محمد بن محمد عمرون البكري قراءة عليه، أخبرنا أبو الأسعد هبة الــرحمن بــن عبد الواحد بن أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا جدي، أخبــرنا أبــو الحسين الخفاف، أخبرنا أبوالعباس السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا اللــيث، عــن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: "إن الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله".

ولد في سنة ٦٠٧ وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٨٨.

الحديث السابع والثلاثون

أخبــرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبدالله التاجــية الكندية قراءة عليها وأنا أسمع في رمضان سنة ٦٨١ وأبو العباس بن شيبان وابــن العسقلاني، وأبو الحسن بن البخاري قالوا: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ قراءة عليه ونحن نسمع، أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد بن عبدالله ابن البناء قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٥٢٤، أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد ابــن الحسن الجوهري قراءة عليه، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، حدثنا محمد بن يونس بن موسى، حدثنا أبو عاصم النبيل عن حنظلة بن أبي ســفيان، عن القاسم، عن عائشة: "أن رسول الله ﷺ كان يغتسل من جنابة، فيأخذ حفنة لشق رأسه الأيمن، ثم يأخذ حفنة لشق رأسه الأيسر".

أخــرجه الــبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي موسى الزمن عن أبي عاصم. ولدت سنة ٥٩٩، وتوفيت سنة ٦٨٤.

الحديث الثامن والثلاثون

أخبرتنا الشيخة الجليلة الأصيلة أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم علي بن أبي محمد القاسم بن أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر قراءة عليها وأنا أسمع في رمضان سنة ٦٨١، وأبو العباس بن شيبان وست العرب بنت يحيى بن قايماز. قالوا: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ قراءة عليه ونحن نسمع، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الحصين الشيباني قراءة عليه، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان قراءة عليه، أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي النيسابوري قراءة عليه في سنة ٣٥٤، أخبرنا أبو القاسم محمد بن إسحق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جعفر ابن سليمان، عن ثابت، عن أنس، قال: "مطرنا مع رسول الله ﷺ فحسر عن رأسه حتى أصابه المطر، فقلت له: لم صنعت هذا يا رسول الله؟ قال: إنه حديث عهد بربه عز وجل".

ولد ت سنة ٥٩٨ وتوفيت في شعبان سنة ٦٨٣.

الحديث التاسع والثلاثون

أخبرتنا الصالحة العابدة المجتهدة أم أحمد زينب بنت مكى بن علي بن كامل الحراني وأحمد بن شيبان وإسماعيل بن العسقلاني وفاطمة بنت علي بن عساكر قراءة عليهم، قالوا أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ البغدادي، أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد بن البناء، أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي قراءة عليه، حدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبدالله بن مسلم البصري، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن عدي بن ثابت، سمعت البراء قال: لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: "له موضع في الجنة".

رواه البخاري عن سلمان بن حرب.

ولدت في سنة ٥٩٨، وتوفيت في شوال سنة ٦٨٨.

الحديث الأربعون

أخبـــرتنا الشيخة الصالحة أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن كامل المقدسية قـــراءة عليها وأنا أسمع سنة ٦٨٤، وأبو عبدالله بن بدر وأبو العباس بن شيبان، وابن العســـقلاني، قالـــوا: أخبرنا ابن طبرزذ، أخبرنا ابن البيضـاوي، والقزاز وابن يوسف، قالـــوا: أخبرنا ابن المسلمة، أخبرنا المخلص، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد، حدثنا الحسن بن إسرائيل النهرتيري، حدثنا عيسى بن يونس، عن أسامة بن زيد، عن سليمان بن يسار، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: "كان رسول الله ﷺ يصبح جنبا من غير احتلام ثم يتم صومه".

ولدت سنة ٦٠١ وتوفيت في شوال سنة ٦٨٧.

مجموع الفتاوى ١٨ / ٧٦ – ١٢١

ثانياً- الطريق إلى معرفة طلوع الهلال هو الرؤية

مـــا ذكرناه من أن الأحكام مثل صيام رمضان متعلقة بالأهلة لا ريب فيه، لكن الطريق إلى معرفة طلوع الهلال هو الرؤية لا غيرها بالسمع والعقل.

أمـــا السمع: فقد أخبرنا غير واحد منهم شيخنا الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن محمـــد المقدسي، وأبو الغنائم المسلم بن عثمان القيسي وغيرهما، قالوا: أنبأنا حنبل ابن عـــبد الله المـــؤذن، أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحصين، أنبأنا أبو علي بن المـــذهب، أنبأنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، أنبأنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمـــد بـــن محمد بن حنبل، أنبأنا أبي، حدثنا محمد بن جعفر غندر، حدثنا شعبة عن الأســـود بن قيس، سمعت سعيد بن عمر بن سعيد يحدث أنه سمع ابن عمر رضـي الله عـــنهما يحـــدث عن النبي ﷺ أنه قال: "إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكـــذا وهكـــذا، وعقـــد الإبهـــام فـــي الثالثة والشهر هكذا وهكذا وهكذا، يعني تمام الثلاثين"..........

ومـــثل ما روى نافع عن ابن عمر، كما رويناه بالإسناد المتقدم إلى أحمد، حدثنا إســـماعيل، أنبأنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله: "إنما الشهر تسع

وعشرون، فلا تصوموا حتى تروه، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له".
قال نافع: وكان عبد الله إذا مضى من شعبان تسع وعشرون يبعث من ينظر فإن رؤي فذاك، فإن لم ير ولم يحل دون منظره سحاب ولا قتر أصبح مفطرا، وإن حال دون منظره سحاب أو قتر أصبح صائما..........

ومثل هذا اللفظ المشعر بالحصر ما رويناه أيضا بالإسناد المتقدم إلى أحمد، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا شيبان عن يحيى، أخبرني أبو سلمة، قال: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الشهر تسع وعشرون".

ورواه النسائي من حديث معاوية عن يحيى هكذا.

مجموع الفتاوى ٢٥ / ١٤٦- ١٥٢

الفَصْلُ التَّاسِعُ

فتاواه وأجوبته

الفصل التاسع
فتاواه وأجوبته

أولاً: فتاواه في العقيدة وأصول الدين

الفتوى الأولى
حكم الخوض في مسائل أصول الدين

ولما كنت بالديار المصرية سألني من سألني من فضلائها عن هذه المسألة، فقالوا في سؤالهم: إن قال قائل هل يجوز الخوض فيما تكلم الناس فيه من مسائل أصول الدين، وإن لم ينقل عن النبي ﷺ فيها كلام أم لا ؟ فإن قيل بالجواز، فما وجهه؟ وقد فهمنا منه عليه الصلاة والسلام النهي عن الكلام في بعض المسائل؟ وإذا قيل بالجواز فهل يجب ذلك ؟ وهل نقل عنه عليه الصلاة والسلام ما يقتضي وجوبه ؟ وهل يكفي في ذلك ما يصل إليه المجتهد من غلبة الظن، أو لا بد من الوصول إلى القطع ؟ وإذا تعذر عليه الوصول إلى القطع، فهل يعذر في ذلك، أو يكون مكلفا به ؟ وهل ذلك من باب تكليف ما لا يطاق والحالة هذه أم لا؟ وإذا قيل بالوجوب، فما الحكمة في أنه لم يوجد فيه من الشارع نص يعصم من الوقوع في المهالك، وقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا على هدى أمته.

فأجبت: الحمدلله رب العالمين. أما المسألة الأولى: فقول السائل: هل يجوز الخوض فيما تكلم الناس فيه من مسائل أصول الدين وإن لم ينقل عن النبي ﷺ فيها كلام أم لا ؟ سؤال ورد بحسب ما عهد من الاوضاع المبتدعة الباطلة، فإن المسائل التي هي من أصول الدين التي تستحق أن تسمى أصول الدين أعنى الدين الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه _ لا يجوز أن يقال: لم ينقل عن النبي ﷺ فيها كلام، بل هذا كلام متناقض في نفسه، إذ كونها من أصول الدين يوجب أن تكون من أهم أمور الدين، وأنها مما يحتاج إليه الدين، ثم نفي نقل الكلام فيها عن الرسول يوجب أحد أمرين: إما أن الرسول أهمل الأمور المهمة التي يحتاج إليها الدين فلم يبينها، أو أنه

بيـــنها فلـــم تنقلها الأمة، وكلا هذين باطل قطعا، وهو من أعظم مطاعن المنافقين في الـــدين، وإنما يظن هذا وأمثاله من هو جاهل بحقائق ما جاء به الرسول، أو جاهل بما يعقلـــه الـــناس بقلوبهم، أو جاهل بهما جميعا، فإن جهله بالأول يوجب عدم علمه بما اشـــتمل علـــيه ذلـــك مـــن أصول الدين وفروعه، وجهله بالثاني يوجب أن يدخل في الحقائـــق المعقولة ما يسميه هو وأشكاله عقليات، وإنما هي جهليات، وجهله بالامرين يوجب أن يظن من أصول الدين ما ليس منها من المسائل والوسائل الباطلة، وأن يظن عـــدم بـــيان الرسول لما ينبغي أن يعتقد في ذلك، كما هو الواقع لطوائف من أصناف الـــناس حـــذاقهم فضلا عن عامتهم. وذلك أن أصول الدين أما أن تكون مسائل يجب اعـــتقادها، ويجـــب أن تذكـــر قولا، أو تعمل عملا، كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد، أو دلائل هذه المسائل.

درء التعارض ١/٢٥-٢٧

(واستكمل الجواب إلى صفحة ٧٨).

الفتوى الثانية

حقيقة كلام الله والأحرف التي أنزلها الله على آدم عليه السلام

وســـئل شيخ الإسلام قدس الله روحه عن رجلين تجادلا في الأحرف التي أنزلها الله علـــى آدم، فقـــال أحدهما: إنها قديمة ليس لها مبتدأ، وشكلها ونقطها محدث، فقال الاخـــر: ليست بكلام الله وهي مخلوقة بشكلها ونقطها، والقديم هو الله، وكلامه منه بدأ وإلـــيه يعـــود، منـــزل غير مخلوق، ولكنه كتب بها. وسألا أيهما أصوب قولا وأصح اعتقادا ؟ فأجاب: الحمد لله رب العالمين، أصل هذه المسألة هو معرفة كلام الله تعالى، ومـــذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين كالائمـــة الأربعـــة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصـــريحة، أن القـــرآن كـــلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه.

مجموع الفتاوى ١٢/٣٧

ثـــم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد كتب في أصول هذه المسائل قواعد متعددة وأصـــولا كثيرة ولكن هذا الجواب كتب وصاحبه مستوفز في قعدة واحدة، والله تعالى يهدينا وسائر إخواننا لما يحبه ويرضاه. والحمد لله رب العالمين.

مجموع الفتاوى ١٢ / ١١٦

الفتوى الثالثة

حكم التوسل بالنبي ﷺ

وكـــنت وأنـــا بالديار المصرية في سنة إحدى عشر وسبعمائة قد استفتيت عن التوسل بالنبى ﷺ فكتبت في ذلك جوابا مبسوطا وقد أحببت إيراده هنا لما في ذلك من مـــزيد الفائدة، فإن هذه القواعد المتعلقة بتقرير التوحيد، وحسم مادة الشرك والغلو، كلما تنوع بيانها ووضحت عباراتها كان ذلك نورا على نور والله المستعان.

وصورة السؤال

المســـئول مـــن الســـادة العلماء أئمة الدين أن يبينوا ما يجوز وما لا يجوز من الاستشفاع والتوسل بالأنبياء والصالحين.

وصورة الجواب

الحمـــد لله رب العالمـــين. أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القـــيامة بعـــد أن يسأله الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة. ثم إن أهل السنة والجماعـــة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين واستفاضت به السنن، من أنه يشفع لأهل الكبائر من أمته، ويشفع أيضا لعموم الخلق، فله شفاعات يخـــتص بها لا يشركه فيها أحد، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، لكـــن ما له فيها أفضل مما لغيره، فإنه أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين، ما يضيق هذا الموضع عن بسطه.

(مجموع الفتاوى ١ / ٣١٢-٣١٣)

واســـتمر الجواب إلى أن قال: فهذا آخر السؤال والجواب الذي أحببت إيـــراده هـــنا بألفاظـــه، لما اشتمل عليه من المقاصد المهمة، والقواعد النافعة في هذا الباب، مع الاختصار. فإن التوحيد هو سر القرآن، ولب الإيمان، وتنويع العبارة بوجوه الدلالات من أهم الأمور وأنفعها للعباد، في مصالح المعاش والمعاد، والله أعلم.

مجموع الفتاوى(١/ ٣٦٨)

الفتوى الرابعة

حقيقة مذهب أهل وحدة الوجود

فإنـــه لمـــا انتشـــر الكـــلام في مذهب أهل الوحدة، وكنت لما دخلت إلى مصر بســـببهم، ثـــم صـــرت في الإسكندرية، جاءني من فضلائهم من يعرف حقيقة أمرهم، وقـــال: إن كنت تشرح لنا كلام هؤلاء، وتبين مقصودهم، ثم تبطله، وإلا فنحن لا نقبل مـــنك كما لا نقبل من غيرك، فإن هؤلاء لا يفهمون كلامهم. فقلت: نعم! أنا أشرح لك ما شئت من كلامهم، مثل كتاب البد والإحاطة لابن سبعين، وغير ذلك. فقال لي: لا، ولكـــن (لـــوح الأصالة) فإن هذا يعرفون، وهو في رءوسهم. فقلت له: هاته. فلما أحضره شرحته له شرحا بينا، حتى تبين له حقيقةالأمر، وأن هؤلاء ينتهي أمرهم إلى الوجـــود المطلق، فقال: هذا حق. وذكر لي أنه تناظر اثنان، متفلسف سبعيني، ومتكلم على مذهب ابن التومرت، فقال ذاك: نحن شيخنا يقول بالوجود المطلق. وقال إلاخر: ونحـــن كذلك إمامنا قلت له والمطلق في الأذهان لا في الأعيان. فتبين له ذلك، وأخذ يصنف في الرد عليهم.

ولـــم أكـــن أظن ابن التومرت يقول بالوجود المطلق، حتى وقفت بعد هذا على كلامـــه المبســـوط، فـــوجدته كذلك، وأنه كان يقول: الحق حقان، الحق المقيد، والحق المطلـــق، وهو الرب. وتبينت أنه لا يثبت شيئا من الصفات، ولا ما يتميز به موجود عن موجود، فإن ذلك يقيد شيئا من الإطلاق.

وســـألني هذا عما يحتجون به من الحديث مثل الحديث المذكور في العقل، وأن أول مـــا خلق الله تعالى العقل ومثل حديث: كنت كنزا لا أعرف، فأحببت أن أعرف.

وغير ذلك ؟ فكتبت له جوابا مبسوطا، وذكرت أن هذه الأحاديث موضوعة، وأبو حامد وهؤلاء لا يعتمدون على هذا، وقد نقلوه إما من رسائل إخوان الصفا، أو من كلام أبي حيان التوحيدي، أو من نحو ذلك.

النبوات ١/٣٩٨-٤٠٤

ثانياً : فتاواه في العبادات

الفتوى الأولى

حكم مني الإنسان وغيره من الدواب الطاهرة

فقد كنا في مجلس التفقه في الدين، والنظر في مدارك الاحكام المشروعة تصويرا وتقريرا وتأصيلا وتفصيلا، فوقع الكلام في شرح القول في حكم مني الإنسان وغيره من الدواب الطاهرة، وفي أرواث البهائم المباحة أهي طاهرة، أم نجسة، على وجه أحب أصحابنا تقييده وما يقاربه من زيادة ونقصان.

فكتبت لهم في ذلك. فأقول ولا حول ولا قوة إلا بالله: هذا مبني على أصل وفصلين.

أما الأصل: فاعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتباين أوصافها أن تكون حلالا مطلقا للآدميين، وأن تكون طاهرة لا يحرم عليهم ملابستها ومباشرتها ومماستها، وهذه كلمة جامعة، ومقالة عامة، وقضية فاضلة عظيمة المنفعة، واسعة البركة، يفزع إليها حملة الشريعة فيما لا يحصى من الأعمال وحوادث الناس، وقد دل عليها أدلة عشرة _ مما حضرني ذكره من الشريعة _ وهي كتاب الله، وسنة رسوله، واتباع سبيل المؤمنين المنظومة في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥] ثم مسالك القياس، والاعتبار، ومناهج الرأي والاستبصار.

مجموع الفتاوى ٢١/٥٣٤-٥٣٥

وخلال الجواب قال: فهذه إشارة لطيفة إلى مسالك الرأي في هذه المسألة، وتمامه ما حضرني كتابه في هذا المجلس، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

مجموع الفتاوى ٥٨٧/٢١

وفي نهاية الجواب قال: والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وهذا الذي حضرني في هذا الوقت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مجموع الفتاوى ٦٠٣/٢١

الفتوى الثانية

عدم توقيت المسح على الخفين عند الحاجة

لما ذهبت على البريد، وجد بنا السير، وقد انقضت مدة المسح، فلم يمكن النزع والوضوء إلا بانقطاع عن الرفقة، أو حبسهم على وجه يتضررون بالوقوف، فغلب على ظني عدم التوقيت عند الحاجة، كما قلنا في الجبيرة، ونزلت حديث عمر وقوله لعقبة بن عامر: "أصبت السنة "على هذا توفيقا بين الآثار. ثم رأيته مصرحا به في مغازي ابن عائد: أنه كان قد ذهب على البريد كما ذهبت لما فتحت دمشق، ذهب بشيرا بالفتح من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة، فقال له عمر: منذ كم لم تنزع خفيك؟ فقال: منذ يوم الجمعة! قال: أصبت. فحمدت الله على الموافقة.

مجموع الفتاوى ٢١٥/٢١

الفتوى الثالثة

التأذين للجمع بين الصلاتين

لما ذهبت على البريد كنا نجمع بين الصلاتين، فكنت أولا أؤذن عند الغروب وأنا راكب، ثم تأملت فوجدت النبي ﷺ لما جمع ليلة جمع لم يؤذنوا للمغرب في طريقهم، بل أخر التأذين حتى نزل، فصرت أفعل ذلك، لأنه في الجمع صار وقت الثانية وقتا لهما، والإذان إعلام بوقت الصلاة.

ولهـذا قلنا: يؤذن للفائتة كما أذن بلال لما ناموا عن صلاة الفجر، لأنه وقتها، والأذان للوقت الذي تفعل فيه لا الوقت الذي تجب فيه.

مجموع الفتاوى٢٢ / ٧١ - ٧٢

ثالثاً: فتاواه في العقوبات

الفتوى الأولى

مراعاة أخف الضررين في إنكار المنكر

كـنت آمر أصحابنا أن لا يمنعوا الخمر عن أعداء المسلمين من التتار والكرج ونحـوهم، وأقـول إذا شربوا لم يصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة، بل عن الكفر والفسـاد فـي الأرض. ثم إنه يوقع بينهم العداوة والبغضاء وذلك مصلحة للمسلمين، فصـحوهم شر من سكرهم، فلا خير في إعانتهم على الصحو، بل قد يستحب أو يجب دفع شر هؤلاء بما يمكن من سكر وغيره.

فهذا في حق الكفار ومن الفساق الظلمة من إذا صحا كان في صحوه من ترك الواجبات وإعطاء الناس حقوقهم، ومن فعل المحرمات والاعتداء في النفوس والأموال، ما هو أعظم من سكره، فإنه إذا كان يترك ذكر الله والصلاة في حال سكره، ويفعل ما ذكرته في حال صحوه وإذا كان في حال صحوه يفعل حروبا وفتنا لم يكن في شربه ما هـو أكثـر من ذلك. ثم إذا كان في سكره يمتنع عن ظلم الخلق في النفوس والأموال والحريم، ويمسح ببذل أموال_ تؤخذ على وجه فيه نوع من التحريم _ ينتفع بها الناس كـان ذلـك أقل عذابا ممن يصحو فيعتدي على الناس في النفوس والأموال والحريم، ويمنع الناس الحقوق التي يجب أداؤها.

الاستقامة ٢/١٦٥-١٦٦

الفتوى الثانية

جواز التعزير بالقتل في العقوبة

وأفتيت أميرًا مقدما على عسكر كبير في الحربية إذا نهبوا أموال المسلمين، ولم ينزجروا إلا بالقتل: أن يقتل من يكفون بقتله. ولو أنهم عشرة. إذ هو من باب دفع الصائل. وأمرت أميرًا خرج لتسكين الفتنة الثائرة بين قيس يمن، وقد قتل بينهم ألفان: أن يقتل من يحصل بقتله كف الفتنة، ولو أنهم مائة.

وأفتيت ولاة الأمور في شهر رمضان سنة أربع وسبعمائة بقتل من أمسك في سوق المسلمين وهو سكران، وقد شرب الخمر مع بعض أهل الذمة، وهو مجتاز بشقة لحم يذهب إلى ندمائه. وكنت أفتيتهم قبل هذا بأنه يعاقب عقوبتين: عقوبة على الشرب، وعقوبة على فطر رمضان. فقالوا: مامقدار التعزير ؟ فقلت: هذا يختلف باختلاف الذنب وحال المذنب، وحال الناس. وتوقفت عن القتل. فكبر هذا على الأمراء والناس حتى خفت أنه إن لم يقتل ينحل نظام الإسلام لجراءة الناس على انتهاك المحارم في نهار رمضان. فأفتيت بقتله. فقتل. ثم ظهر فيما بعد أنه كان يهوديا، وأنه أظهر الإسلام.

الاختيارات الفقهيه ص ٣٠٣

الفصل العاشر

مؤلفاته وكتبه

الفصل العاشر

مؤلفاته وكتبه

الكتاب الأول: الإحاطة[1]

١- كما قد بسط في (الإحاطة) وغيرها. (منهاج السنة٥/٤٤٣)

٢- فهو باطل من وجوه كثيرة قد بينا بعضها في مسألة (الإحاطة) (الرد على المنطقيين ص٢٦٨)

الكتاب الثاني: الإخنائية = الرد على الإخنائية في مسألة الزيارة[2]

١- (وخروج الكتب كان من أعظم النعم، فإني كنت حريصا على خروج شيء منها لتقفوا عليه، وهم كرهوا خروج الإخنائية فاستعملهم الله في خروج الجميع) (مجموع الفتاوى ٢٨/٤٧)

٢- وكانوا يطلبون تمام الإخنائية (مجموع الفتاوى٢٨/٥٩).

الكتاب الثالث: الأربعون

كما قد كتبناه على (الأربعين) (مجموع الفتاوى ٨/٧)

---

(١) قال محقق الرد على المنطقيين: لعل مراده كتاب عرش الرحمن، وماورد فيه من الآيات والأحاديث، وكونه فوق العالم كله، ومعنى التوجه في الدعاء إلى جهة العلو، وبطلان ما قيل أن العرش هو الفلك التاسع عند علماء الهيئة النونانية الذي طبع في مجموع الرسائل والمسائل بمطبعة المنار بمصر ١٣٤٩هـ. ثم أعيد طبعه بمصر في صورة (الرسائل العرشية) من دون تاريخ، وهو آية من آيات مصنفاته. (الرد على المنطقيين ص٢٦٨). وهو ضمن (مجموع الفتاوى٦/٥٤٥-٥٨٤).

(٢) طبع ضمن مجموع الفتاوى (٢٧/٢١٤-٢٨٨)

وطبع بتصحيح وتخريج: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ونشرته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض١٤٠٤هـ

الكتاب الرابع: الاستغاثة الكبير[1]

وقـد ذكـرنا طـرفا من ذلك في (دلائل النبوة) وفي كتاب (الاستغاثة الكبير) (مجموع الفتاوى ١/٢٩٦-٢٩٧)

الكتاب الخامس: الأصول

١- وقد بسطنا في (الأصول) أنه ليس في الشريعة شيء على خلاف القياس الصحيح. (مجموع الفتوى ٢٥/٤٢٤)

٢- قلنا في الأصول إن الاحكام الشرعية كلها بينتها النصوص أيضًا (مجموع الفتاوى ٢٥/٢٣٦)

الكتاب السادس: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم[2]

١- وهـذا ماقد قررته في (اقتضاء الصراط المستقيم) (مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٧١)

٢- كما ذكرنا في (اقتضاء الصراط المستقيم) (مجموع الفتاوى ١١/٦٧٣)

٣- وقـد بسـطنا هـذه القاعدة في(اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) (مجموع الفتاوى ٢٢/١٥٤)

٤- كما قررت مثل ذلك في (الصراط المستقيم) (مجموع الفتاوى ٢٤/٢٤٦)

٥- كمـا قـد بسـطناه فـي كتابنا(اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) (مجموع الفتاوى ٢٧/٤٦٤)

---

(١) نشر ضمن (مجموعة الرسائل الكبرى)(١/٤٧٩-٤٨٦) رقم (١٢)
انظر: (الصارم المسلول ١/٧٤)

(٢) طبع عدة طبعات، منها طبعة في مجلد واحد، بتحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، سنة١٣٨٩هـ
ومـنها طـبعة فـي مجلدين بتحقيق د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط٧، توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ١٤١٩هـ.

٦- أنا قررنا في (اقتضاء الصراط المستقيم) (مجموع الفتاوى ٣٢/٢٥٦)
٧- وقد بسطت القول في هذا في (الصراط المستقيم) (مجموع الفتاوى ١٤/ ٤٩٤)
٨- وقد استوفيت مسألة الإستئجار لحمل الخمر في كتاب (الصراط المستقيم) (مجموع الفتاوى ٣٠/٢٠٩)
٩- وقد بسطنا ذلك في كتابنا (اقتضاء الصراط المستقيم) (مختصر الفتاوى المصرية ص٥١٨)

سبب التأليف: فإني قد نهيت إما مبتدئا وإما مجيبا عن التشبه بالكفار في أعيادهم، وأخبرت ببعض ما في ذلك من الأثر القديم والدلالة الشرعية، وبينت بعض حكمة الشرع في مجانبة هدي الكفار من الكتابيين والأميين، وما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم، وإن كانت هذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة كثيرة الشعب وأصلا جامعا من أصولها كثير الفروع، لكني نبهت على ذلك بما يسره الله تعالى، وكتبت جوابا في ذلك لم يحضرني الساعة، وحصل بسبب ذلك من الخير ما قدره الله سبحانه، ثم بلغني بأخرة أن من الناس من استغرب ذلك واستبعده لمخالفة عادة قد نشئوا عليها، وتمسكوا في ذلك بعمومات وإطلاقات اعتمدوا عليها، فاقتضاني بعض الأصحاب أن أعلق في ذلك ما يكون فيه إشارة إلى أصل هذه المسألة، لكثرة فائدتها وعموم المنفعة بها، ولما قد عم كثيرا من الناس من الإبتلاء بذلك، حتى صاروا في نوع جاهلية، فكتبت ما حضرني الساعة، مع أني لو استوفيت ما في ذلك من الدلائل وكلام العلماء واستقريت الآثار في ذلك لوجدت فيه أكثر مما كتبه، ولم أكن أظن أن من خاض في الفقه ورأى إيماءات الشرع ومقاصده وعلل الفقهاء ومسائلهم يشك في ذلك، بل لم أكن أظن أن من وقر الإيمان في قلبه وخلص إليه حقيقة الإسلام وأنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه، إذا نبه على هذه النكتة، إلا كانت حياة قلبه وصحة إيمانه توجب استيقاظه بأسرع تنبيه، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس اللذين يصدان عن معرفة الحق واتباعه.

اقتضاء الصراط المستقيم ص١-٢

الكتاب السابع: الإلهيات

١- واقتضى ذلك أنسي كتبت في قعدة بين الظهر والعصر من الكلام على المنطق ما علقته تلك الساعة، ثم تعقبته بعد ذلك في مجالس إلى أن تم، ولم يكن ذلك من همتي، فإن همتي إنما كانت فيما كتبته عليهم في (الإلهيات). الرد على المنطقيين ص ٣-٤.

٢- وكنت قد علقت الكلام على أهل المنطق في مجلس واحد بسرعة لسبب اقتضى ذلك. الرد على المنطقيين ص ٣٣١.

الكتاب الثامن: الإيمان(١)

وقد بسط هذا بسطا كبيرا في الكلام على(الإيمان) مجموع الفتاوى ٣٩/١٣.

الكتاب التاسع: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد= السبعينية(٢)

١- وقد بسطنا الكلام على ذلك في نحو مجلد في الكلام على (السبعينية) وغيرها(الرد على المنطقيين ص٢٧٥)

٢- إلى أمور أخرى قد بسطت في غير هذا الموضع ذكرنا ألفاظه بعينها في مواضع منها (الرد على ابن سبعين وأهل الوحدة) وغير ذلك (النبوات ١/ ٣٩٨)

---

(١) وهو موجود ضمن مجموع الفتاوى (٧/٤-٤٦٠)

وقد طبع مستقلا بالمكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨١هـ، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) ألفه في الإسكندرية كما في (النبوات ٣٩٨/١)،

وقد طبع في مجلد واحد بتحقيق د. موسى بن سليمان الدويش، نشر مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، انظر: ابن تيمية، (تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء٦٢/١)، تحقيق عبدالعزيز بن محمد الخليفة، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

٣- وقــد ذكرنا من ذلك طرفا في (الرد على الاتحادية) (مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٠٣)

٤- وقـد ذكــر الغزالــي هذا هذا... كما حكى كلامه في (السبعينية) وغيرها (مجموع الفتاوى١٦/٤٤١)

الكتاب العاشر: بيان الدليل على بطلان التحليل[١]

١- فالذين قالوا من الصحابة والتابعين بصحة نكاح المتعة خطؤهم أيسر من خطــأ من قال من المتأخرين بصحة نكاح المحلل، من أكثر من عشرين وجها قد ذكرناها في مصنف مفرد (منهاج السنة ١/٨٠)

٢- وقد بسطنا الكلام على (قاعدة إبطال الحيل وسد الذرائع) في كتاب كبير مفرد (مجموع الفتاوى ٢٠/٣٤٩)

٣- وقــد عاتــب الله مــن أســقط الواجـبات، واستحل المحرمات بالحيل والمخادعــات، كمــا ذكــر ذلك في سورة (ن) وفي قصة أهل السبت، ودلائل هذا مبسوطة في كتاب كبير(مجموع الفتاوى٢٩/٣٣٦)

٤- على ما قررناه في كتاب(بطلان التحليل) (مجموع الفتاوى٣٠/١٠٦)

٥- كمــا قررنافي كتاب (إبطال الحيل) فساد ذلك من وجوه كثيرة (مجموع الفتاوى٣٠/٢٨٤)

٦- وأصل هذا اعتبار المقاصد والنيات في التصرفات، وهذا الأصل قد قرر وبسط في كتاب (بيان الدليل على بطلان التحليل). (مجموع الفتاوى٣٠/ ٣٥٣)

---

(١) وهو مطبوع ضمن الفتاوى الكبرى(٣/٩٧-٤٠٥)

وقــد طــبع مستقلا بتحقيق د. فيحان بن شالي بن عتيق المطيري، الطبعة الثانية مكتبة أضواء المنار للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

٧- إلى أمور أخرى قد بسطت في غير هذا الموضع، بيناها في كتاب (بيان الدليل على بطلان التحليل) (مجموع الفتاوى ٣٢/٩٤-٩٥).

٨- وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة في كتاب (بيان الدليل على بطلان التحليل) (مجموع الفتاوى ٣٢/١٥٦)

٩- كما ذكرنا الآثار الكثيرة عنهم بذلك في كتاب(إبطال التحليل) (مجموع الفتاوى٣٢/١٥٩)

١٠- وقد قررنا دلائل ذلك من الكتاب والسنة وإجماع السلف وأصول الشريعة في (مسألة التحليل)(مجموع الفتاوى٣٢/١٦٧)

١١- كما قد بسط الكلام على ذلك في الكتاب الكبير الذي صنفته في (مسائل الذرائع والحيل) و(بيان الدليل على بطلان التحليل) (مجموع الفتاوى ٣٢ /١٩٦)

١٢- كما قد بسطناه في (قاعدة سد الذرائع) (مجموع الفتاوى٣٢/٢٢٨)

١٣- وقد قررت هذه القاعدة في كتاب (بيان الدليل على بطلان التحليل) (مجموع الفتاوى ٣٣/١٠٧)

١٤- كما قد نبهنا على بعضه في كتاب(إقامة الدليل على بطلان التحليل) (مجموع الفتاوى٣٥/٢٩٥)

١٥- اعتبار النية في النكاح قد بسط الكلام في غير هذا الموضع وبين أن المقصود في العقود معتبر (مجموع الفتاوى٣٢/١٤٦)

١٦- وهذا يعلم من (قاعدة إبطال الحيل) (مجموع الفتاوى ٣٠/٢٢٣)

١٧- وقد بينا بطلان الحيل.... بالأدلة الكثيرة في غير هذا الموضع.. (مجموع الفتاوى٣٠/٢٤١)

١٨- ودلائل تحريم الحيل من الكتاب والسنة والإجماع والإعتبار كثيرة، وذكرنا منها نحوا من ثلاثين دليلا فيما كتبناه في ذلك. (القواعد النورانية الفقهية ص١٤٢)

١٩- كما قد ذكرنا من الشواهد على ذلك نحوا من ثلاثين أصلا منصوصة أو مجمعا عليها في كتاب (إقامة الدليل على بطلان التحليل)(اقتضاء الصراط المستقيم ص٢١٦)

سبب التأليف: الداعي للتأليف: أما بعد: فإن الله بعث محمدا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وهدى به أمته إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولما كان العبد في كل حال مفتقرا إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية، فهو يحتاج إلى التوبة منها، وأمور هدي إلى أصلها دون تفصيلها، أو هدي إليها من وجه فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها ليزداد هدى، وأمور هو محتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو محتاج إلى الهداية فيها، وأمور لم يفعلها فهو محتاج إلى فعلها على وجه الهداية، إلى غير ذلك من أنواع الحاجات إلى أنواع الهدايات، فرض عليه أن يسأل هذه الهداية في أفضل أحواله وهي الصلاة مرات متعددة في اليوم والليلة، وقد بين أن أهل هذه النعمة مغايرون للمغضوب عليهم اليهود، والنصارى الضالين، وكان الرسول الرءوف الرحيم ﷺ يحذر أمته سلوك سبيل أهل الغضب والضلال، ويلعنهم تحذيرا للأمة عما ارتكبوه من أنواع المحال، وينهى عن التشبه بهم في استحلال الحرام بالاحتيال، لعلمه بما أوقع الله بهم على ذلك من الخزي والنكال.

ولما انتهى الكلام بنا في مدارسة الفقه إلى مسائل الشروط في النكاح وبيان ما كان منها مؤثرا في العقد ملحقا له بالسفاح وجرى من الكلام في مسألتي المتعة والتحليل ما تبين به حكمهما بأرشد دليل وظهرت الخاصية التي استحق بها المحلل لعنة الرسول ولم سماه من بين الأزواج بالتيس المستعار وتبينت مآخذ الأئمة تأصيلا وتفصيلا على وجه الاستبصار، وظهرت المدارك والمسالك أثرا ونظرا حتى أشرق الحق وأنار فانتبه بعض من كان غافلا من رقدته وشكى ما بالناس من الحاجة إلى ظهور هذا الحكم ومعرفته ولعموم البلوى بهذه القضية الشنيعة وغلبة الجهل بدلائل المسألة على أكثر المنتسبين إلى علم الشريعة وسأل أن أعلق في ذلك ما يكون تبصرة

للمسترشـــد وحجة للمستنجد وموعظة للمتهوك المتلزز ليهلك من هلك عن بينة ويحيى مـــن حيـــى عن بينة فأجبته إجابة المتحرج من كتمان العلم المسئول الخائف من نقض الميـــثاق المأخـــوذ على الذين أوتوا الكتاب وخلفوا الرسول ولم يكن من نيتي أن أشفع الكـــلام فـــيها بغيرها من المسائل بل أقتصر على ما أوجبه حق السائل، فالتمس بعض الجماعة مكررا للالتماس تقرير القاعدة التي هي لهذه المسألة أساس، وهي بيان حكم الإحتـــيال على سقوط الحقوق والواجبات وحل العقود وحل المحرمات، بإظهار صورة لـــيس لهـــا حقيقة عند المحتال، لكن جنسها مشروع لمن قصد به ما قصده الشارع مِن غيـــر اعـــتلال، فاعـــتذرت بأن الكلام المفصل في هذا يحتاج إلى كتاب طويل، ولكن ســـأدرج فـــي ضمن هذا من الكلام الجملي ما يوصل إلى معرفة التفصيل بحيث يتبين للبيب موقع الحيل من دين الإسلام، ومتى حدثت، وكيف كان حالها عند السلف الكرام، ومـــا بلغنـــي من الحجة لمن صار إليها من المفتين، وذكر الأدلة الدالة فيها على الحق المبـــين، وذلـــك بكـــلام فيه اختصار، إذ المقام لا يحتمل الإكثار، والله يوفقنا وإخواننا المســـلمين لمـــا يحبه ويرضاه من العمل الصالح والقول الجميل، فإنه يقول الحق وهو يهـــدي الســـبيل، وينفعـــنا وسائر المسلمين بما يستعملنا به من سائر الأقوال والأفعال ويجعلـــه موافقا لشرعته، خالصا لوجهه، موصلا إلى أفضل حال، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بيان الدليل على بطلان التحليل ص٢٩-٣٣

الكتاب الحادي عشر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية= نقض تأسيس الجهمية[1]

١- وقد بسطنا الكلام على هذا بسطا كثيرًا في كتابنا المسمى (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) (مجموع الفتاوى ١٧/٤٥٠)

٢- فإنا قد تبينا في (الرد عل أصول الجهمية) النفاة للصفات في الكلام على تأسيس التقديس. (درء تعارض العقل والنقل ٤/٢١٨)

٣- وقد كتبت في هذا ما يجيء عدة مجلدات وذكرت فيها مقالات الطوائف جميعها وحججها الشرعية والعقلية واستوعبت ما ذكره الرازى في كتاب تأسيس التقديس ونهاية العقول وغير ذلك حتى أتيت على مذاهب الفلاسفة المشائين أصحاب أرسطو وغير المشائين متقدميهم ومتأخيرهم كأفضل متأخريهم ابن سينا وأوحدهم في زمانه أبي البركات وذكرت حججهم (مجموع الفتاوى ٣/٢٢٦-٢٢٧)

وهذا مبسوط في غير موضع في الرد على الجهمية يتضمن الكلام على تأسيس أصولهم التي جمعهاأبو عبدالله الرازى في مصنفه الذي سماه تأسيس التقديس، فإنه جمع فيه عامة حججهم ولم أر لهم مثله (مجموع الفتاوى ٦/٢٨٩).

---

(١) وسماه ابن تيمية بأسماء أخرى (تلخيص التلبيس من كتاب التأسيس) التسعينية (٢/٣٨٩، ٣٩٨، ٧٣٢) (٣/٧٤٦، ٩٣٧)

انظر: عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن الأمير، (حصول المأمول ص٥٨)

وقد طبع في مجلدين بتحقيق وتعليق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم النجدي، **مطبعة الحكومة**، مكة المكرمة، ١٣٩١هـ.

الكتاب الثاني عشر: التفسير[1]

- وقـــد بسطت هذا المعنى في مواضع، في أول(التفسير)..... وفي غير ذلك (مجموع الفتاوى١٤/١٤)

الكتاب الثالث عشر: تفسير سورة الإخلاص[2]

١- ولنا مصنف مبسوط في تفسير هذه السورة وآخر في بيان أنها تعادل ثلث القرآن.. (الجواب الصحيح ٣/١٤٠)

---

(١) لابن تيمية كتب ورسائل في التفسير مطبوعة، ومنها:

١- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية.

جمعه وحققه د. محمد السيد الجليند، في ستة أجزاء بمؤسسة علوم القرآن في دمشق وبيروت، وبمطبعة دار الإنصار، القاهرة، الطبعة الولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)

٢- التفسير الكبير:

جمعـــه وحققـــه د. عبدالـــرحمن عميرة، طبع في سبعة أجزاء من القطع الكبير، بدار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ.

٣- تفسير آيات مستقلة، انظر: ابن تيمية، (الصارم المسلول١/٩٧-١٠٥)

٤- المجلدات(١٣-١٧) من مجموع الفتاوى فقد اشتملت على تفسير كثير من السور والآيات.

٥- مقدمـــة في أصول التفسير، بتحقيق د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

وأخرى بتحقيق إبراهيم بن محمد، بدار الصحابة للتراث بطنطا ١٤٠٩هـ

٦- تفســـير ســـورة الـــنور، طـــبع بتحقيق د. عبد العلي حامد، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء:

دراسة وتحقيق عبدالعزيز محمد الخليفة، في مجلدين، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

(٢) وهي ضمن مجموع الفتاوى (١٧/٢١٤-٥٠٣)

تفسير سورة الإخلاص، طبع بتحقيق د. عبدالعلي حامد، الدار السلفية، الهند المطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

٢- كما قد بسط الكلام على هذا في تفسير (قل هو الله أحد) وغيره. النبوات ١/ ١٨٦.

٣- كما بسط الكلام على ذلك في الشرح الكبير في تفسير هذه السورة. مجموع الفتاوى ١٧/١٠٧

٤- وقد كتبنا تصنيفًا مفردًا في تفسيرها، وآخر في كونها تعدل ثلث القرآن، منهاج السنة ٢/١٨٦.

الكتاب الرابع عشر: توحيد الفلاسفة

وقد تكلمنا في بيان فساده في مصنف مفرد في توحيد الفلاسفة (الردعلى المنطقيين ص٣١٤)

الكتاب الخامس عشر: جواب أهل العلم والإيمان فيما أخبر به رسول الرحمن[1] من أن قل هوالله أحد تعدل ثلث القرآن

١- وقد بسطنا الكلام على تحقيق قول النبي ﷺ إنها تعدل ثلث القرآن في مجلد، وفي تفسيرها في مجلد آخر. (منهاج السنة ٣/٢٩١)

٢- ولنا مصنف مبسوط في تفسير هذه السورة وآخر في بيان أنها تعادل ثلث القرآن.. (الجواب الصحيح ٣/١٤٠)

٣- وقد كتبنا تصنيفًا مفردًا في تفسيرها، وآخر في كونها تعدل ثلث القرآن، منهاج السنة ٢/١٨٦

٤- بل هذه السورة تعدل ثلث القرآن... كما قررناه في موضعه.. بيان تلبيس الجهمية (١/٤٦٠)

(١) التسعينية (٢/٣٩٨) شرح الأصفهانية المحققة (١/٤٩)
عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد الأمير، حصول المأمول ص ٥٩
وهي ضمن مجموع الفتاوى (١٧/٥-٢١٣)

الكتاب السادس عشر: جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية[1]

١- وهــذه المســألة والتــي قــبلها كبيرتان ذكرناهما في غير هذا الموضع، مثل(جواب الاعتراضات المصرية) وغير ذلك. (الإستقامة ١/١٣٩)

٢- وقــد بســطنا الكلام على هذه الأحاديث ومقالات الناس في هذا المعنى في (جواب الأسئلة المصرية على الفتيا الحموية) (مجموع الفتاوى٥/٢٤٠)

الكتاب السابع عشر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[2]

١- وبعــدها جاء كتاب من النصارى يتضمن الإحتجاج لدينهم بالعقل والسمع، واحــتجوا بما ذكروه من القرآن، فأوجب ذلك أن يرد عليهم ويبين فساد ما احتجوا به...... وبين (الجواب الصحيح لمن بد ل دين المسيح) (النبوات ص٦٤٨ -٦٤٩)

٢- وكــذلك بيــنا طرق الناس في إثبات العلم بالنبوات في (شرح الأصفهانية) وكتاب (الرد على النصارى) وغيرهما. (الرد على المنطقيين ص٢٥٤)

٣- وقد بسط مافي كلامهم من صواب وخطأ في الكتاب الذي سميناه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) (مجموع الفتاوى١٦/٣٦٢)

٤- وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للأنبياء كلهم، مع مخالفتهم لصــريح العقــل مايظهر به من كفرهم ما يظهر، ولهذا قيل فيه: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) (مجموع الفتاوى ١٩/١٨٩).

---

(١) صنفه ابن تيمية في مصر وهو في السجن.

وهو موجود ضمن (جامع الرسائل١/٢١٧-٢٧٩) رقم(١٤)

(٢) وقد طبع الكتاب بمطابع المجد التجارية في أربعة أجزاء في مجلدين، بتعريف بالكتاب وتقديم له مــن السيد علي صبح المدني، ثم طبع في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض محققا في ستة مجلدات سنة ١٤١٤هـ

انظــر: ابــن تيمية، الصارم المسلول، بتحقيق محمد بن عبد الله بن عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، (١/٨٣)ط١، رمادي للنشر بالدمام، ودار ابن حزم بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

سـبب التأليف: وكان من أسباب نصر الدين وظهوره أن كتابا وردمن قبرص فـيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديما وحديثا، مـن الحجـج السمعية والعقلية، فاقتضى ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطـاب، وبيان الخطأ من الصواب، لينتفع بذلك أولو الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب، وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها، فصلا فصلا، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعا وأصلا وعقدا وحلا، وما ذكروه في هذا الكتاب هـو عمدتهم التي يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان وقبل هذا الزمان، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال، فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قـبل ذلك ويتناقلها علماؤهم بينهم، والنسخ بها موجودة قديمة وهي مضافة إلى بولص الـراهب أسـقف صيدا الأنطاكي، كتبها إلى بعض أصدقائه، وله مصنفات في نصر النصـرانية، وذكر أنه لما سافر إلى بلاد الروم والقسطنطينية وبلاد الملافطة وبعض أعمال الإفرنج ورومية، واجتمع بأجلاء أهل تلك الناحية، وفاوض أفاضلهم وعلماءهم، وقـد عظـم هذه الرسالة وسماها: الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(١/ ١٩-٢١)

- وبعـدها جـاء كتاب من النصارى يتضمن الاحتجاج لدينهم بالعقل والسمع، واحـتجوا بما ذكروه من القرآن، فأوجب ذلك أن يرد عليهم، ويبين فساد ما احتجوا به مـن الأدلة السمعية من القرآن ومن كلام الأنبياء المتقدمين، وما احتجوا به من العقل، وأنهـم مخالفون للأنبياء وللعقل، خالفوا المسيح ومن قبله، وحرفوا كلامهم، كما خالفوا العقـل، وبـين مـا يحتجون به من نصوص الأنبياء وأنها هي وغيرها من نصوص الأنبياء التي عندهم حجة عليهم لا لهم، وبين الجواب الصحيح لمن حرف دين المسيح وهـم لـم يطالـبوا ببـيان دلائل نبوة نبينا لكن اقتضت المصلحة أن يذكر من هذا ما يناسبه، ويبسط الكلام في ذلك بسطا أكثر من غيره.

النبوات ص ٦٤٨ -٦٤٩

الكتاب الثامن عشر: جواب المسائل البغدادية

وقد بسط الكلام عليه في (جواب المسائل البغدادية) (مجموع الفتاوى ١/١٩٣)

الكتاب التاسع عشر: حكم الحلف بالطلاق

إذا حلف الرجل بالطلاق، فقال: الطلاق يلزمني لأفعلن كذا، أولا أفعله، أو الطلاق لازم لي لأفعلنه، أو إن لم أفعله فالطلاق يلزمني أو لازم، ونحو هذه العبارات التي تتضمن التزام الطلاق في يمينه ثم حنث في يمينه، فهل يقع به الطلاق؟....

وقد بسطت أقوال العلماء في هذه المسائل وألفاظهم ومن نقل ذلك عنهم، والكتب الموجود ذلك فيها، والأدلة على هذه الأقوال في مواضع أخر، تبلغ عدة مجلدات.

(مجموع الفتاوى٣٣/١٣١-١٣٢)

الكتاب العشرون: حكم طلاق الثلاث

وإن طلقها ثلاثا بكلمة أو بكلمات في طهر واحد قبل أن يراجعها، مثل أن يقول: أنت طالق ثلاثا، أو أنت طالق ألف طلقة، أو أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق، ونحو ذالك من الكلام فهذا حرام عند جمهور العلماء....

وهذه المسائل عظيمة وقد بسطنا الكلام عليها في موضع آخر من مجلدين وإنما نبهنا عليها هاهنا تنبيها لطيفا.

(مجموع الفتاوى ٣٣/ ٩٧، ٧٢)

الكتاب الحادي والعشرون: درء تعارض العقل والنقل[1]

١- كما قد ذكرنا طرق عامة النظار في غير هذا الموضع مثل (كتاب منع تعارض العقل والنقل) وغير ذلك. (النبوات ص٣٠٠)

---

(١) ألفه بعد رجوعه إلى الشام.

وقد طبع في أحد عشر مجلداً، بتحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٢- وقـد بسطنا القول فيه في (بيان درء تعارض الشرع والعقل) (الرد على المنطقيين ص٣٢٤).

٣- كما قد بينا ذلك في كتاب (رد تعارض العقل والشرع) (الجواب الصحيح ٢٦٧/٣)

٤- كمـا قد بينا ذلك في كتاب (درء تعارض العقل والنقل) (مجموع الفتاوى ٤٣٣/١٦

٥- وذكـرنا فـي كـتاب (درء تعارض العقل والنقل) (الرد على المنطقيين ص٣٧٣)

٦- وقـد بسـطنا الكلام... في كتاب (درء تعارض العقل والنقل) (منهاج السنة٣/٣٦٥)

٧- وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضع من كتبنا غير هذا الكتاب، (درء تعارض العقل والنقل) وغيره. (منهاج السنة ٢٧٥/٥)

٨- وقـد بسـطنا هذا في كتاب (درء تعارض العقل والنقل) وغيره (منهاج السنة٥/٤٢٣)

٩- وقـد بسـط الكلام.... في غير هذا الموضع، مثل كتاب (رد تعارض العقل والنقل) وغير ذلك. (منهاج السنة٢/٣٠٩)

١٠- وقـد بسطنا الكلام على ماقاله الناس.... في غير موضع، مثل كتاب (درء تعارض العقل والنقل) وغير ذلك (الرد على المنطقيين ص٢٥٣)

١١- والكـلام علـى هـؤلاء مبسوط في موضع آخر في (رد تعارض العقل والنقل)وغيره. (مجموع الفتاوى ٢٢٧/١١).

١٢- وقـد اسـتوفينا الحجـج فـي هذا الباب في درء تعارض العقل والنقل. (الصفدية ص٤٢)

١٣- والمعقـول الصـريح دائمـا يوافق ما جاءت به الرسل لم **يخالف العقل** الصـريح شيئا مما جاءت به الرسل، وقد بسط هذا **في الكتاب المصنف** في درء تعارض العقل والنقل (الصفدية ص٣٢٦)

سبب التأليف: والله أنزل الكتاب هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والقرآن أثبت الصفات على وجه التفصيل ونفي عنها التمثيل، وهي طريقة الرسل جاءوا بإثبات مفصل ونفي مجمل، وأعداؤهم جاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل، فلو لم يكن الحق فيما بينه الرسول للناس وأظهر لهم بل كان الحق في نقيضه للزم أن يكون عدم الرسول خيرا من وجوده إذ كان وجوده لم يفدهم عند هؤلاء علما ولا هدى، بل ذكر أقوالا تدل على الباطل، وطلب منهم أن يتعلموا الهدى بعقولهم ونظرهم، ثم ينظروا فيما جاء به، فإما أن يتأولوه ويحرفوا الكلم عن مواضعه وإما أن يعوضوه.

فذكرنا هذا ونحوه مما يبين أن الهدى مأخوذ عن الرسول، وأنه قد بين للأمة ما يجب اعتقاده من أصول الدين في الصفات وغيرها، فكان الجواب خطابا مع من يقر بنبوته، ويشهد له بأنه رسول الله، فلم يذكر فيه دلائل النبوة، وذكر أن الشبهات العقلية التي تعارض خبر الرسول باطلة، وذكر في ذلك ما هو موجود في هذا الجواب، ثم بعد ذلك حدثت أمور أوجبت أن يبسط الكلام في هذا الباب، ويتكلم على حجج النفاة ويبين بطلانها، ويتكلم على ما أثبتوه من أنه يجب تقديم ما يزعمون أنه معقول على ما علم بخبر الرسول، وبسط في ذلك من الكلام والقواعد ما ليس هذا موضعه، وتكلم مع الفلاسفة والملاحدة الذين يقولون إن الرسل خاطبوا خطابا قصدوا به التخييل إلى العامة ما ينفعهم لا أنهم قصدوا الإخبار بالحقائق، وهؤلاء لم يكن وقت الجواب قصد مخاطبتهم إذ كان هؤلاء في الحقيقة مكذبين المرسل يقولون إنهم كذبوا لما رأوه مصلحة بل كان الخطاب مع من يقر بأن الرسول لا يقول إلا الحق باطنا وظاهرا.

النبوات ص ٦٤٣ -٦٤٧

الكتاب الثاني والعشرون

رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

- وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وكتبنا رسالة مفردة في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وما فيها من الإسرار والمعاني الشريفة (منهاج السنة٢/ ١٨٥)

الكتاب الثالث والعشرون : رسالة في القياس[1]

- وليس في الشريعة شئ على خلاف القياس الصحيح بل على خلاف القياس الفاسد كما قد بسطنا ذلك في مصنف مفرد (الرد على المنطقيين ص٣٧٣)

الكتاب الرابع والعشرون : رفع الملام عن الأئمة الأعلام [2]

١- وقـد بينا هذا في رسالة(رفع الملام عن الأئمة الأعلام) (مجموع الفتاوى ٣٠٥/٢٠)

٢- فقـد بينا فيما كتبناه في(رفع الملام عن الأئمة الأعلام) (مجموع الفتاوى ٢١٤/٢٠)

الكتاب الخامس والعشرون : الزملكانية

فإن (الزملكانية) قد بين فيها من نحو خمسين وجها.........
مجموع الفتاوى ٥٩/٢٨.

الكتاب السادس والعشرون : شرح الأصبهانية = شرح العقيدة الأصفهانية (٣)

١- كمـا قـد كتبـناه على (الأربعين) و(المحصل) وفي(شرح الأصبهانية) (مجموع الفتاوى٧/٨)

٢- ماهو مذكور في موضع آخر (كشرح الأصبهانية)(منهاج السنة ٥٧٢/٢).

٣- وكـذلك بينا طرق الناس في إثبات العلم بالنبوات في (شرح الأصفهانية) (الرد على المنطقيين ص٢٥٤)

---

(١) اسـمها القـياس فـي الشرع الإسلامي وإثبات أنه لم يرد في الإسلام نص يخالف القياس وهي موجودة ضمن مجموع الفتاوى (٥٠٤/٢٠-٥٨٥)

وقد طبعت طبعة مستقلة، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة١٣٤٦هـ، ١٩٢٧م

(٢) وهي ضمن مجموع الفتاوى (٢٣١/٢٠-٢٩٣)

وطبعت بتحقيق: محمد حامد الفقي، نشر بمطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٨هـ

(٣)(وقد طبعت العقيدة الأصفهانية طبعة مستقلة، نشر دار الكتب الحديثة.)

٤- وقد تكلمنا في بيان فساده في مصنف مفرد في(توحيد الفلاسفة) وفي (شرح الأصفهانية) (الرد على المنطقيين ص٣١٤)

٥- قد بسط الكلام عليها في (شرح الأصفهانية) (درء تعارض العقل والنقل٩/ ٢٤٨)

سبب التأليف: سئل شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه ونـــور ضريحه، وهو مقيم بالديار المصرية في شهور سنة اثنتي عشرة وسبعمائة أن يشـــرح العقـــيدة التـــي ألفهـــا الشيخ شمس الدين محمد بن الأصفهاني، الإمام المتكلم المشـــهور، الذي قيل إنه لم يدخل إلى الديار المصرية أحد رعوس علماء الكلام مثله، وأن يبين ما فيها.

فأجـــاب إلـــى ذلـــك واعتذر بأنه لا بد عند شرح ذلك الكلام من مخالفة بعض مقاصـــده لمـــا توجـــبه قواعد الإسلام، فإن الحق أحق أن يتبع، والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين (العقيدة الأصفهانية ص١٧)

- ثـــم بعـــد هذا طلب الكلام على تقرير أصول الدين بأدلتها العقلية وإن كانت مستفادة من تعليم الرسول وذكر فيها ما ذكر من دلائل النبوة في مصنف يتضمن شرح عقـــيدة صـــنفها شـــيخ المـــنظار بمصر شمس الدين الأصبهاني، فطلب مني شرحها فشرحتها وذكرت فيها من الدلائل العقلية ما يعلم به أصول الدين.

النبوات ص٦٤٧

الكتاب السابع والعشرون : شرح الحيدة

ذكـــره عـــبد العزيـــز بن يحيى الكنا ني في الحيدة........ وقد كتبت ألفاظه وشرحتها في غير هذا الموضوع. مجموع الفتاوى ٦/٣٢٥.

الكتاب الثامن والعشرون : شرح حديث جبريل

١- وقد بسط هذا بسطا كبيرا في الكلام على(الإيمان) و(شرح حديث جبريل) مجموع الفتاوى ١٣/٣٩.

٢- كما قد بسط هذا في شرح حديث جبريل. مجموع الفتاوى ٤٣/١٣.

الكتاب التاسع والعشرون: الصارم المسلول على شاتم الرسول [١]

١- وأنا قد صنفت كتابا كبيرا سميته (الصارم المسلول على شاتم الرسول).
(مجموع الفتاوى ٢٧٧/٣)

٢- وقد ذكرت بعض مايتعلق بهذا في الكتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) (مجموع الفتاوى ٤٠٣/٧)

٣- ونظائر ذلك كثيرة ذكرنا في (كتاب الصارم المسلول).
(مجموع الفتاوى ٣٠٠/١٥)

٤- والقصة قد ذكرناها في(الصارم المسلول) (مجموع الفتاوى ١٩٩/٢٨)

٥- وقد بسطنا الكلام على هذا في كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ) (منهاج السنة ٢٤٤/٤)

الكتاب الثلاثون: صحة مذهب أهل المدينة [٢]

١- سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن صحة أصول مذهب أهل المدينة ومنزلة مالك المنسوب إليه مذهبهم في الإمامة والديانة وضبطه علوم الشريعة عند أئمة علماء إلامصار وأهل الثقة والخبرة من سائر الأعصار، فأجاب رضي الله عنه الحمد لله مذهب أهل المدينة النبوية دار السنة ودار الهجرة ودار النصرة......
(مجموع الفتاوى ٢٩٤/٢٠)

---

(١) وانظر: الاستغاثة: تحقيق السهلي(٤٠٧/١)(٥٧٦/٢، ٥٩٠، ٦٠٢) تلخيص الاستغاثة: **تحقيق محمد عجال(٥١/١، ٤٠٣)**

وقد طبع عدة طبعات أجودها طبعة رمادي للنشر، دار ابن حزم، **دراسة وتحقيق محمد بن** عبدالله بن مر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري الطبعة الأولى، **١٤١٧هـ-١٩٩٧م**

(٢) وهو مطبوع ضمن مجموع الفتاوى (٢٩٤/٢٠-٣٩٦)

وطبع طبعة مستقلة بعنوان (صحة أصول أهل المدينة) **بتعليق: زكريا علي يوسف**

٢- وهـذا بـاب يطـول استقصاؤه وقد ذكرنا من ذلك ما شاء الله من القواعد الكبار في القواعد الفقهية وغير ذلكف

(مجموع الفتاوى٢٠/٣٩٥-٣٩٦)

الكتاب الحادي والثلاثون: العقيدة الواسطية:[1]

١- فحضـرت العقـيدة الواسـطية..... فكتب له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة، في مصر والعراق وغيرهما.

مجموع الفتاوى ٣/١٦٤

٢- فأحضـرت(الواسطية)..... فكتب له وهو قاعد في مجلسه بعد العصر هذه العقيدة

مجموع الفتاوى ٣/٢٠٣-٢٠٤

الكتاب الثاني والثلاثون: [2] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

كمـا قد بسط الكلام في هذا الباب في غير هذا الكتاب مثل (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) وغير ذلك.

(الجواب الصحيح ٣/٣٤٩)

---

(١) وهـي مطبوعة ضمن (مجموع الفتاوى ٣/١٢٩-١٥٩) وطبعت في طبعات مستقلة ومشروحة ومحققة.

(٢) وهـو موجـود ضـمن (مجمـوع الفـتاوى ١١/١٥٦-٣١٠) وقد طبع مستقلا بتحقيق محمود عبدالوهاب فايد، بدار الفكر.

الكتاب الثالث والثلاثون: [1] الفتيا الحموية

١- وأيضا لما كنت في البرح ذكر لي أن بعض الناس علق مؤاخذة على(الفتيا الحموية) وأرسلت إلي وقد كتبت فيما بلغ مجلدات، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

(مجموع الفتاوى٣/٢٢٧)

٢- ماأجبت به في مسائل تتعلق بالاعتقاد مثل (المسألة الحموية) في (الإستواء والصفات الخبرية) وغيرها.

(مجموع الفتاوى٣/١٨٠)

الكتاب الرابع والثلاثون: قاعدة الإمارة والخلافة [2]

١- وقـــد كتبت مايشبه هذا في (قاعدة الإمارة الخلافة) (مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٨)

٢- وقـــد بسط الكلام على هذه الأمور في مجلدات، من جملتها مصنف ذكرنا فيه قواعد تتعلق بحكم الحكام وما يجوز لهم الحكم فيه وما لا يجوز، وهو مؤلف مفرد يتعلق بأحكام هذا الباب لا يحسن إيراد شيء من فصوله ها هنا.

مجموع الفتاوى ٣١٢/١

الكتاب الخامس والثلاثون: قاعدة العهود والعقود

قد كتبت في قاعدة العهود والعقود القاعدة في العهود الدينية في القواعد المطلقة والقاعدة في العقود الدنيوية في القواعد الفقهية وفى كتاب النذر أيضا.

(مجموع الفتاوى ٢٠/١٥٥، ٣٥/٣٤٥)

---

(١) وقد طبعت ضمن (مجموع الفتاوى٥/٥-١٢٠) وطبعت طبعة مستقلة. التسعينية١/٢٣٠. بيان تلبيس الجهمية(١/٢٣٢، ٤٨) تحقيق يحيى الهنيدي(٢/٥٣٩)- بيان تلبيس الجهمية(٢/٦٢٤) تحقيق راشد الطيار.

(٢) هي القاعدة في الخلافة والملك المطبوعة ضمن (مجموع الفتاوى ٣٥/١٨-٣٥)

الكتاب السادس والثلاثون: قاعدة المحبة (القواعد الكبار) [1]

١- كما قد بسطنا ذلك (في قاعدة المحبة) من القواعد الكبار.

مجموع الفتاوى ٤٩/١٠.

٢- والــذي دل علــيه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ومشائخ الطريق أن الله يحب ويحب.... وقد بسط الكلام على هذه المسألة العظيمة في القواعد الكبار بما ليس هذا موضعه.

مجموع الفتاوي ٦٩٧/١٠-٦٩٨

٣- وقــد بسطت هذا المعنى في مواضع، في أول التفسير) وفي (قاعدة المحبة والإرادة). مجموع الفتاوى ١٤/١٤.

الكتاب السابع والثلاثون: قاعدة تعارض السيئات والحسنات[2]

كما قررت مثل ذلك في قاعدة السيئات والحسنات. الاستقامة ١٦٧/٢

الكتاب الثامن والثلاثون: قاعدة في السنة والبدعة

١- وهذا قد قررته في (اقتضاء الصراط المستقيم) وفي(قاعدة السنة والبدعة) وغيره (مجموع الفتاوى ٣٧١/١٠)

٢- وقد قررنا في القواعد في (قاعدة السنة والبدعة)

(الاستقامة ٥/١)

٣- وقد قررنا في قاعدة (السنة والبدعة)

(مجموع الفتاوى ١٠٧/٤)

---

(١) وهو مطبوع ضمن جامع الرسائل (١٩٠/٢- ٤٠١) رقم (٣).

وقــد طبعت بعنوان (قاعدة في المحبة) تحقيق د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

(٢) وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (٤٨/٢٠-٨٤)

الكتاب التاسع والثلاثون: قاعدة نفي التشبيه ومسالة التجسيم

وقـد كتـبت تفاصيل أقوال الناس، وبينت مذهب أئمة السنة والحديث في هذا الأصل في (قاعدة نفي التشبية ومسألة التجسيم)

(مختصر الفتاوى المصرية ص٦٤٩)

الكتاب الأربعون: [1] القواعد الفقهية

١- فصـل في وضع الجوائح في المبايعات والضمانات والمؤاجرات مما تمس الحاجة إليه وذلك داخل في قاعدة (تلف المقصود المعقود عليه قبل التمكن من قبضـه).

(مجموع الفتاوى٣٠/٢٦٣).

٢- وأمـا أن الضمان والقبالة وهو أن يضمن الأرض والشجر جميعا بعوض واحد لمن يقوم على الشجر والأرض، ويكون الثمر والزرع له...

وقد بسطت الكلام في هذه المسألة في (القواعد الفقهية)

(مجموع الفتاوى ٣٠/٢٨٣-٢٨٤)

٣- وهـذا بـاب يطـول استقصاؤه وقد ذكرنا من ذلك ما شاء الله من القواعد الكبار في القواعد الفقهية وغير ذلك.

(مجموع الفتاوى٢٠/٣٩٦)

٤- وقد كتبت في (قاعدة العهود والعقود) القاعدة في العهود الدينية في القواعد المطلقة، والقاعدة في العقود الدنيوية في (القواعد الفقهية) وفي (كتاب النذر) (مجموع الفتاوى٣٥/٣٤٥)

(١) قـال محمـد حامد الفقي محقق القواعد النورانية الفقهية لابن تيمية وكانت النسخة الأولى باسم (القـواعد الفقهية) والثانية باسم(القواعد النورانية) فجمعت بين الاسمين في عنوان الكتاب وذكر ابن عبدالهادي في العقود الدرية أن من مؤلفات ابن تيمية (قاعدة كبيرة في أصول الفقه غالبها نقل أقوال الفقهاء) غالب ظني أنها هذه. (ص٢١).

الكتاب الحادي والأربعون: الكلام على الإشارات لابن سينا

١- كذلك تكلمت على ما في (الإشارات) في مواضع أخر

(منهاج السنة ٥/٤٣٣- ٤٣٥)

٢- وهـذا قـد بسط الكلام عليه في(الكلام على المنطق) (وعلى الإشارات) وغير ذلك (منهاج السنة ٥/٤٥١)

٣- كمـا قد كتبنا بعض كلام النظار في ذلك في غير هذ الموضع في (الكلام علـى المحصـل). (وعلـى منطق الإشارات)(وعلى المنطق اليوناني) مصنف كبير ومصنف صغير وغير ذلك.

(الصفدية ٢/٢٨١)

الكتاب الثاني والأربعون: الكلام على المحصل للرازي = شرح أول المحصل[1]

١- كما قد كتبناه على (الأربعين) و(المحصل).

(مجموع الفتاوى ٨/٧)

٢- وقـد بسـطنا الكـلام علـى هـذا في مواضع متعددة، مثل (الكلام على المحصل) (الرد على المنطقيين ص٣٧) (منهاج السنة ١/٨٧)

٣- وقد بسطنا ذلك في (الكلام على المحصل)

(الرد على المنطقيين ص١١٠)

٤- وقد بسط الكلام على ماذكروه وذكره المنطقيون في (الكلام على المحصل) وغير ذلك (الرد على المنطقيين ص١٢١-١٢٢)

٥- كمـا بسـط فـي (الكـلام على المحصل) وغيره (الرد على المنطمقيين ص٣٥٧)

٦- وقـد بسـطنا هذا في موضع في (الكلام على المحصل) وغيره. (منهاج السنة ١/١٦٨)

---

(١) انظر: الصفدية(٢/٢٨١. ١٨٧. ١٥١) (حصول المأمول ص ٦٤-٦٥).

٧- وقد سئلت أن أكتب على (المحصل) ما يعرف به الحق فيما ذكره، فكتبت من ذلك ماليس هذا موضعه. (منهاج السنة ٥/٤٣٣-٤٣٤)

٨- وقد بسط الكلام على ماذكروه وذكره المنطقيون في (الكلام على المحصل) وغير ذلك (مجموع الفتاوى ١٢٢/٩)

٩- وقد كنا صنفنا في فساد هذا الكلام مصنفا قديما من نحو ثلاثين سنة، وذكرنا طرفا من بيان فساده في (الكلام على المحصل) وفي غير ذلك. (درء تعارض العقل والنقل ٢٢/١)

١٠ -كما قد كتبنا بعض كلام النظار في ذلك في غير هذا الموضع، في (الكلام على المحصل) (الصفدية٢/٢٨١)

الكتاب الثالث والأربعون: الكلام على المنطق اليوناني[(١)]

١- وهذا قد بسط الكلام عليه في(الكلام على المنطق) (وعلى الإشارات) وغير ذلك (منهاج السنة ٥/٤٥١)

٢- كما قد كتبنا بعض كلام النظار في ذلك في غير هذا الموضع في (الكلام على المحصل). (وعلى منطق الإشارات)(وعلى المنطق اليوناني) مصنف كبير ومصنف صغير وغير ذلك.

(الصفدية ٢/٢٨١)

٣- فهذا كله مما قد بسط الكلام عليه في مواضع وبينا ما في(المنطق اليوناني) من إلاغاليط التي بعضها من معلمهم الأول وبعضها من تغيير المتأخرين وتكلمنا على ما ذكره أئمتهم في ذلك واحدا واحدا كابن سيناوأبي البركات وغيرهما

(منهاج السنة ٥/٤٥٤- ٤٥٥)

---

(١) لابن تيمية عدة كتب مطبوعة في الكلام على المنطق منها:

١- الرد على المنطقيين، مطبوع بتحقيق عبد الصمد شرف الدين الكتبي النرول، الطبعة الثالثة، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م

٢- نقض المنطق، بتحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، **وهو مطبوع ضمن** (مجموع الفتاوى٩/٥-٨٢).

٤- كمـــا قد بسط الكلام على (المنطق اليوناني) وما يختص به أهل الفلسفة من الأقوال الباطلة في مجلد كبير.

(منهاج السنة ٢/٣٤٧- ٣٤٨)

الكتاب الرابع والأربعون: الكيلانية[١]

وقد ذكرنا في المسائل الطبرستانية والكيلانية بسط مذاهب الناس وكيف تشعبت وتفرعت في هذا الأصل(مجموع الفتاوى ١٢/٨٧)

الكتاب الخامس والأربعون: المسألة الصفدية[٢]

١- وقــد بســطنا الكــلام على هذا في غير هذا الموضع في جواب (المسألة الصفدية)

(الرد على المنطقيين ص٤٦١)

٢- كما بسط الكلام عليها في (الصفدية) وغيرها.

(الرد على المنطقيين ص٢٨٧)

٣- وبيـــنا فساد قولهم هذا... بالأدلة الصحيحة بما ليس هذا موضعه، وهي المعروفة بمسألة الصفدية

(الرد على المنطقيين ص٣٠١)

٤- وقد تكلمنا في بيان فساده في مصنف مفرد في توحيد الفلاسفة، وفي(شرح الإصفهانية) و(الصفدية) وغير ذلك

(الرد على المنطقيين ص٣١٤)

٥- ماهــو مذكور في موضع آخر (كشرح الأصبهانية) والكلام على معجزات الأنبياء، والرد على من قال: إنها قوى نفسانية المسماة (بالصفدية) وغير ذلك،

(منهاج السنة ٢/٥٧٢)

---

(١)وهي مطبوعة ضمن (مجموع الفتاوى ١٢/٣٢٣-٥٠١)

(٢)ألفــه بالشــام، طبع في مجلدين بتحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر في مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، انظر: ابن تيمية تفسير آيات أشكلت ١/٦٣.

الكتاب السادس والأربعون : المسائل الطبرستانية

وقد ذكرنا في (المسائل الطبرستانية) و(الكيلانية) بسط مذاهب الناس وكيف تشعبت وتفرعت في هذا الأصل.

(مجموع الفتاوى ١٢/٨٧)

الكتاب السابع والأربعون : مسألة التعليل[1]

١- وقد كتبت في (مسألة التعليل) مصنفا مستقلا بنفسه لما سئلت عنها.

منهاج السنة ١/٤٤٦.

٢- وأن لفعله غاية محبوبة وعاقبة محمودة، وهذه مسألة عظيمة جدا، قد بسطت في غير هذا الموضع.

منهاج السنة ١/٤٦٥.

الكتاب الثامن والأربعون : مسألة العدل والظلم

وقد بسط هذا الأصل في مواضع مثل الكلام في (مسألة القادر المختار) و(مسألة العدل والظلم) وغير ذلك

(النبوات ص٩٠٩).

الكتاب التاسع والأربعون : مسألة الكليات

وقد كتبنا في (مسألة الكليات)كلاما مبسوطا مختصا بذلك.

(منهاج السنة٢/٥٩٥).

الكتاب الخمسون : مسألة القادر المختار

وقد بسط هذا الأصل في مواضع مثل الكلام في (مسألة القادر المختار).

(النبوات ص٩٠٩)

---

(١) اسمها: (أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (٨/٨١-١٥٨).

الكتاب الحادي والخمسون: مسألة القدرة والإرادة

كما قد بينا ذلك في الكلام على ما ذكره في مسألة القدرة والإرادة.

النبوات ص ٦٢٥.

الكتاب الثاني والخمسون: مسألة المحلل في السباق

والكلام على هذه المسألة مبسوط في مواضع، وإنما كتبت ذلك في جلسة واحدة، (مختصر الفتاوى المصرية ص٥٣٤)

الكتاب الثالث والخمسون: مسائل الزرعية

وقد بسطنا في جواب (مسائل الزرعية) وغيرها....

(مجموع الفتاوى٢٢/٣٣٥)

الكتاب الرابع والخمسون: مسودة الفقه

وقد كتبت فيما تقدم من (القواعد) وفي آخر (مسودة الفقه) كلاما كليا.

(مجموع الفتاوى ٢٨/١٨٤)

الكتاب الخامس والخمسون: المصنف في الدور

١- ونحن قد بينا في الكتاب المصنف في الدور لما ذكرنا فيه... والنوع الثاني مما يسمى دورا الدور الحكمى الفقهي المذكور في المسألة السريجية وغيرها وقد أفردنا في هذا مصنفات وبينا حقيقة هذا الدور وأنه باطل عقلا وشرعا وبينا في مصنف آخر هل في الشريعة شئ من هذا الدور أم لا.

(الرد على المنطقيين ص٢٥٧)

٢- النوع الثانى الدور الحكمى الفقهى المذكور في المسالة السريجية وغيرها وقد أفردنا فيه مؤلفا وبينا أنه باطل عقلا وشرعا، وبينا هل في الشريعة شيء من هذا الدور أم لا.

(مجموع الفتاوى٩/٢١٥)

الكتاب السادس والخمسون: مناسك الحج[1]

١- فإني كنت قد كتبت (منسكا) في أوائل عمري، فذكرت فيه أ دعية كثيرة، وقلـــدت في الأحكام من ا تبعته قبلي من العلماء. وكتبت في هذا ما تبين لي من سنة رسول الله ﷺ مختصرا مبينا.

مجموع الفتاوى٢٦/٩٨.

٢- قد ذكرت فيما كتبته من (المناسك) مجموع ا لفتاوى٢٧/٣٢٩.

٣- وقد ذكرت في عدة (مناسك الحج) مجموع ا لفتاوى٢٧/٣٣٠.

الكتاب السابع والخمسون: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية[2]

١- وأما مخالفة الشيعة لأهل البيت فكثيرة جدا، قد بسطت في مواضع (مجموع الفتاوى١٣/٢١٠)

٢- كما بسط هذا في كتاب(منهاج أهل السنة النبوية في الرد على الرافضة).. (مجموع الفتاوى٦/٢٨٩)

٣- ولهـــذا جعل هذا الكتاب (منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) (منهاج السنة ٢/٣٤٢)

٤- كما بينا في الرد على الرافضة. (الجواب الصحيح٣/٢٦٦)

سبب التأليف: أما بعد فإنه قد أحضر إلي طائفة من **أهل السنة والجماعة، كتابا** صـــنفه بعـــض شـــيوخ الرافضة في عصرنا **منفقا لهذه البضاعة، يدعو به إلى مذهب** الرافضـــة الإمامية، من أمكنه دعوته من ولاة الأمور وغيرهم أهل الجاهلية، ممن قلت معـــرفتهم بالعلم والدين، ولم يعرفوا أصل دين المسلمين، وأعانه على ذلك من عادتهم إعانـــة الرافضة من المتظاهرين بالإسلام، من أصناف الباطنية الملحدين، الذين هم في الـــباطن من الصابئة الفلاسفة الخارجين عن حقيقة متابعة المرسلين، الذين لا يوجبون

---

(١) وهو مطبوع ضمن مجموع ا لفتاوى (٢٦/ ٩٨- ١٥٩). وقد طبع طبعة مستقلة..

(٢) ألفه بالشام، وقد طبع في تسعة مجلدات بتحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

اتباع دين الإسلام، ولا يحرمون اتباع ما سواه من الأديان بل يجعلون الملل بمنزلة المذاهب والسياسات التي يسوغ اتباعها، وأن النبوة نوع من السياسة العادلة التي وضعت لمصلحة العامة في الدنيا.

فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها، من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال.

وهؤلاء لا يكذبون بالنبوة تكذيبا مطلقا، بل هم يؤمنون ببعض أحوالها، ويكفرون ببعض الأحوال، وهم متفاوتون فيما يؤمنون به ويكفرون به من تلك الخلال، فلهذا يلتبس أمرهم بسبب تعظيمهم للنبوات على كثير من أهل الجهالات.

والرافضة والجهمية هم الباب لهؤلاء الملحدين، منهم يدخلون إلى سائر أصناف الإلحاد في أسماء الله وآيات كتابه المبين كما قرر ذلك رءوس الملحدة من القرامطة الباطنية وغيرهم من المنافقين.

وذكر من أحضر هذا الكتاب أنه من أعظم الأسباب في تقرير مذاهبهم عند من مال إليهم من الملوك وغيرهم. وقد صنفه للملك المعروف الذي سماه فيه خدابنده. وطلبوا مني بيان ما في هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب، لما في ذلك من نصر عباد الله المؤمنين وبيان بطلان أقوال المفترين الملحدين.

فأخبرتهم أن هذا الكتاب وإن كان من أعلى ما يقولونه في باب الحجة والدليل، فالقوم من أضل الناس عن سواء السبيل. فإن الأدلة إما نقلية وإما عقلية، والقوم من أضل الناس في المنقول والمعقول...... فلما ألحوا في طلب الرد لهذا الضلال المبين، ذاكرين أن في الإعراض عن ذلك خذلانا للمؤمنين، وظن أهل الطغيان نوعا من العجز عن رد هذا البهتان، فكتبت ما يسره الله من البيان، وفاء بما أخذه الله من الميثاق على أهل العلم والإيمان، وقياما بالقسط وشهادة لله.

منهاج السنة ١/٤-١٦

فهرس المراجع

أولاً: كتب ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية

١- الاختيارات الفقهية من فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، اختارها علاء الدين علي البعلي، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٠.

٢- الاستقامة، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، مؤسسة قرطبة، مصر.

٣- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقهي، مطبعة الحكومة، ممكة المكرمة، ١٣٨٩ هـ.

٤- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة، بمكة المكرمة، ١٣٩١ هـ.

٥- بيان الدليل على بطلان التحليل في تحقيق د. فيحان المطيري، الطبعة الثانية، مكتبة أضواء النهار، السعودية، ١٩٩٦ م.

٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد.

٧- درء تعارض العقل والنقل، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٩٧٩ م.

٨- الرد على المنطقتين، الطبعة الثالثة، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، ١٩٧٦ م.

٩- الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق محمد الحلواني ومحمد شودري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧ م.

١٠- الصفدية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.

١١- الفتاوي الكبرى، تحقيق حسنين محمد مخلوف، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦ هـ.

١٢- مجمـوع فـتاوي شـيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد لعاصمي النجدي وابنه محمد، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ.

١٣- مختصـر الفتاوي المصرية، اختصرها بدر الدين محمد البعلي، الطبعة الأولى، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان، ١٩٧٧ م.

١٤- منهاج السنة النبوية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، مؤسسة قرطبة، مصر، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م.

١٥- النبوات، تحقيق د. عبد العزيز بن صالح الطويان، الطبعة الأولى، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.

ثانياً: محمد بن أحمد بن عبد الهادي

العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة المؤيد، الرياض.